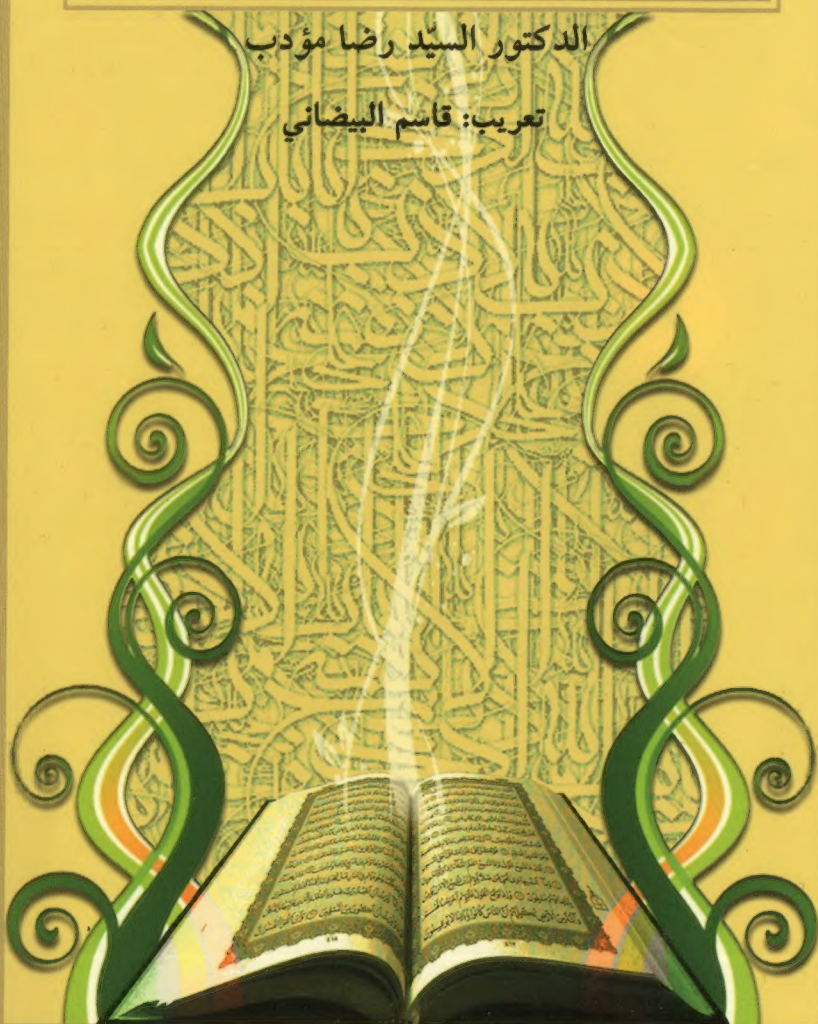


إعجاز القرآن

الدكتور السيد رضا مؤدب

تعريب: قاسم البيضاني



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





مكتب التخطيط
وتقنية التعليم



إعجاز القرآن

الدكتور السيد رضا مؤدب
تعريب: قاسم البيضاني



دار المستفنين العالمية
الناطقة لجامعة المستفنين العالمية

مودب، سيد رضا
 اعجاز قرآن / سيد رضا مودب؛ تعريب: قاسم البيضاوي؛ [ل] جامعة المصطفى (ع) العالمية، مكتب التخطيط
 وتقنية التعليم. -- قم: جامعة المصطفى (ع) العالمية، ١٤٣٠ق. = ١٣٨٨.
 ١٨٣ ص. - (جامعة المصطفى (ع) العالمية، مكتب التخطيط وتقنية التعليم ١٠١)
 ISBN: 978-964-195-122-3 ٢٣٠٠٠ ريال
 عنوان اصلي: اعجاز القرآن
 عربي.
 فهرست: نويي بر اساس اطلاعات فيبا.
 كتابنامه: ص. [١٨١] - ١٨٣ همچنين به صورت زيرنويس.
 نمايه.
 ١. قرآن - اعجاز ٢. قرآن -- مسائل ادبي. الف. البيضاوي، قاسم، مترجم. ب. جامعة المصطفى (ع)
 العالمية. ج. عنوان.
 ٦٠٤٣ الف ٨ م / BP٨٦

إعجاز القرآن

المؤلف: الدكتور السيد رضا مودب

تعريب: قاسم البيضاوي

الطبعة الأولى: ١٤٣٠ق / ١٣٨٨ش

الناشر: دارالمصطفى (ع) العالمية

الإخراج الفني: السيد مهدي عمادي المجد

المطبعة: اميران ● السعر: ٢٣٠٠٠ ريال ● عدد النسخ: ٢٠٠٠

حقوق الطبع محفوظة للناشر.

التوزيع:

● قم، استدارة الشهداء، شارع الحجتيه، مقابل مدرسه الحجتيه، محل بيع دارالمصطفى (ع) العالمية.

هاتف - فاكس: ٠٢٥١٧٧٣٠٥١٧

● قم، شارع محمد الامين، تقاطع سالاربه، قرب جامعة العلوم، محل بيع دارالمصطفى (ع) العالمية.

هاتف - فاكس: ٠٢٥١٢١٣٣١٠٦ - ٠٢٥١٢١٣٣١٤٦

www.miup.ir , www.eshop.miup.ir
 E-mail: admin@miup.ir, Root@miup.ir

كلمة المكتب

لاشك أن وضع مناهج دراسية ذات فاعلية ومرونة لا يتيسر إلّا إذا كانت بمستوى تطلعات الحياة الحديثة والتّطورات الهائلة التي شهدتها اللّمْ في فروع المعرفة، لا سيّما في حقل المعلومات والثّورة المعلوماتية، والتي بدأت تجتاح كافة مناحي الحياة، وتلح على ضرورة وضع مناهج دراسية عصرية وإعداد متخصصين.

وفي الإطار ذاته فقد أدى ذبوع الثقافة السلطوية في العالم والعولمة الثقافيّة مهن قبل وسائل الإعلام المرئية وغير المرئية إلى ظهور مستجدات وشبهات حادة وعالقة لا يمكن إجهاضها إلّا من خلال إنشاء مراكز تعليمية تأخذ على عاتقها وضع مناهج دراسية عصرية وتجديد الطّاقات العلميّة في سبيل نشر أفكار إيجابية بناءة وقيم متعالية بأسلوب حديث بغية تحصين عقائد المسلمين من الإنهيار أمام تلك الشّبهات.

إنّ انتعاش المراكز التعليميّة رهن نظام تعليمي دقيق ثابت ومجرب، وتشكّل البرامج التعليميّة والمناهج الدراسيّة والأساتذة عموده الفقري.

وتكمن فاعلية هذه البرامج في تجاوبها مع متطلبات العصر وتوفير الإمكانيات ومؤهلات الطّلاب. كما أنّ تقويم المناهج الدراسيّة يعتمد إلى حد كبير على طرحها لآخر المنجزات العلميّة بأحدث الأساليب المتبعة في التّربية والتّعليم، هذه المراكز بحاجة ماطة إلى التّقويم الدّائم وإعادة النّظر في مناهجها الدراسيّة وتجديدها بأرقى الأساليب وفق آخر ما وصلت إليه التّقنيات العلميّة بغية الحفاظ على مستوى نشاطها العلمي.

إنّ حوزات العلوم الدّينية التي تقع على عاتقها مهمة إعداد علماء الدّين ونشر المبادئ الإسلاميّة غير مستثناة من هذه القاعدة، باعتبارها من مؤسسات التّعليم الدّيني.

ومن حسن الحظ فإن الحوزات العلمية - ووبركة الثورة الإسلامية العظيمة بقيادة الإمام الخميني قدس سره - أخذت منذ سنوات عدة التفكير جدياً في إصلاح نظامها التعليمي، وتجديد النظر في مناهجها الدراسية.

وإنطالقا من الشعور بالمسؤولية قامت جامعة المصطفى (عليه السلام) العالمية - التي تمثل جزءاً من هذه المجموعة وتضطلع بمهمة تعليم الطلاب غير الإيرانيين - قبل غيرها من سائر المؤسسات التابعة للحوزة بإنشاء مكتب التخطيط وتقنية التعليم.

هذا المكتب مع تهيئة للجهود المضنية التي بذلها العلماء في سبيل التجاوب مع هذه الحاجة، واقتطافه ثمار نتائجهم العلمية سعى إلى تنظيم المناهج الدراسية وفق برامج مستوحاة من الأساليب التعليمية المعتمدة على آخر المنجزات العلمية.

وقد أنجزت حتى الآن - بفضل همة وإرادة الباحثين وفضلاء الحوزة - الخطوات الأولى لهذا المشروع من خلال تأليف ما يربو على المئة كتاب دراسي في مجالات العلوم الدينية والإنسانية المختلفة.

والكتاب الذي بين يديك (إعجاز القرآن) يمثل أحد النماذج المختارة من هذه الكتب، وهو يعني بالبحث حول مسائل إعجاز القرآن.

ويعد هذا الكتاب خطوة راسخة في هذا الطريق، وجهداً يستحق التقدير، بذله حجة الإسلام الدكتور رضا مؤدب وترجمه إلى العربية الأخ الفاضل قاسم البيضاني. فشكراً متواصلاً لهما ولجميع الذين ساهموا في إنجاز هذا العمل.

وفي الختام لابد من القول إن أي عمل لا يكاد يخلو في بداياته من زلات وهفوات؛ ولذا فإننا نتطلع إلى أصحاب العلم والفضيلة الذين نأمل أن لا يرضوا علينا بآرائهم الصائبة، فهذا التطلع هو مهماز شروعا في العمل ومبعث أملنا بمستقبل زاهر.

دار المصطفى (عليه السلام) العالمية
التابعة لجامعة المصطفى (عليه السلام) العالمية

الفهرس

٥	كلمة المكتب
١٣	المدخل
١٥	١. تمهيد
١٥	ضرورة إعجاز القرآن
١٦	السابقة التاريخية لبحث الإعجاز
١٨	آثار السابقين في الإعجاز
٢٠	تعريف المعجزة
٢١	شروط الإعجاز
٢١	١. إدعاء النبوة
٢٢	٢. مطابقة الدعوى
٢٢	٣. عجز الآخرين
٢٣	٤. اقترانها بالتحدي
٢٣	الإعجاز وقانون العلية
٢٤	القرآن، معجزة الإسلام الخالدة
٢٦	إعجاز القرآن ومراحل التحدي
٢٧	ألف) التحدي في مكة
٢٨	ب) التحدي في المدينة
٢٩	خصائص آيات التحدي
٣١	٢. إعجاز القرآن في نظر المعصومين <small>عليه السلام</small>
٣١	النبي الأكرم <small>صلى الله عليه وآله</small>
٣٢	الزهاء <small>عليه السلام</small>
٣٣	الإمام علي <small>عليه السلام</small>

٣٤	الإمام المجتبي عليه السلام
٣٤	الإمام الحسين عليه السلام
٣٥	الإمام السجاد عليه السلام
٣٦	الإمام الباقر عليه السلام
٣٦	الإمام الصادق عليه السلام
٣٧	الإمام الكاظم عليه السلام
٣٨	الإمام الرضا عليه السلام
٣٨	الإمام الجواد عليه السلام
٣٩	الإمام الهادي عليه السلام
٣٩	الإمام العسكري عليه السلام
٣٩	الإمام المهدي عليه السلام
٤١	٣. إعجاز القرآن عند علماء الشيعة
٤١	الشيخ المفيد رحمه الله
٤٤	السيد المرتضى رحمه الله
٤٥	الشيخ الطوسي رحمه الله
٤٧	الطبرسي رحمه الله
٤٩	قطب الدين الراوندي رحمه الله
٥٢	العلامة محمد باقر المجلسي رحمه الله
٥٥	العلامة شيرازي رحمه الله
٥٦	العلامة البلاغي رحمه الله
٥٧	١. الإعجاز التأريخي
٥٨	٢. الإعجاز في وجه الاحتجاج
٥٨	٣. إعجاز القرآن من وجهة الاستقامة والسلامة من الاختلاف والتناقض
٥٩	٤. إعجازه في وجهة التشريع العادل ونظام المدنية
٥٩	٥. الإعجاز في النظام الاخلاقي
٦٠	٦. إعجازه في وجهة علم الغيب
٦٠	العلامة الطباطبائي رحمه الله
٦٢	الإعجاز العلمي
٦٣	التحدي بمن أنزل عليه القرآن
٦٤	الإعجاز بالاحبار الغيبة
٦٤	تحدي القرآن بعدم الاختلاف فيه
٦٥	التحدي بالبلاغة
٦٧	آية الله الخوئي رحمه الله
٦٨	القرآن والمعارف

٦٩	القرآن وابتعاد معارفه عن التناقض (الاستقامة في البيان)
٦٩	القرآن ونظام التشريع
٧٠	القرآن واتقان المعاني
٧٠	القرآن والأخبار عن الغيب
٧١	القرآن والمطالب العلمية
٧٢	الإمام الخميني <small>رحمته الله</small>
٧٧	٤. إعجاز القرآن عند علماء السنة
٧٧	الخطابي
٧٨	الراغب الأصفهاني <small>رحمته الله</small>
٨٠	مناقشة ودراسة نظرية النظم الخاص للراغب
٨٤	مناقشة نظرية الصرفة
٨٥	الباقلائي
٨٧	الجرجاني
٨٨	الفخر الرازي
٨٩	١. عدم وصف المشاهدات
٩٠	٢. مراعاة الصدق
٩٠	٣. عمومية الفصاحة
٩٠	٤. تكرار عبارات القرآن
٩٠	٥. اهتمام القرآن في بيان الواجبات و...
٩٠	٦. شمولية القرآن
٩١	٧. مصدرية العلوم
٩١	الزملكاني
٩٣	القرطبي
٩٥	الزركشي
٩٧	السيوطي
١٠٥	عبد الله دراز
١٠٦	الرافعي
١١١	٥. وجوه إعجاز القرآن
١١١	سعة وجوه الإعجاز
١١١	أهم وجوه الإعجاز
١١١	الصرفة
١١٥	دراسة القول بالصرفة
١١٩	الإعجاز البياني

١١٩	البلاغة.....
١٢٠	التعابير الخاصة بالقرآن.....
١٢١	نفي المترادفات في القرآن.....
١٢٥	عذوبة الألفاظ وسلاسة العبارات.....
١٢٦	الأسلوب والنظم الجديد للقرآن.....
١٢٧	انسجام حروف ومعاني القرآن.....
١٢٨	تناسب الآيات ورعاية الفواصل.....
١٣٠	أقسام الفواصل.....
١٣١	فواتح السور.....
١٣٧	تشبيهات القرآن.....
١٤٠	الاستعارات في القرآن.....
١٤١	الاستعارة المجردة والمرشحة.....
١٤١	الاستعارة التخيلية.....
١٤٢	الاستعارة الوفاقية والعنادية.....
١٤٣	الكنايات في القرآن.....
١٤٤	إعجاز الإخبار عن المغيبات.....
١٤٧	سلامة النص.....
١٤٨	معجزة المعارف.....
١٤٨	تنوع المعارف القرآنية وسعتها.....
١٤٨	اتقان المعاني.....
١٥١	الإعجاز الصوتي.....
١٥٢	الإعجاز العددي.....
١٥٥	الجدول الزوجي والفرد للقرآن.....
١٦٤	الإعجاز العلمي للقرآن.....
١٦٤	١. الزوجية في القرآن.....
١٦٥	٢. الرياح لواقع.....
١٦٦	٣. كل شيء موزون.....
١٦٦	٤. الأرض مهادأ.....
١٦٦	٥. بسط الأرض.....
١٦٧	٦. أدوار الجنين.....
١٦٩	٧. أصل الحياة، الماء.....
١٦٩	٨. حركة الافلاك.....
١٧٠	هل من الصحيح تطبيق الآيات القرآنية على الاكتشافات العلمية؟.....
١٧٠	التذكير ببعض النقاط.....

١٧٢	رأي بعض المستشرقين في إعجاز القرآن.....
١٧٤	المعارضون لإعجاز القرآن.....
١٧٥	١. مسيلة الكذاب
١٧٦	٢. عبد الله بن المقفع.....
١٧٧	٣. عبد الله أبو شاعر الديصاني.....
١٧٧	٤. عبد الكريم ابن أبي العوجاء
١٧٧	٥. سجاح بنت الحارث التميمية.....
١٧٧	٦. أبو العلاء المعري.....
١٧٨	٧. أبو الطيب المتنبي.....
١٧٨	عدم استجابة الرسول لطلب المعجزة.....
١٨١	المصادر.....

المدخل

من جملة المباحث المهمة حول القرآن موضوع إعجاز القرآن، وقد تنبّه الباحثون والمفسرون لهذا البحث القرآني مبكراً، وما زالت هناك محاولات كثيرة وجديدة في هذا المجال، وتكشفت زوايا جديدة من عظمة هذا الكتاب السماوي، وسوف نتعرض في هذا الكتاب إلى ضرورة دراسة هذا الموضوع، وطرح رؤية المعصومين وعلماء المسلمين في الإعجاز القرآني، ثم نقوم ببحث وجوه الإعجاز باختصار مؤكّدين أنّه على الرّغم من أنّ كلّ وجه من الوجوه الإعجازيّة للقرآن كانت مثار إعجاب العلماء إلا أنّنا إذا أخذنا بنظر الاعتبار جميع الوجوه الإعجازيّة سوف تتكشف عظمة هذا الكتاب الإلهي أكثر من السابق.

والكتاب الذي بين يديك هو الطّبعة الثّانية المنقّحة عن طريق «مكتب التّخطيط وتقنية التّعليم» التابع لجامعة المصطفى (عليه السلام) العالمية، آملين أن تكون موضع استفادة طلبة العلم في هذا المركز والمراكز الأخرى.

ومن هنا نتقدّم بالشّكر الجزيل لجميع العاملين في هذا المكتب، وخصوصاً حجّة الإسلام والمسلمين الدّكتور عزّ الدّين رضا نجاد (مدير المكتب) سائلين المولى دوام التّوفيق لهم. وفي الختام نرى من اللّازم تقديم الشّكر للأساتذة الذين قاموا بتقديم ملاحظاتهم وانتقاداتهم للارتقاء بمستوى الكتاب.

تمهيد

ضرورة إعجاز القرآن

الهدف من إعجاز القرآن هو تحصيل اليقين والصدق بقول الأنبياء ﷺ، ومن الممكن أن يسلم بعض الأفراد بالرسالة ونبوة النبي دون الحاجة إلى الإعجاز، فيصدقوا بقوله بما يملكون من طهارة روحية، فيؤمنوا به طبقاً للشواهد والقرائن كالصدق والإمانة التي يتصف بها مدعي الرسالة، فلا يحتاجوا إلى معجزة فيسلموا بكل ما يقوله مدعي الرسالة ويطيعوه سواء تبيّنت لهم الحكمة أم لا، لأنهم وصلوا إلى يقين بأن صاحب الرسالة مبعوث من قبل الله.

غير أن البشر ليسوا كلهم على تلك الشاكلة، فلم يكن من السهل على البعض أن يؤمنوا بأي شخص ما لم تظهر لهم شواهد وأدلة على صدق مدعي الرسالة فلا يطيعوا المرسل إذا لم يحصلوا على اليقين بصدقه، ولذلك من الطبيعي أن يطلبوا منه أن يأتي بمعجزة، كدلالة على ارتباطه بعالم الغيب، ولكي يثبت لهم أنه شخص غير عادي، بل هو مبعوث من قبل الله سبحانه.

إن إثبات صدق وحقانية الأنبياء لهؤلاء يعتبر أمراً ضرورياً، وبالأخص بالنسبة لمن هم في موقف العناد والمخالفة، وليسوا مستعدين للإيمان بالأنبياء بسهولة.

وعلى أية حال لا بد لكل نبي أن يأتي بمعجزة لإتمام حجته على الناس، جاء في خطاب موسى ﷺ لفرعون:

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ﴾^١

فردّ عليه فرعون قائلاً: ﴿فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ عند ذلك ألقى موسى عصاه، فتحوّلت إلى ثعبان، كما يقول تعالى في القرآن: ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ﴾^١ وَتَرَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِ^٢.

إنّ مسألة الإعجاز كانت من أجل اثبات الرّسالة، فإذا لم تكن هناك معجزة فإنّ النّاس عادة ما ينفصّون عن النّبّي، ولا يؤمنوا به، فيُحرمون من فيض المعارف الإلهية، يقول العلامة الطّباطبائي: «الإعجاز ليس لإثبات المعارف الإلهية إنّما لإثبات الرّسالة وتصديق الأنبياء»^٣ ويقول الخواجه نصير الدّين الطوسي: «طريق معرفة صدقه، ظهور المعجزة على يده»^٤.

السّابقة التّاريخيّة لبحث الإعجاز

رغم أنّ بداية نشأة مباحث الإعجاز غير واضحة لنا تماماً، إلّا أنّ هذا الموضوع كان من أوائل المباحث المتعلّقة بالقرآن. لم يستخدم القرآن، الكريم لفظ «الإعجاز» بل كان يذكر بدلاً عن ذلك لفظ «الآية والبيّنة» ولذلك فإن مصطلح «المعجزة» ورد في بعض الروايات^٥ ثمّ شاع بعد ذلك كغيره من الاصطلاحات الأخرى،^٦ إضافة إلى ذلك فإنّ القرآن لم يذكر تعبير «خارق العادة» أيضاً، فاصطلاح المعجزة إنّما نشأ عن طريق علماء الإسلام.

نلاحظ في آثار المفسرين والمتكلّمين والأدباء أنّهم كانوا يعتقدون أنّ القرآن يعتبر دليلاً على صدق الرّسالة، ومن خلال الدّراسات التّاريخيّة يتبيّن أنّ مبحث الإعجاز بدأ في النّصف الثّاني من القرن الثّاني.^٧

حاول علماء الإسلام في بداية الأمر إثبات سلامة القرآن من التّناقض والاختلاف، نتيجة للشّبهات التي عرضها المخالفون، فتعرضوا لمباحث العبارات والألفاظ، والتّراكيب والفنون الأدبيّة البديعة، وتشبيهات القرآن؛ لكي يبيّنوا عظمتها، وفي نهاية القرن الثّاني وبداية القرن

١. الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٨٢-٨٦.

٢. الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٨٢-٨٦.

٣. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص ٢٧٥.

٤. بحار الأنوار (كتاب النّبوة)، المجلسي، ج ١١، ص ٧١.

٥. إعجاز القرآن، أبي عبيده، ص ٢٠٨.

٦. إعجاز القرآن البياني، ص ٤٨.

الثالث أضحت المباحث المطروحة في إعجاز القرآن أكثر استحكاماً، ودوّست في كتب مستقلة مثل: (معاني القرآن) ليحيى بن زياد الضراء (المتوفى ٢٠٧هـ)، وكتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن مثنى (المتوفى ٢٠٩هـ).

وفي القرن الثالث طرح أبو إسحاق إبراهيم نظام المعتزلي (المتوفى ٢٢٠هـ) نظرية الصّرفة المتعلقة بنظم القرآن، الأمر الذي ردّها تلميذه أبو عثمان عمرو ابن بحر بن محبوب المشهور بالجاحظ (المتوفى ٢٥٥هـ)، فدوّن كتاب «نظم القرآن»^١، وقد دوّن هذا الكاتب كتاب آخر تحت عنوان: «الحيوان» ذكر فيه إعجاز القرآن أيضاً^٢، وقد نالت تلك الأفكار اهتمام علماء آخرين ومن علماء القرن الثالث محمد بن سعيد الباهلي (المتوفى ٣٠٠هـ) الذي دوّن كتاب «إعجاز القرآن». وقد توسع بحث الإعجاز في القرن الرابع، فقام محمد بن يزيد الواسطي (المتوفى ٣٠٦هـ) بتدوين كتاب «إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه»، وعلي بن عيسى الرماني (المتوفى ٣٨٤هـ) - من متكلمي المعتزلة - كتاب «النكت في إعجاز القرآن»^٣، وأحمد بن إبراهيم الخطابي (المتوفى ٣٨٨هـ) رسالة مختصرة تحت عنوان «بيان إعجاز القرآن».

أمّا في القرن الخامس، فقد دوّن أبو بكر محمد بن طيب الباقلائي (المتوفى ٤٠٣هـ) كتاب (إعجاز القرآن) مبيناً حدوده، وبعد ذلك تعرّض القاضي عبد الجبار (المتوفى ٤١٥هـ) في المجلد السادس عشر من كتاب «المغني في أبواب التوحيد والعدل» إلى هذا الموضوع، إضافة إلى ذلك فقد تناول كلّ من: ابن سراقه (المتوفى ٤٢٠هـ)، والشّريف المرتضى (المتوفى ٤٣٦هـ)، و الشّيخ الطوسي (المتوفى ٤٦٠هـ)، وعبد القاهر الجرجاني (المتوفى ٤٧١هـ) صاحب كتاب (دلائل الإعجاز)، لهذا البحث أيضاً^٤.

وفي القرن السادس تعرّض كلّ من محمود بن عمر جار الله الزمخشري (المتوفى ٥٤٦هـ) في بداية تفسيره «الكشاف»، ورسالة أخرى تحت عنوان «إعجاز القرآن في سورة الكوثر» وكذلك القاضي عياض (المتوفى ٥٤٤هـ) في كتاب «إعجاز القرآن» وابن عطية الإندلسي (المتوفى ٥٤٦هـ) في بداية تفسيره «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» والشّيخ الطبرسي

١. إعجاز القرآن، ص ١٥٢.

٢. الحيوان، ج ٣، ص ٤٢٨٨، الفهرست، ابن النديم، ص ٦٥.

٣. المعجزة الكبرى، ص ٨٤، الإعجاز البياني، ص ٨٨.

٤. الإعجاز في دراسات السابقين، ص ١٥٠ - ٣٧٢.

(أمين الإسلام) (المتوفى ٥٤٨هـ) في مقدمة تفسير «مجمع البيان في علوم القرآن» والمرحوم سعيد بن حسين هبة الله الراوندي (المتوفى ٥٧٣هـ) المحدث الكبير في كتاب «إعجاز القرآن وتفسير سورة الكوثر».

ومنذ القرن السابع الهجري وحتى الوقت الحاضر دون علماء كبار أمثال الفخر الرازي (المتوفى ٦٠٦هـ) كتاب «إعجاز القرآن ودلائل الإعجاز»، الزمكاني (المتوفى ٦٥١هـ) كتاب «البيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن»، وأبو إسحاق الخرجي (المتوفى ٧٠٩هـ) كتاب «إيجاز البرهان في إعجاز القرآن» وأبو الخير الجزري الدمشقي (المتوفى ٨٣٣هـ) كتاب «إعجاز القرآن في آية يا أرض ابلعي»^١، والسيوطي (المتوفى ٩١١هـ) كتاب «معترك الأقران في إعجاز القرآن» والعلامة الطباطبائي (المتوفى ١٤٠٥هـ) و...

آثار السابقين في الإعجاز

غالباً ما يتناول علماء الإسلام إعجاز القرآن في كتب التفسير في ذيل الآيات (٨) من سورة الاسراء و(٢٣) من سورة البقرة، وآيات التحدي، أما بعض المفسرين فقد تناولوا بحث الإعجاز في مقدمة تفاسيرهم، مثل الراغب الأصفهاني، الفخر الرازي، الطبرسي، الزمخشري، البلاغي، العلامة الطباطبائي و... ولكن هناك من دون كتباً مستقلة في هذا البحث، أو قام بتخصيص مبحثاً مستقلاً في كتبه، وفيما يلي بعض من دون في هذا الموضوع طبقاً لتأريخ التدوين:

١. نظم القرآن، أبو عثمان بن بحر الجاحظ (المتوفى ٢٥٥هـ).
٢. إعجاز القرآن البياني، أبو عبد الله محمد بن يزيد الواسطي (المتوفى ٣٠٦هـ).
٣. تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة (المتوفى ٣٧٦هـ) قسم إعجاز القرآن.
٤. النكت في إعجاز القرآن، علي بن عيسى بن علي الرماني (المتوفى ٣٨٤هـ).
٥. بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان محمد بن إبراهيم الخطابي (المتوفى ٣٨٨هـ).
٦. إعجاز القرآن، القاضي أبو بكر محمد بن طيب الباقلائي (المتوفى ٤٠٣هـ).
٧. إعجاز القرآن والكلام في وجوهه، محمد بن النعمان، الشيخ المفيد (المتوفى ٤٠٣هـ).
٨. الشفاء، الشيخ الرئيس أبو علي سينا (المتوفى ٤٣٨هـ)، قسم المعجزات.

١. در آمدی بر تاریخ علوم قرآنی [بالفارسية]، ص ٢٥٤.

٩. الصّرفة في إعجاز القرآن، السيّد المرتضى (المتوفى ٤٣٦).
١٠. الإقتصاد في أصول الاعتقاد، محمد بن الحسن الطّوسي (المتوفى ٤٦٠).
١١. إعجاز القرآن، حسين أحمد النيشابوري (المتوفى ٤٦٥).
١٢. سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد الخفاجي (المتوفى ٤٦٦).
١٣. إعجاز القرآن الكبير، أبو بكر عبد القاهر عبد الرحمن الجرجاني (المتوفى ٤٧١) ومؤلف: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.
١٤. الإرشاد في أصول الاعتقاد، أبو المعالي (المتوفى ٤٧٨)، قسم المعجزات.
١٥. إحياء علوم الدين، الغزالي (المتوفى ٥٠٥)، قسم المعجزات.
١٦. الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عباس (المتوفى ٥٤٤).
١٧. نهاية الأقدام في علم الكلام، أبو الفضل محمد بن عبد الكريم (المتوفى ٥٤٨).
١٨. التنبيه على إعجاز القرآن، محمد بن أبي القاسم الخوارزمي (المتوفى ٥٦٢).
١٩. إعجاز القرآن، القاضي أبو الحسن علي بن زيد الرازي (المتوفى ٦٠٤).
٢٠. نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، الفخر الرازي (المتوفى ٦٠٤).
٢١. أحكام القرآن، ابن عربي محمد بن عبد الله (المتوفى ٦٢٨).
٢٢. مفتاح العلوم في البلاغة، أبو يعقوب بن أبي بكر السكاكي (المتوفى ٦٢٩).
٢٣. المثل السائر، ضياء الدين ابن اثير (المتوفى ٦٣٧).
٢٤. بديع القرآن، زكي الدين بن أبي الأصبع (المتوفى ٦٤٥).
٢٥. البيان في الإعجاز، عبد الواحد الزيلكاني (المتوفى ٦٥١).
٢٦. ثبوت النبوة والمعجزات، تقي الدين أبو العباس (المتوفى ٧٢٨).
٢٧. الفوائد المشوق إلى علم القرآن وعلم البيان، شمس الدين ابن القيم (المتوفى ٧٥١).
٢٨. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي (المتوفى ٧٩٤)، قسم الإعجاز.
٢٩. بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، مجد الدين الفيروزآبادي (المتوفى ٨١٧).
٣٠. تبصير الرحمن وتيسير المنان ببعض ما أشير إلى إعجاز القرآن، علي بن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل (المتوفى ٨٣٥).
٣١. شرح المصباح، أبو العباس أحمد بن عثمان الأزدي (المتوفى ٨٣٧).

٣٢. معتبر الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين السيوطي (المتوفى ٩١١)، الإتيقان في علوم القرآن، قسم الإعجاز.
٣٣. الإيجاز في علم الإيجاز، ضياء الدين بن غياث الدين (المتوفى ١٠٣٥).
٣٤. رسالة التوحيد، محمد عبده (المتوفى ١٣٢٣).
٣٥. الشهاب المبين في إعجاز القرآن، أبو القاسم بن محمد تقي (المتوفى ١٣٣٣).
٣٦. الوحي المحمدي، رشيد رضا (المتوفى ١٣٥٤).
٣٧. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي.
٣٨. التصوير الفني في القرآن، سيد قطب.
٣٩. المعجزة الخالدة، السيد هبة الدين الشهرستاني.
٤٠. البيان في تفسير القرآن، آية الله أبو القاسم الخوئي، قسم الإعجاز.
٤١. المعجزة الكبرى في القرآن، محمد أبو زهرة.
٤٢. الإعجاز العددي في القرآن، عبد الرزاق نوفل.
٤٣. الإعجاز البياني، عائشة عبد الرحمن، بنت الشاطئ.
٤٤. الإعجاز في دراسات السابقين، عبد الكريم الخطيب.
٤٥. إعجاز القرآن، العلامة محمد حسين الطباطبائي.
٤٦. التمهيد في علوم القرآن، محمد هادي معرفة (قسم الإعجاز).
٤٧. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، الأرئووط.
٤٨. پژوهشی در إعجاز علمی قرآن، محمد علي الرضائي الاصفهاني.
٤٩. إعجاز القرآن بين الأشاعرة والمعتزلة، مير سلطان.
٥٠. الإعجاز العلمي في القرآن الكريم، النجدي.

تعريف المعجزة

ترجع كلمة المعجزة في اللغة إلى «عجز» التي تعني مؤخر الشيء،^١ كما ورد هذا المعنى في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ تَنْزِعُ

١. مفردات الراغب، كلمة عجز، معجم مقاييس اللغة، ج ٤، ص ٢٣٤.

النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ^١.

يقول العلامة الطبرسي في معنى الآية ﴿أَعْجَازُ نَخْلٍ﴾، أي: أسافل نخل منقلع،^٢ وبما أن من عادة الإنسان العاجز الضعيف أن يكون في آخر القافلة سمي «عاجز أو ضعيف»، ومن هنا فإن الضعف والعجز موجود في مفهوم «العجز» رغم أن الضعف لا يعتبر جزءاً من المعنى الأصلي للعجز؛ ولذا فإن الإعجاز هو إيجاد العجز في الطرف المقابل.

أما المعجزة في الإصطلاح فهناك عدة تعاريف نشير هنا إلى عدد منها:

أ- يقول الخواجه نصير الدين الطوسي في تعريف المعجزة: «هو ثبوت ما ليس بمعتاد أو نفي ما هو معتاد مع خرق العادة ومطابقة الدعوة».^٣

ويعتقد الشيخ نصير الدين الطوسي (المتوفى ٦٧٢) أنه ليس هناك فرق بين الإثبات العملي ونفيه، بل المهم هو «خرق العادة» سواء كان بشكل إثباتي، كتبديل العصا إلى حية، أو بشكلها السلبي، كسلب القدرة عن الشيء، كما حدث في قصة ذبح إبراهيم لولده إسماعيل، أو صيرورة النار برداً وسلاماً على إبراهيم و...

ب- عرف جلال الدين السيوطي (المتوفى ٩١١) المعجزة، كالتالي:

«أمر خارق العادة مقرون بالتحدي، مصون عن المعارضة».^٤

ج- آية الله الخوئي، قال في تعريف المعجزة: «أن يأتي المدعي من المناصب الإلهية بما يخرق نواميس الطبيعة، ويعجز عنه غيره شاهداً على صدق دعواه».^٥

شروط الإعجاز

١. إدعاء النبوة

بعداً فعلاً ما معجزة إذا ما قام بها الشخص لإثبات الحق، ولذلك فإن حركة الشمس والقمر والنجوم و... لا تعتبر معجزة رغم عجز الإنسان عنها. لأنها فعل الله سبحانه وتعالى دون

١. القمر: الآيتان ١٩، ٢٠.

٢. مجمع البيان، ذيل الآية ٢٠ من سورة القمر، ص ٢٨٧.

٣. كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص ٢٥٥.

٤. الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ج ٤، ص ٣.

٥. البيان في تفسير القرآن، ص ٣٣.

واسطة، ولم يذكرها مدعي النبوة كدليل على ادعائه، بل كانت قائمة قبل ذلك.

٢. مطابقة الدَّعوى

على مدعي النبوة أن يثبت كل ما يدعيه، فإذا ما ادعى شفاء الأعمى مثلاً، فلا بد أن يتحقق هذا الأمر، أما إذا سمع الأصم بعد ذلك الإدعاء، فإن رجوع السمع للشخص لا يعد معجزة لذلك الشخص، رغم خروج هذه القدرة عن استطاعة الآخرين، كما هو الحال في مسيلمة، فقد كان كاذباً مدعياً للنبوة، فعندما سمع امتلاء البئر بالماء بعد جفافها عن طريق نبي الإسلام، كعلامة على صدق نبوته (بعدما أخذ في فمه المبارك مقداراً من الماء ثم بصقه في البئر) قال مسيلمة: أنا أستطيع أن أقوم بهذا الفعل أيضاً. وعندما بدأ مسيلمة بعمله وقع ما هو خلاف ادعائه، فقد جف الماء القليل الذي كان في البئر، وقد اعتبر مسيلمة جفاف البئر دليلاً على نبوته.^١

٣. عجز الآخرين

لابد أن تكون المعجزة بحيث يعجز الآخرون عن الإتيان بمثله، فإذا كان بالإمكان الإتيان بها وإن كان عن طريق الآخرين، أو عن طريق التعليم، فلا يعد ذلك أمراً معجزاً؛ ولذا فإن المعجزة ليست أمراً يمكن تعلمه، كما أن السحر وأمثاله من العلوم الغريبة والمهارات لا تصنف في عداد المعجزات؛ لأن تعليمها وتعلمها أمراً ممكناً لا يعجز عنها الآخرون، ولذلك فإن سحرة فرعون لما رأوا ما قام به موسى عليه السلام وأدركوا أنه ليس من جنس السحر، حتى يمكن تعلمه آمنوا به، يقول تعالى: ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ * فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ * قَالُوا ءَامَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ^٢ ومن هنا يمكن التفريق بين المعجزة والسحر بنقطتين:

أ- المعجزة لا يمكن تعليمها وتعلمها عن طريق البشر خلافاً للسحر والعلوم الغريبة، التي تعتبر أموراً أكتسابية يمكن تعلمها.

ب - المعجزات لا تتقيد بأمر خاص خلافاً للسحر الذي يتحدد بما تعلمه الساحر من

١. المصدر نفسه، ص ٣٤.

٢. الشعراء: الآيات ٤٥ - ٤٨.

أعمال، ولذلك لا يمكنه أن يلبي كل رغبة، أما المعجزة فهي تتعلق بجميع الأمور إلا المحالات العقلية، كمعجزة صالح الذي أخرج الناقة من صخور الجبال.

٤. اقترانها بالتحدي

التحدي يعني طلب المبارزة، فعلى مدعي النبوة في المعجزات أن يأتي بأمر خارق للعادة ليثبت عجز الآخرين، ويثبت دعوته، كما هو الحال في تحدي نبي الإسلام في مسألة القرآن، يقول تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^١.

ومن هنا فإن العمل الذي لا يكون مصحوباً بالتحدي لا يعتبر معجزة وإن كان عديم النظير، وعجز الآخرون عن الإتيان بمثله، بل يطلق عليه «كرامات» مثل كرامات المعصومين، الأولياء الصالحين والمتقين. ومن هذا المنطلق فإن المعجزة عبارة عن كل عمل خارق للعادة مقروناً بالتحدي من قبل مدعي النبوة ومطابقاً لإرادة ما يريده الرسل ويسعون إلى تحقيقه في الأوقات اللازمة والضرورية.

الإعجاز وقانون العلية

قانون العلية من الأصول القطعية الحاكم على العالم، أما علة العلل والعلّة الأصلية فهي تتجلى في الله سبحانه وتعالى الوجود المطلق،^٢ ولا شك في شمول هذا الأصل؛ لأن الله تعالى خلق كل شيء عن طريق علته، ونظام العالم هو نظام السبب والمسبب.

وكذلك تظهر ضرورة مسألة العلية من خلال بعض الروايات، يقول العلامة الطباطبائي في الحديث «أبى الله أن تجري الأمور إلّا بأسبابها»: «ويظهر من آيات القرآن أن أصل العلية تجري في مسألة الحياة والموت والرّزق و...»^٣.

ومع الأخذ بنظر الاعتبار هذا الأصل (أصل العلية) وشموله، كان لابد من دراسة مكانة المعجزات، وهل أنها تقع خارج قوانين العلية أم لا؟ فالبعض قام بإخراج المعجزات من إطار

١. البقرة: الآية ٢٣.

٢. بداية الحكمة، ص ١٥٦.

٣. الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٧٤.

قوانين العلة والمعلول، ومن هذا المنطلق فإن شفاء الأعمى أو إحياء الموتى، تقع خارج نطاق هذا القانون. ولكن التدقيق في المسألة يظهر أن المعجزات لا تخرج عن إطار هذا البحث، كما بين ذلك الفيلسوف المعاصر والمفسر الكبير العلامة الطباطبائي.

فالعلل يمكن تقسيمها إلى نوعين: علل عادية، وعلل غير عادية.

النوع الأول من العلل، أي العلل العادية تقع تحت إختيار البشر. وهي علل ربما يكون قسم منها غير مكتشف حتى الآن، ومن الممكن أن يكتشف في المستقبل، فمثلاً علة الحرارة يمكن أن تكون النار، الشمس، أنواع الغازات... فهناك أمور لم تكتشف حتى الآن، ولكن البشر يمكن أن يكتشفوها في المستقبل، كما أن هناك الكثير من الأسرار المكتشفة الآن كانت إلى زمن قريب مجهولة لدى العلماء.

أما العلل غير العادية، فهي العلل التي لا يستطيع البشر كشفها ولا على ذلك آلاف السنين، وهذه هي التي تنطبق عليها المعجزات؛ إذ لا تستطيع القدرة البشرية أن تتوصل إليها، كما هو الحال في إحياء الموتى، وهي أمور مختصة بالقدرة الإلهية ولا يستطيع البشر ذلك إلا بإذن الله، يخاطب الله سبحانه وتعالى عيسى عليه السلام فيقول: ﴿...وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنْفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي...﴾^١ ومن الواضح أن العلل العادية لا تنحصر في حدود العلل غير المكتشفة فقط، كما أنها لا تنحصر بالعلل العادية أيضاً، فالعلل غير العادية بالنسبة إلى النظام المادي أفضل، والنظام المادي لا يمكن أن يوجد فيه أي نوع من التزاحم، أو الخلل، وليس فقط لا يوجد تنافي بين النظام الإعجازي والنظام العادي، بل أن الأول حاكم عليها فالجميع له منشأ إلهي؛ لأنه ينشأ من علة العلل.

القرآن، معجزة الإسلام الخالدة

كان الأنبياء في الأديان السابقة يأتون بمعاجز تتناسب مع زمانهم، كما هو الحال في معجزة إبراهيم عليه السلام، موسى عليه السلام، وعيسى عليه السلام، ولكن الأمر المسلم هو أن معجزات هؤلاء الأنبياء كانت تختص بزمنهم ولا تتعدى إلى أزمنة أخرى، وأما معجزة دين الإسلام الذي بدأ ببعثة

١. المائدة: الآية ١١٠.

النبي ﷺ فقد كانت من نوع آخر؛ فمعجزته خالدة منذ أن بدأت الرسالة وحتى القيامة، وتلك المعجزة لم تكن إلا معجزة القرآن الكريم.

أما علة خلود القرآن فتكمن في خلود رسالة النبي ﷺ في جميع الأزمنة والأمكنة ولجميع البشر، فنبى الإسلام محمد ﷺ هو خاتم الأنبياء، مبعوث لهداية جميع البشر إلى يوم القيامة، ودينه هو الإسلام، وكتابه القرآن، ورغم أن للرّسول ﷺ معجزات أخرى كشق القمر، المعراج و... غير أن أكبر معجزاته هو القرآن الكريم، الذي يتناسب مع جميع الأزمنة. يقول العلامة الطباطبائي:

لا يختص القرآن الكريم في موضوعاته بأمة من الأمم كالأمة العربية مثلاً - كما لا يختص بطائفة من الطوائف، بل خطابه عام يشمل المسلمين وغير المسلمين، ودلينا على هذا الخطابات الكثيرة الموجهة في القرآن إلى الكفار والمشرّكين وأهل الكتاب واليهود وبني إسرائيل والنصارى، فقد احتج مع كل طائفة من هذه الطوائف ودعاهم إلى معارفه الحقّة.^١

فالقرآن كتاب يتضمن مطالب سامية لا تختصّ بزمان ومكان خاص، كما يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ فَصْلٍ وَمَا هُوَ بِأَهْزَلٍ﴾.^٢

ومعارفه تتخطى حدود الزمان والمكان، وهي دليل حقايقته وحقايق النبي ﷺ ولا تختصّ بمجموعة خاصة من البشر.

ورغم أن الشعر في زمن النّزول بلغ القمة، مع ذلك تحدّى القرآن المخاطبين في عصره بأن يأتوا بمثله إن استطاعوا، بيد أن الإعجاز البياني هو أحد جوانب إعجاز هذا الكتاب العظيم، ومن الطبيعي أن يتناسب القرآن مع عصر النّزول، وهذه إحدى السنن الإلهية، فإن المعجزة لا بد وأن تتناسب مع عصرها، فإذا كان السحر قد وصل الذروة في عصر موسى عليه السلام فأعطى الله سبحانه وتعالى نبيه العصا واليد البيضاء، وفي عصر عيسى عليه السلام وصل الطب اليوناني إلى أوج تطوره، فكان الأطباء يقومون بأعمال غير عادية، فوهب الله تعالى نبيه عيسى عليه السلام معجزة شفاء المرضى وإحياء الموتى، أما الفصاحة والبلاغة وفنون الأدب والخطابة، فقد كانت هي الفنون المتداولة في عصر الرّسول، وبلغت مرتبة عالية، فكانت تعقد مسابقات الخطابة والشعر في سوق عكاظ، ومن الشواهد على ذلك كتابته «المعلقات السبع»

١. القرآن في الإسلام، ص ٢٠.

٢. الطارق: الآيتان ١٣، ١٤.

بماء الذَّهَب وتعليقها على الكعبة.

ومن خصائص كلام الله تعالى هو إعجازه البياني، وقد سَلَّم الجميع بذلك والشاهد على ذلك كلام «ابن السكيت» مع الإمام الرضا عليه السلام فقد سأل الإمام الرضا عليه السلام قائلاً:

لماذا بعث الله محمداً وعلى جميع الأنبياء بالكلام والخطب؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إن الله لما بعث موسى عليه السلام كان الغالب على أهل عصره السحر، فأتاهم من عند الله بما لم يكن في وسعهم مثله، وما أبطل به سحرهم، وأثبت به الحجّة عليهم. وإن الله بعث عيسى عليه السلام في وقت قد ظهرت فيه الزمّانات، واحتاج الناس إلى الطّب، فأتاهم من عند الله بما لم يكن عندهم مثله، وبما أحيا لهم الموتى وأبرأ الأكمه والأبرص بإذن الله، وأثبت به الحجّة عليهم. وإن الله بعث محمداً في وقت كان الغالب على أهل عصره الخطب والكلام... فأتاهم من عند الله من مواعظه وحكمه ما أبطل به قولهم وأثبت به الحجّة عليهم.^١

أضف إلى ذلك فإن القرآن كتاب لا يختص بزمان معين، فقد جاء لهداية وتربية جميع البشر، فهو يتضمن أفضل الإرشادات لتربية الإنسان، بل يمكن القول إن القرآن هو كتاب «بناء الإنسان» مع الأخذ بنظر الاعتبار الهدف الذي نزل من أجله القرآن، وهو تربية ورشد البشرية، ولذلك لا بد أن يتضمن جميع الأشياء، كما قال تعالى: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾.^٢

فالآية المذكورة تشير إلى أن هذا الكتاب يشمل كل شيء؛ لأن الهدف من نزوله هو تربية الإنسان، والأخذ بيده نحو التكامل والرشد.

وبعبارة أخرى: إن هذا الكتاب يتضمن كل ما من شأنه، وكل ما هو ضروري لسلوك طريق الهداية، وفي تنمة الآية ذكر الله أهداف أخرى لنزول القرآن مثل: الهداية، والرحمة، والبشارة للمسلمين، وهذه الخصائص نفسها هي سبب الخلود الأبدي للقرآن، وبذلك يكون معجزة لجميع العصور، ولجميع الأجيال.

إعجاز القرآن ومراحل التحدي

كما سبق أن قلنا أن من جملة شروط الإعجاز هو التحدي والإتيان بمثل ما جاء به، فقد

١. أصول الكافي، كتاب العقل والجهل، الرواية ٢٠.

٢. النحل: الآية ٨٩.

تحدى القرآن - المعجزة الكبرى لنبي الإسلام ﷺ - مخالفه بأن يأتوا بما يشابهه، طالباً منهم المعارضة، والتّحدي عام يشمل جميع المخالفين في جميع الأزمنة؛ لأنّه دعا الجميع بأن يأتوا بذلك، كما أن بعض آيات التّحدي نزلت في مكة، والأخرى في المدينة، وبعض الآيات ورد التّحدي فيها بجميع القرآن، والبعض الآخر بعشر سور، وأخرى بآية واحدة، والذي يبدو أنّ السّير الزّمني لآيات التّحدي هو كالآتي:

ألف) التّحدي في مكة

١. ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَلْ لَا يُؤْمِنُونَ * فَلْيَاتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾^١
٢. ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَا قُلُوبَهُمْ فَنُحِشُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِينَ وَادْعُوا مَنْ أَسْطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^٢
٣. ﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَّغْنَا قُلُوبَهُمْ فَنُحِشُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنْ أَسْطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^٣

إنّ تحدي القرآن للمشرّكين في مكة وقبل الهجرة الى المدينة كان على النحو التالي:
 أولاً: تحداهم بأن يأتوا بمثل القرآن، أي: بنفس المقدار الذي كان نازلاً في ذلك الوقت، ثمّ بعشر سور، ثمّ بسورة واحدة، فأول آية من آيات التّحدي كانت في سورة الطّور في الآية الرابعة والثلاثين، حيث كان المشركون يقولون إنّ القرآن هو كلام بشري منسوب كذباً إلى الله سبحانه وتعالى فردّ عليهم القرآن قائلاً: ﴿فَلْيَاتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ...﴾^٤

وفي المرحلة الثانية تحداهم بعشر سور وهي الآية الثالثة عشرة قال تعالى: ﴿...فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ...﴾^٥ وفي المرحلة الثالثة كان التّحدي بسورة واحدة، وهي الآية الثامنة

١. الطّور: الآيتان ٣٣، ٣٤.

٢. هود: الآية ١٣.

٣. اليونس: الآية ٣٨.

٤. الطّور: الآية ٣٤.

٥. هود: الآية ١٣.

والثلاثون من سورة يونس، يقول تعالى: ﴿...فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ...﴾^١. وفي جميع الآيات النازلة في مكة استخدم القرآن تعبيراً كان يستخدمه المشركون مثل: «تقوله، افتراه» كما استخدم التعبير ﴿...إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وهو إشارة إلى عناد ولجاجة هؤلاء المشركين.

ب) التحدي في المدينة

١. ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزِقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾^٢.

٢. ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^٣.

ومع مرور أكثر من ثلاث عشرة سنة على نزول القرآن وهجرة النبي ﷺ إلى يثرب استمر سير التحدي في مرحلتين، الأولى التحدي في سورة واحدة، وهو في الواقع استمرار لآخر تحدي في مكة، يقول تعالى في سورة البقرة: ﴿...فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ...﴾ في هذه الآية يخاطب الله سبحانه وتعالى المشركين إذا كان الشك والريب لا يزال يخيم على صدوركم بعد انتشار الإسلام، فأتوا بسورة مثل القرآن إذا كنتم صادقين. وفي تنمة الآية ينبؤهم القرآن بأن العاقبة السيئة والهلاك سوف يكون من نصيبهم في نهاية المطاف.

ونتيجة لعجز المخالفين وعدم إسلامهم في المدينة، أوعدهم بنار جهنم، بعد إتمام الحجة عليهم واتّضاح الحقائق. ورد في الآيات المدنية تعبير: «...وَلَنْ تَفْعَلُوا...» وهذا التعبير يريد أن يبين أن مشركي مكة إذا كانوا جاهلين بمعجزهم قبل هجرة النبي ﷺ فإنهم قد

١. البقرة: الآية ٢٣.

٢. البقرة: الآيتان ٢٣، ٢٤.

٣. الإسراء: الآية ٨٨.

اكتشفوا هذا العجز عندما أنتقل الرسول ﷺ إلى المدينة، وبعد مرور عدة سنوات من انتشار الإسلام، واتّضح عظمة القرآن. يقول المرحوم الطبرسي في ذيل الآية الثالثة والعشرين من سورة البقرة:

عندما تبيّن عجزكم وعجز جميع الخلق عنه، وعلمتم أنّه من عندي فلا تقيموا على التّكذيب به، ومعنى (ولن تفعلوا) أي: ولن تأتوا بسورة مثله أبداً؛ لأنّ لن تنفي على التأييد في المستقبل.^١

أما المرحلة الثانية للتّحدي في المدينة، فهو التّحدي بمثل القرآن يقول الله سبحانه وتعالى في سورة الإسراء: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذِهِ الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ...﴾ يقول الزّمخشري في ذيل الآية المذكورة: «لأنّ الشّروط وقع ماضياً، وبيان عجز المخالفين منذ بدء نزول القرآن، وفي مقام بيان استحالة الإتيان بمثل القرآن».^٢

خصائص آيات التّحدي

يمكن الوقوف على خصائص آيات التّحدي المذكورة سابقاً من خلال دراسة تلك الآيات، والآيات المشابهة لها، وتبيّن سير نزولها، وهي:

١. السّير التّدرجي:

تتميز آيات التّحدي من أعلى مستوياتها إلى أدناها بثلاث مراحل. والظاهر أنّ التّحدي الأوّل كان بالإتيان بمثل القرآن، ثمّ التّحدي بعشر سور، ثمّ بسورة واحدة، ما يشير إلى عظمة القرآن واستحالة الإتيان بمثله.

٢. شقاء المخالفين:

إنّ قبول وعدم قبول القرآن يرتبط بمسألة سعادتهم وشقائهم، فإذا ما أصروا على عنادهم ولجاجهم ولم يسلموا تجاه دعوة الحقّ، فإنّ الشّقاء سوف يكون من نصيبهم، والعاقبة السيّئة في انتظارهم، أمّا إذا قبلوا دعوة الحقّ، وآمنوا بذلك، فإنّهم سوف يختاروا طريق السّعادة.

٣. الاستفادة من جميع الإمكانات:

يخاطب الله سبحانه وتعالى البشر بأنّه يمكنكم الاستفادة من جميع الوسائل والقوى،

١. مجمع البيان، ج ١، ص ١٥٩، ذيل الآية ٢٤ من سورة البقرة.

٢. الكشف عن حقائق وغوامض التّنزيل، ج ٢، ص ٦٩٢، ذيل الآية ٨٨ من سورة الإسراء.

وهذه المسألة تظهر أن جميع البشر عاجزون عن الإتيان بمثل القرآن وإن كان بعضهم لبعض ظهيراً في هذه المسألة.

٤. التنبأ بعدم القدرة على ذلك وإلى الأبد:

يتنبأ القرآن بعجز البشر عن الإتيان بمثل القرآن، ما يشير إلى القرآن وإعجازه، فالله سبحانه وتعالى يتنبأ بأنه لا يمكن لأي بشر وفي أي وقت من الأوقات الإتيان بمثل القرآن، فالآية الثامنة والثمانون من سورة الإسراء تتضمن خبراً غيبياً عن المستقبل.

٥. كذب المخالفين:

يشير الله سبحانه وتعالى إلى كذب المخالفين في آيات عدة، وذلك من خلال العبارة: «...إن كنتم صادقين» وأن مخالف النبي ﷺ ليسوا من أهل الصدق، وأنه قد أتضح لهؤلاء أن القرآن كلام إلهي، وأنهم في الحقيقة يطلبون مصالحهم الدنيوية من خلال الشرك، ومن لم يكن كاذباً فإنه سوف يؤمن بدعوة النبي ﷺ.

٦. إقرار المخالفين بإلهية القرآن:

يعترف مخالفو القرآن ضمناً بالمصدر الإلهي للوحي، وإن هذا الكلام والمعارف السماوية لا يمكن أن تصدر من إنسان؛ لأنهم كانوا يعلمون بتاريخ وماضي النبي ﷺ أنه كان صادقاً أميناً وكان يعيش فيما بينهم، وقبل ادعاء الرسالة كان إنساناً عادياً.

٧. شهادة العقل على إعجاز القرآن:

يحكم العقلاء في ذلك الزمان وكل زمان بأن القرآن قد نزل من عند الله سبحانه وتعالى؛ لأنه وبعد مرور سنوات من نزوله في مكة والمدينة لم يستطع أحد أن يأتي بمثله، وهذا الأمر مستمر حتى هذه اللحظة، ولذلك فالعقل يحكم بأن القرآن هو من عند الله تعالى.

٨. الحكم المتعجل للمخالفين:

حكم بعض المخالفين على القرآن حكماً خاطئاً وغير صحيح، مع أن القرآن يقول 'إن هؤلاء لو تدبروا آياته فسوف يتوصلون إلى أنه من عند الله تعالى وإلا لوجدوا فيه اختلافاً؛ لأن سبب الاختلاف يكمن في توسع وتنوع مطالبه، وطول زمان التدوين و... مع أن القرآن في جميع تلك الصفات بعيداً عن الاختلاف والتضاد.

١. ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ (النساء: الآية ٨٢).

إعجاز القرآن في نظر المعصومين عليه السلام

الأئمة عليهم السلام هم أعلم الناس بعد نبي الإسلام بالقرآن وإعجازه ومعارفه، وفي هذا المختصر سوف نطل إطلالة سريعة على كلام الأئمة عليهم السلام؛ لنتزود من بحر علومهم من خلال التدبر في رواياتهم عليهم السلام، والملاحظ أنهم لم يستخدموا كلمة المعجزة بوصف الإعجاز، ولكنهم وصفوا عظمة القرآن وعجائبه إشارة منهم إلى عدم وجود نظير للقرآن، أشار إليها الكليني، وبعض المحدثين في روايات «فضل القرآن»^١.

النبي الأكرم صلى الله عليه وآله

الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله هو مهبط الوحي أنزل الله على قلبه آيات القرآن، فالقرآن الكريم منذ بدء نزوله في «غار حراء» وحتى آخر آية منه في «غدير خم» كان بالنسبة للنبي صلى الله عليه وآله كتاباً معجزاً. يصف الرسول صلى الله عليه وآله إعجاز القرآن وعجائبه قائلاً:

أ- «عليكم بالقرآن، فإنه الشفاء النافع والدواء المبارك، وعصمة لمن تمسك به، ونجاة لمن تبعه، لا يعوج فيقوم أولاً يزيغ فيستعجب، لا ينقضي عجائبه، ولا يخلق كثرة الرد»^٢.

ب- إن هذا القرآن هو النور المبين والجل المتين، والعروة الوثقى والدرجة العليا، والشفاء الأشفي والفضيلة الكبرى والسعادة العظمى، من استضاء به نوره الله، ومن عقد به أموره عصمه الله، ومن تمسك به أنقذه الله»^٣.

١. الأصول من الكافي، كتاب فضل القرآن.

٢. بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٨٢.

٣. المصدر نفسه، ص ٣١.

ج - فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.^١
 د - ظاهرة أنيق وباطنه عميق... لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائب، فيه مصابيح الهدى، ومنازل الحكمة.^٢

من خلال ملاحظة كلمات النبي ﷺ نرى أنَّ أهمَّ الوجوه الإعجازية للقرآن تتعلق بمحتواه ومضمونه، حيث يقول: القرآن كتاب هداية، كتاب شفاء، نور وفضل، وكذلك قوله: لا ينقضي عجائبه، فالقرآن يتميز عن باقي الكتب الأخرى بمحتواه، وباطنه العميق، الأمر الذي تفتقده الكتب الأخرى. ومن خصائص القرآن أيضاً، أنه لا يبلى على مرَّ العصور والذهور، بل هو غرض طري لكلِّ جيل.

أشار الرسول الأكرم ﷺ في جانب آخر من كلامه إلى أفضلية القرآن سواء كان ذلك باللفظ أم بالمعنى، أي: «الإعجاز اللفظي والمعنوي» عندما قال: فضل القرآن على سائر الكلام، كفضل الله على خلقه.

وفي عبارة أخرى: «ظاهرة أنيق» أي: ألفاظه وعباراته» والتي تشمل الاستعارات والكنائيات و... جميع تلك تعتبر معجزة لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله.

الزَّهراء ع

أشارت السيِّدة الزَّهراء ع إلى عظمة هذا الكتاب الإلهي في الخطبة المعروفة، التي نقلها ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة»^٣ والسيد المرتضى في كتاب «الشافعي»^٤ والشيخ الصدوق في كتاب «علل الشرائع»^٥ حيث قالت:

كتاب الله الناطق، والقرآن الصادق، والنور الساطع، والضياء اللامع، بينة بصائره، منكشفة سرائره، متجلية ظواهره، مغتبط به أشياعه، قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤدي إلى النجاة استماعه، به تنال حجج الله المنورة، وعزائمه المفسرة، ومحارمه المحذرة، وبيئاته الجالية، وبراهينه الكافية...^٦

١. المصدر السابق، ص ١٩.

٢. المصدر نفسه، ص ١٧.

٣. شرح نهج البلاغة، ج ١٦، ص ٢١٠.

٤. تلخيص الشافعي، ج ٣، ص ١٣٩.

٥. علل الشرائع، ص ٢٣٨.

٦. كشف الغمة في معرفة الأئمة، ج ١، ص ٤٨٣.

أشارت فاطمة عليها السلام في العبارة المذكورة إلى عظمة ظاهر القرآن وباطنه، وأنه كتاب إلهي المصدر لا إنساني، كتاب لا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله فريد في علومه، كتاب إعجازه يكمن في لطائفه وأسراره العالية، كتاب دليله من نفسه ظاهره يشهد على حقايقه، يهدي من إتبعه إلى الجنة والرضوان، فهو إلهي المحتوى، وإن استماعه يهدي إلى الفلاح والفوز، أي أنه يتمتع بعبارات وألفاظ خاصة، بحيث أن الإنصات إليه يؤدي إلى الهداية، وهي الصفة التي لا توجد في غيره من الكتب الأخرى «الإعجاز الصوتي».

الإمام علي عليه السلام

أمير المؤمنين المفسر الأكبر للقرآن ووصي النبي الأكرم صلى الله عليه وآله كثيراً ما كان يشير إلى عظمة القرآن في خطبه وكلامه، نذكر بعضاً من هذه الأقوال:

١. «فيه تبيان كل شيء... وأنه لا اختلاف فيه، فقال سبحانه: ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً، وإن القرآن ظاهره أنيق، وباطنه عميق، لا تنقضي عجائبه، ولا تنقضي غرائبه، ولا تكشف الظلمات إلا به»^١.

٢. «تعلموا القرآن، فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه، فإنه ربيع القلوب واستشفوا بنوره، فإنه شفاء الصدور»^٢.

يصف الإمام عليه السلام القرآن في هذه العبارات بأنه لا اختلاف فيه من حيث الظاهر والباطن، وهو شفاء للصدور، كما أشار الإمام عليه السلام إلى أن القرآن الكريم يتميز بصفات لا توجد في بقية الكتب الأخرى، بل هي من مختصاته.

٣. «ولا تخلقه كثرة الرد ولوج السمع، من قال به صدق، ومن عمل به سبق»^٣.

٤. «ذلك القرآن فاستنطقوه ولن أخبركم عنه، إلا أن فيه علم ما يأتي والحديث عن الماضي، ودواء داءكم ونظم ما بينكم»^٤.

٥. «واعلموا أن هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش، والهادي الذي لا يضل... وما

١. نهج البلاغة، صبحي الصالح، الخطبة ١٨.

٢. المصدر السابق، الخطبة ١١٠.

٣. المصدر نفسه، الخطبة ١٥٦.

٤. المصدر نفسه، الخطبة ١٥٨.

جالس هذا القرآن أحد إلّا قام عنه بزيادة أو نقصان: زيادة في هدى، أو نقصان في عمى... فإنّ فيه شفاء من أكبر الداء، وهو الكفر والغي والضلال...»^١

٦. «ثم أنزل عليكم الكتاب، نوراً لا تطفأ مصابيح، وسراجاً لا يخبر توقده وبحراً لا يدرك قعره...، فهو معدن الإيمان وبحبته، وينابيع العلم وبحوره، ورياض العدل وغدرانه...، جعله الله رياً لعطش العلماء، وريعاً لقلوب الفقهاء، ومحاجاً لطرق الصلحاء»^٢.

أشار الإمام عليه السلام في العبارات المتقدمة إلى وصف إعجاز القرآن فمحتواه ليس له نظير خارق للعادة؛ لأنه لا يخلق بمرور الزمان، والدّهور فهو ليس كغيره من الكتب، التي تقل قيمتها بمرور الزمن، فمحتوى القرآن عند الامام علي عليه السلام يكمن في أسلوبه فهو معدن العلم والإيمان، ونور لا يخبر توقده.

ومن البديهي إنّ هذه الصفات لا يمكن أن تتحقق دون أن يكون مصدره إلهي، ولذلك فهو يتحدث عن الأخبار الغيبية والمستقبلية في آن واحد؛ أخبار لا يمكن الوصول إليها دون الإتصال بمصدر غيبي؛ الأخبار الذي لا يتمكن منه الشخص إلّا بالارتباط بالله.

الإمام المجتبي عليه السلام

يقول الإمام الحسن عليه السلام في وصف القرآن: «إنّ هذا القرآن فيه مصابيح النور، وشفاء الصدور، فليجل جال بصره، وليلحم الصفة فكره، فإنّ التفكر حياة قلب البصير، كما يمشيء المستنير في الظلمات بالنور»^٣.

فالإمام في هذه الرواية عليه السلام يعتبر القرآن كتاباً متميزاً يفتح بصيرة الإنسان، وتلك الخصوصية هي التي جعلت من القرآن كتاباً لا نظير له ولا شبيه.

الإمام الحسين عليه السلام

وصف الإمام الحسين عليه السلام القرآن، واعتبره كتاباً معجزاً، يتصف بأربع صفات قال: «كتاب الله - عز وجل - على أربعة أشياء: على العبارة والإشارة، واللطايف والحقائق، فالعبارة للعوام،

١. المصدر نفسه، الخطبة، ١٧٦.

٢. المصدر نفسه، الخطبة، ١٩٨.

٣. المصدر السابق، ج ٨٩، ص ٣٢.

والإشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للأنبياء»^١.

فالقرآن عند الإمام الحسين عليه السلام كتاب خارق للعادة لا شبيه له ولا نظير، وهذا الوصف يشمل ظواهره وألفاظه وحقائقه، فظاهر عبارات القرآن لها رونق خاص تجذب إليه قلوب الناس، أما إشارته المنبثقة من إلفاظه وعباراته فهي للعلماء والخواص، والأفضل من ذلك لطائفه التي يستفيد منها أولياء الله.

أما المرحلة الأخيرة فهي حقائق القرآن التي تختص بالأنبياء أي: النبي صلى الله عليه وآله والأنبياء المعصومين عليهم السلام، وعلى قصر عبارات هذه الروايات بين الإمام عظمة وإعجاز القرآن، سواء كان في ألفاظه أم في باطنه، حيث يستطيع كل شخص أن يأخذ من هذا البحر العميق بمقدار استعداده وقابليته. ولذلك فإن القرآن هو «كتاب إلهي» لا شبيه له ولا نظير.

الإمام السجاد عليه السلام

يصف الإمام السجاد عليه السلام عظمة القرآن من خلال أدعيته ومناجاته، حيث يقول عند ختم القرآن. أ- «اللهم إنك أعنتني على ختم كتابك، الذي أنزلته نوراً، وجعلته مهيمناً على كل كتاب، أنزلته وفضلته على كل حديث قصصه»^٢.

ب - «جعلته نوراً نهدي من ظلم الضلالة والجهالة بإتباعه. وميزان قسط لا يحيف عن الحق لسانه، ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه»^٣.

ج - «اللهم إنك أنزلته على نبيك محمد صلى الله عليه وآله مجماً، وألهمته علم عجائبه مكملاً»^٤.

د - «واجعل القرآن لنا في ظلم الليالي مونساً، ومن نزعات الشيطان وخطرات الوساس حارساً، ولأقدامنا عن نقلها إلى المعاصي حابساً، ولألسنتنا عن الخوض في الباطل من غير ما آفة مخرساً، ولجوارحنا عن اقتراف الآثام زاجراً، ولما طوت الغفلة عنا من تصفح الاعتبار ناشراً، حتى توصل إلى قلوبنا منهم عجائبه، وزواجر أمثاله، التي ضعفت الجبال الرواسي على صلابتها عن احتماله»^٥.

١. المصدر نفسه، ج ٩٢، ص ٢٠.

٢. الصحيفة السجادية، الدعاء ٤٢.

٣. المصدر نفسه.

٤. المصدر نفسه.

٥. المصدر السابق.

من خلال هذا البيان الموجز، العميق المعنى، قام الإمام عليه السلام بتوضيح عظمة القرآن، وأنه كتاب متميز له الفضل على كل كتاب آخر، ولا يمكن أن يلد الدهر مثله، معجزاً في ألفاظه ومحتواه، فهو في نظر الإمام كتاب هداية وميزان قسط وفي عبارة أخرى يقول: إن الله سبحانه وتعالى بين عجائب وإعجاز القرآن على النبي ﷺ من حيث إن القرآن هو كتاب عجيب في محتواه، فالإمام السجاد عليه السلام يطلب من الله سبحانه وتعالى بلسان الدعاء أن يفيض عليه من عجائبه ويسهل عليه فهمه ومعرفته، فالقرآن عند الإمام عليه السلام كالسّد مقابل وساوس الشيطان من تمسك به حفظه، فأين توجد مثل هذه الخصوصية؟! فمجمال القول في نظر الإمام السجاد عليه السلام إن القرآن هو كتاب سماوي معجز وفريد من نوعه.

الإمام الباقر عليه السلام

اعتبر الإمام الباقر عليه السلام القرآن حاوياً لجميع العلوم وما يحتاجه الناس في الهداية، يقول الإمام عليه السلام:

١. «إن الله لم يدع شيئاً تحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة إلّا أنزله ويّنه لرسوله، وجعل لكل شيء حداً، وجعل عليه دليلاً يدلّ عليه»^١.
٢. وقال أيضاً عليه السلام في رواية أخرى أن عجائب القرآن حيّة لا تموت ولا تبلى، وأنه غرض طري في كل عصر، يقول: «ولو أن الآية إذا أنزلت في قوم، ثم مات أولئك القوم ماتت الآية، لما بقي من القرآن شيء، ولكن القرآن يجري أوله على آخره ما دامت السموات والأرض»^٢.

الإمام الصادق عليه السلام

عدّ الإمام الصادق عليه السلام القرآن أكبر معجزة للنبي ﷺ فأشار إلى بعض المسائل في الإعجاز:

١. في حوار للإمام عليه السلام مع مجموعة من اليهود في خصوص القرآن، قال هؤلاء للإمام عليه السلام: ما هي معجزة النبي محمد ﷺ؟ فقال الإمام: «كتابه المهيمن الباهر لعقول الناظرين»^٣.

١. بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ٨٤.

٢. تفسير العياشي، ج ١، ص ١٠.

٣. البحار، ج ١، ص ٢٤٤.

٢. يرى الإمام عليه السلام أن القرآن قد أعجز الآخرين أن يأتوا بمثله، وعندما سأل عن رأيه فيه أجاب: «هو كلام الله، وقول الله، وكتاب الله، ووحى الله، وتنزيله وهو الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد»^١.
٣. ومن الوجوه الأخرى التي يعتبرها الإمام عليه السلام من وجوه إعجاز القرآن هي جامعته من حيث النص والمحتوى، وأن الله سبحانه قد أنزل في كتابه هذا جميع العلوم التي يحتاجها البشر يقول: «إن الله أنزل في القرآن تبيان كل شيء حتى والله ما ترك شيئاً يحتاج العباد إليه إلّا بيّنه للناس حتى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا نزل في القرآن إلّا وقد أنزل الله فيه»^٢.
٤. عدّ الإمام عليه السلام القرآن كتاباً يتضمن أخبار الماضين، وأن من وجوه الإعجاز هو الإعجاز الغيبي، يقول: «إن العزيز الجبار أنزل عليكم كتابه، وهو الصادق البار فيه خبركم وخبر من بعدكم وخبر السماء والأرض، ولو أناكم من يخبركم عن ذلك لتعجبتم»^٣.
٥. ومن عجائب القرآن عند الإمام الصادق عليه السلام هو عنصر الهداية، التي يتميز ناقلاً عن الرسول صلى الله عليه وآله رواية يقول فيها: «القرآن هدى من الضلالة وتبيان من العمى... ونور من الظلمة»^٤.

٦. كان الإمام الصادق عليه السلام يذكّر المخالفين للقرآن بإعجازه العظيم، فيدعوهم إلى سلوك دعوة الحق، روي: «إن ابن أبي العوجاء وثلاثة نفر من الدهرية اتفقوا على أن يعارض كل منهم ربع القرآن، أو كانوا يُسرّون بذلك... إذ مر عليهم الصادق عليه السلام فالتفت إليهم وقرأ عليهم: ﴿قُلْ لِّبِنِ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ...﴾»^٥.

الإمام الكاظم عليه السلام

القرآن الكريم عند الإمام الكاظم عليه السلام لا يتغير ولا يبلى بمرور الزمان وإعجازه لا يختص

١. أمالي الصدوق، ص ٣٢٦، بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١١٧.

٢. تفسير القمي، ذيل الآية ٨٩ من سورة النحل.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٥٩٩.

٤. تفسير العياشي، ج ١، ص ٥.

٥. الإسراء: الآية ٨٨.

٦. بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٢١٣.

بزمان خاص، بل هو فوق الزمان يقول:

إن رجلاً سأل أبا عبد الله ما بال القرآن لا يزداد على النثر والدوس إلّا غضاضة، فقال:
لأن الله - تبارك وتعالى - لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس، فهو في كل
زمان جديد، وعند كل قوم غص إلى يوم القيامة.^١

الإمام الرضا عليه السلام

للإمام الرضا عليه السلام كلام يبين فيه عظمة القرآن وعلامات إعجازه، وأنه كتاب إلهي فوق
القدرة البشرية، كتاب جاء لهداية البشر، وأنه لا يخلق ولا يبلى عند الاستماع والقراءة، بل
كلما ازدادت قراءته زادت منفعته ما يشير إلى الإعجاز الصوتي للقرآن، يقول:
هو جبل الله المتين وعروته الوثقى وطريقته المثلي المودي إلى الجنة والمنجي من النار،
لا يخلق من الأزمنة ولا يفت على الألسنة، لأنه لم يجعل لزمان دون زمان.^٢
وقد أجاب الإمام على سؤال «ابن الصلت» حول خصوصيات القرآن قائلاً: «كلام الله لا
تتجاوزوه، لا تطلبوا الهدى في غيره فتضلوا».^٣

الإمام الجواد عليه السلام

ما لدينا من روايات عن الإمام الجواد عليه السلام لا تبين بشكل صريح إعجاز القرآن، لكن يظهر
من خلال محتاجاته عليه السلام أنه كغيره من الأئمة، يرى أن القرآن معجزة خالدة له المرجعية
الدائمة على البشر، وأن الإعجاز يدور حول محورية الحق والباطل، ففي إحدى احتجاجاته
مع «يحيى بن أكرم»، وهو من القضاة والعلماء في ذلك الوقت، عدّ الإمام كتاب الله الأساس
في صحة الروايات طبقاً لرؤية يرويها، حيث يقول: «وما خالف كتاب الله وسنتي، فلا
تأخذوا به وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله».^٤

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر السابق، ص ٢١٠.

٣. التوحيد، ص ٢٢٣.

٤. الخبر المذكور يتعلق بسؤال يحيى بن أكرم في رواية موضوعة جاء فيها أن النبي ﷺ قال: يقول الله يا
محمد إن الله عز وجل يقرؤك السلام، ويقول لك: سل أبابكر هل هو عني راض فأبى عنه راض» أجاب
الإمام: وليس يوافق هذا الخبر كتاب الله قال تعالى: «ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به صدره ونحن
أقرب إليه من حبل الوريد» الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٤٥.

الإمام الهادي عليه السلام

أرجع الإمام علي بن محمد الهادي عليه السلام المخالفين إلى مرجعية القرآن في احتجاجاته معتبراً أن القرآن لا تناله يد التغيير، وأن استدلاله محكمة فقد جاء في إحدى احتجاجاته في مسألة الجبر والاختيار، وأن العقيدة الصحيحة هي الوسط بين الجبر والاختيار، فلا عقيدة الجبر صحيحة ولا التفويض، والقرآن يشهد على ذلك في آياته المحكمة، يقول: «ويشهد به القرآن بمحكم آياته ويحقق تصديقه عند ذوي الأبواب»^١. وفي رواية أخرى يذهب الإمام عليه السلام إلى كفر من كذب القرآن؛ إذ يقول: «ومن كذب كتابه لزمن الكفر بإجماع الأمة»^٢.

الإمام العسكري عليه السلام

يرى الإمام الحسن بن علي العسكري في الرواية المنقولة عنه أن القرآن هو كتاب الله، وهو أحسن الكلام لا يجاريه كلام، وأن الإعجاز هو من جنس الكلام الذي لا يستطيع أحد أن يأتي بمثله رغم أن الكلمات واحدة، ولكن الاختلاف في اختيار اللفظة والقالب المعجز، يقول: «إن لكلام الله فضلاً على الكلام، كفضل الله على خلقه، وكلامنا فضل على كلام الناس كفضلنا عليهم»^٣.

الإمام المهدي عليه السلام

الإمام محمد بن الحسن المهدي عليه السلام صاحب الزمان، وهو القرآن الناطق في زمانه الذي يقيم حكومة العدل الإلهي طبقاً لأحكام القرآن، فقد ورد في رواية عنه أن القرآن هو «من اتقن» الكتب الإلهية، وقد رجع إلى القرآن في موارد كثيرة ردّ الأسئلة الموجهة إليه، وهذا الرجوع أو الإرجاع من الإمام للقرآن يبيّن إعجاز القرآن في المفهوم والمعنى، وعدم زواله وتغييره، كما يظهر ذلك من إرجاع «اسحاق بن يعقوب» إلى القرآن عندما سئل الإمام عن علّة الغيبة

١. الاحتجاج، ج ٢، ص ٢٥٣.

٢. المصدر نفسه.

٣. كشف الغمّة، ج ٢، ص ٤٦١.

فقام: «وأما علّة ما وقع من الغيبة، فإن الله يقول: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ...﴾»^١.

وفي رواية أخرى سئل الإمام عليه السلام عن معاني الحروف المقطعة (كهيعص) فاعتبرها من مختصات القرآن، وهي من الأخبار الغيبية، سأل سعد بن عبد الله في الإمام قائلًا: «فأخبرني يابن رسول الله عن تأويل (كهيعص) فقال عليه السلام: هذه الحروف من أنباء الغيب»^٢.

١. المائدة: الآية ١٠١.

٢. بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ١٨١.

٣. المصدر نفسه، ج ٥٢، ص ١٨٠.

إعجاز القرآن عند علماء الشيعة

بذل علماء الشيعة منذ عصر الشيخ الكليني والصدوق في القرن الرابع الهجري، وحتى الإمام الخميني جهوداً كبيرة من أجل بيان أحكام الإسلام، حتى وصلت تعاليم المدرسة الشيعية إلى الناس بكل أمانة.

وقد تركوا آثاراً مهمة في الكلام والتفسير، الفقه والأصول و... ولهم آراء مهمة في القرآن وعلومه ومن جملة تلك المباحث موضوع «إعجاز القرآن»، وقد قدم متكلمو الشيعة ومفسروهم منذ القرن الأول مباحث مهمة حول مكانة القرآن وعظمته وإعجازه، والظاهر من خلال دراسة الكتب الكلامية والتفسيرية أن بداية البحث في «إعجاز القرآن» بحثاً استدلالياً كان في القرن الثالث. أما قبل هذا التاريخ فلم تدرس تلك المباحث بصورة مستقلة وسوف نشير إلى آراء جمع من مشاهير الشيعة، كال مفيد، السيد المرتضى، الشيخ الطوسي، قطب الدين الراوندي، العلامة محمد باقر المجلسي، العلامة شير، البلاغي، العلامة الطباطبائي، آية الله الخوئي، والإمام الخميني، طبقاً للتسلسل الزمني.

الشيخ المفيد رحمته الله

وهو محمد بن محمد بن النعمان المعروف بالشيخ المفيد (المتوفى ٤١٣) من علماء الشيعة الأجلاء عاش في محلة «الكرخة» وهو شخصية كبيرة عند الشيعة، قال فيه شيخ الطائفة: «محمد بن محمد بن النعمان المفيد عالم كبير موثق^١ يكنى أبا عبد الله المعروف بابن المعلم،

من جملة متكلمي الإمامية، انتهت إليه رئاسة الإمامية في وقته، وكان مقدماً في العلم وصناعة الكلام، وكان فقيهاً متقدماً فيه، حسن الخاطر، دقيق الفطنة، حاضر الجواب وله قريب من مائتي مصنف.^١

ويقول العلامة الحلي فيه: «محمد بن محمد بن النعمان يكنى أبا عبد الله، يلقب بالمفيد... ويعرف بابن المعلم، من أجل مشايخ الشيعة، ورئيسهم وأستاذهم، وكل من تأخر عنه استفاد منه، وفضله أشهر من أن يوصف في الفقه والكلام والرواية، وأوثق أهل زمانه وأعلمهم، انتهت رئاسة الإمامية في وقته إليه».^٢

وهو عالم جليل عده جميع علماء وفقهاء الشيعة بأنه من أكبر علماء العقائد والمذاهب الإسلامية، وكذلك اعتبره علماء السنة أنه من ذوي المنازل العلمية الكبيرة، يقول ابن النديم: «أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان، في زماننا انتهت إليه رئاسة أصحابه من الشيعة الإمامية في الفقه والكلام والآثار...».^٣

وكذلك يقول ابن الجوزي وهو من المعاصرين له: «محمد بن محمد بن النعمان، أبو عبد الله ابن المعلم شيخ الإمامية وعالمها، صنف على مذهبهم، ومن أصحابه المرتضى، وكان لابن المعلم مجلس نظر بداره به»^٤ «درب رياح يحضره كافة العلماء».

وقد ازدهر علم الكلام وأصول الفقه في زمن الشيخ المفيد عند السنة والشيعة، وكانت بغداد مركزاً للمتكلمين والفقهاء يتباحثون في المسائل الكلامية والفقهية، وكان علماء الشيعة يتدارسون علم الكلام قبل الشيخ المفيد، ولكن أسلوب الاستدلال حصل فيه تطور على يد الشيخ المفيد، وكذلك يمكن عده مبتكر المباحث الكلامية بصورة منطقية ومستدلة، فقد رتب المباحث الكلامية والفقهية وطورها.

اتبع علماء الشيعة منهج الشيخ المفيد واستفادوا منه كثيراً، ولذلك سوف نذكر رأيه في «إيجاز القرآن» باعتباره أول عالم شيعي قام بدراسة المسائل الكلامية بصورة مستدلة. يقول المفيد في كتابه «أوائل المقالات في المذاهب والمختارات» تحت عنوان «القول في جهة

١. فهرست الشيخ الطوسي، ص ١٥٧.

٢. خلاصة الأقوال، ص ١٤٧.

٣. فهرست ابن النديم، ص ٢٦٦.

٤. المنتظم، ج ٨، ص ١١.

إعجاز القرآن» قال: «إنَّ جهة ذلك هو الصَّرف من الله تعالى لأهل الفصاحة واللسان من المعارضة للنبي ﷺ بمثله في النَّظام عند تحديه لهم، وجعل إنصرافهم عن الإتيان بمثله وإن كان في مقدورهم دليلاً على نبوته واللفظ من الله تعالى مستمر في الصَّرف عنه إلى آخر الزَّمان»^١.

الظاهر من كلام الشَّيخ أنَّه أولاً، كان يعتقد أنَّ إعجاز القرآن يرجع إلى «الصَّرفة» وكان يرى أنَّه عندما أنزل الله تعالى القرآن على النبي ﷺ دعا النَّاس إلى الإتيان بمثله، وكان هذا العمل مقدوراً بالنسبة للفصحاء والبلغاء، لأنَّهم مع تسلطهم وتبحرهم في اللغة وخصوصاً في زمان النبي ﷺ ووصول علم الفصاحة والبلاغة إلى أوجها في ذلك الزَّمان، فقد كان بمقدورهم أن يأتوا بمثل القرآن، ولكن الله سبحانه وتعالى سلبهم القدرة على ذلك، ومع أنَّه يمكن الاستنتاج من كلام الشَّيخ المفيد في كتاب «أوائل المقالات» أنَّه كان يعتقد بـ«الصَّرفة» في الإعجاز ولكن المشهور أنَّه كان يذهب إلى أنَّ الإعجاز يكمن في الفصاحة، البلاغة والأخبار الغيبية كغيره من العلماء، ولذلك فقد جرَّد قطب الدِّين الراوندي (المتوفى ٥٧٣هـ) في كتاب الخرائج بحثاً مستقلاً في إعجاز القرآن يقول فيه:

والثَّاني: ما ذهب إليه الشَّيخ المفيد وهو أنَّه لما كان معجزاً من حيث اختصاص برتبة في الفصاحة خارج للعادة. قال: لأنَّ مراتب الفصاحة إنَّما تتفاوت بحسب العلوم التي يفعلها الله في العباد، فلا يمتنع أن يجري الله العادة بقدر من العلوم فيقع التَّمكين بها من مراتب في الفصاحة محصورة متناهية ويكون ما زاد على ذلك زيادة غير معتادة معجزاً خارق للعادة.^٢

وكذلك يقول العلَّامة محمَّد باقر المجلسي حول رأي الشَّيخ المفيد في إعجاز القرآن: «وأما وجه إعجازه: فالجمهور من العامة والخاصَّة، ومنهم الشَّيخ المفيد قدس الله روحه، على أنَّ إعجاز القرآن بكونه في الطَّبقَة العليا من الفصاحة والدَّرَجَة القصوى من البلاغة على ما يعرفه فصحاء العرب بسليقتهم وعلماء الفرق بمهارتهم في فنِّ البيان وإحاطتهم بأساليب الكلام، هذا مع اشتماله على الأخبار عن المغيبات الماضية والآتية وعلى دقائق العلوم الإلهية وأحوال المبدأ والمعاد ومكارم الأخلاق والإرشاد إلى فنون الحكمة العلميَّة والعملية والمصالح

١. أوائل المقالات، ص ٧٠.

٢. الخرائج والجرائح، ص ٢٦٩، بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٢٧.

الدِّينِيَّة والدُّنْيَوِيَّة على ما يظهر للمتدبرين، ويتجلى للمتفكرين.^١

السيد المرتضى رحمته الله

وهو أبو القاسم ذو المجددين علي بن الحسين الموسوي المعروف بالسيد المرتضى علم الهدى (المتوفى ٤٣٦هـ) من علماء الإمامية، ومتكلمهم ترك آثار قيمة في إرساء معالم المدرسة الشيعية له عدة كتب مثل: كتاب الأمالي، الذخيرة، الملخص، المسائل الموصليات، تنزيه الأنبياء، الشافي، شرح جمل العلم والعمل، الصرفة و... ذهب السيد المرتضى في أكثر كتبه إلى الاعتقاد بالصرفة في إعجاز القرآن مستنداً عليها بأدلة كثيرة حتى أنه اشتهر بهذا القول عند علماء الشيعة يقول في كتاب «الذخيرة» بعد أن نقل أقوالاً في وجوه إعجاز القرآن:

اخترنا القول بالصرفة وأثبتنا ذلك في كتابنا المعروف بـ«الموضح عن جهة إعجاز القرآن».^٢

وكذلك كتب الشيخ الطوسي - وهو من تلامذة السيد المرتضى - في آثاره يقول: كان المرتضى علي بن الحسين الموسوي (رحمة الله) عليه يختار أن جهة إعجازه الصرفة، وهي أن الله تعالى سلب العرب العلوم التي كانت تتأتى منهم الفصاحة، التي هي مثل القرآن متى راموا المعارضة، ولو لم يسلبهم ذلك لكان يتأتى منهم ذلك.^٣ ثم قوى الشيخ الطوسي قول استاذة، أي: القول بالصرفة، في كتاب تمهيد الأصول، وهو شرح على كتاب جمل العلم والعمل للسيد المرتضى، فقال: نصرت في شرح الجمل القول بالصرفة على ما كان يذهب إليه المرتضى رحمه الله.^٤

وسوف نتعرض لبحث حقيقة «الصرفة» في نهاية الكتاب، ومن هم القائلون بهذا القول من علماء السنة والشيعة، والذين ردوا هذا القول في بحث «وجوه إعجاز القرآن» ولكن اختصاراً نقول: إن السيد المرتضى كان يعتقد أن العرب يستطيعون الإتيان بمثل القرآن في بلاغته وفصاحته؛ لأنهم كانوا متضلعين في هذه المواهب، غير أن الله منعهم وسلبهم القدرة

١. بحار الأنوار، ج ١٧، ص ٢٢٤.

٢. كتاب «الموضح عن جهة إعجاز القرآن»، هو كتاب الصرفة نفسه للمؤلف وهو كتاب مفقود ذكره النجاشي وعده كتاب الصرفة نفسه، رجال النجاشي، ص ٢٧٠، رأى المرحوم الطبرسي هذا الكتاب ونقل عنه، مجمع البيان، ج ١، ص ٨٣ مقدمة التفسير.

٣. الذخيرة في علم الكلام، ص ٣٧٨، الإقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، ص ١٧٢.

٤. تمهيد الأصول، الطوسي، ص ٣٣٤، الإقتصاد الهادي إلى طريق الرشاد، ص ١٧٣.

على ذلك فسلب منهم العلوم التي يتوسلون بها للإتيان بألفاظ فصيحة وبلغية، فإعجاز القرآن يكمن في أن الله سبحانه منع الإنسان أن يأتي بمثل القرآن إلى يوم القيامة، وصرف أفكار الجميع من الإتيان بمثله، قال في كتاب الجمل:

فأما أن يكون القرآن من فعله تعالى على سبيل التصديق له، فيكون هو العلم المعجز أو يكون تعالى صرف القوم عن معارضته، فيكون الصّرف هو العلم الدّال على النبوة وقد بينا في كتاب الصّرف الصّحيح من ذلك وبسطناه.^١

الشيخ الطوسي رحمته الله

وهو أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (المتوفى ٤٦٠هـ) المعروف بشيخ الطائفة، الفقيه والمحدث والمفسر الشيعي الكبير، كان شخصية كبيرة لها تأثير كبير في تقوية مباني الشيعة. وله آثار كثيرة قيمة من جملتها كتاب: «التّهذيب، الاستبصار، والبيان».

بين الشيخ الطوسي نظريته في «إعجاز القرآن» بصورة مفصلة في كتاب «الاقتصاد الهادي إلى الرّشاد» تحت عنوان «في الكلام في النبوي» معتبراً أن الاستدلال على إعجاز القرآن لاثبات رسالة النبي ﷺ تقوم على ثلاثة أمور، حيث قال:

والاستدلال بالقرآن لا يتم إلّا بعد بيان خمسة أشياء، أحدها: ظهوره ﷺ بمكة وادّعاء النبوة، وثانيهما: تحديه العرب بهذا القرآن وادّعاء إن الله أنزله عليه، وخصه به، وثالثها: أنهم لم يعارضوه في وقت من الأوقات. ورابعها: أنهم لم يعارضوه للعجز، وخامسها: إن هذا لتعذر فوق العادة، فإذا ثبت ذلك دلّ على أن القرآن معجز، سواء كان معجزاً خارقاً للعادة بفصاحته، فلذلك لم يعارضوه، أو لأن الله صرفهم عن معارضته ولولا الصّرف لعارضوا.^٢

وفي تنمّة كلامه قال:

إن سبب عدم معارضة العرب هو عجزهم من الإتيان بمثل القرآن، لأن كلّ فعل إذا كان له دافع وباعث، ثم لا يتحقق ذلك فإنّه يكشف عن عجز الفاعل... وإذا كانت المعارضة ممكنة فلم يتكفون الأمور الصعبة، فالعاقل لا يرجع الأعمال الصعبة على السهلة وليس من الصّحيح القول أن حربهم مع رسول الله كانت أكثر فائدة من معارضة القرآن، لأن النبي ﷺ طلب التحدي بالقرآن لا الحرب.^٣

١. راجع: جمل العلم والعمل، ص ٤١.

٢. الاقتصاد الهادي إلى الرّشاد، ص ١٦٦.

٣. المصدر نفسه.

ثمّ تعرض الشّيخ الطّوسي إلى بحث وجوه إعجاز القرآن معتبراً «الإعجاز البياني» من أكمل وأتمّ الوجوه، حيث قال:

وأقوى الأقوال عندي قول من قال: إنّما كان معجزاً خارقاً للعادة لإختصاصه بالفصاحة المفرطة دون الفصاحة بأنفرادها ودون النظم بأنفراده ودون الصرفة^١.
من خلال التأمّل في عبارات الشّيخ الطّوسي يتبيّن أنّه يعتبر الإعجاز في الفصاحة فقط، مضافاً إلى النظم المخصوص ومع نسبة القول إليه بالصرّفة، ولكنه لم يذهب إلى هذا الرأي، حيث قال: «وإن كنت نصرت في شرح الجمل القول بالصرّفة على ما كان يذهب إليه المرتضى (رحمه الله) من حيث شرحت كتابه فلم يحسن خلاف مذهبه»^٢.

يعتقد الشّيخ الطّوسي أن إعجاز القرآن لا يكمن في فصاحته وبلاغته فقط، فالمعارضة عند العرب كانت تعني معارضة كلّ شيء بحسبه بمعارضة الخطبة بالخطبة، والشعر بالشعر، والرّجز بالرّجز، ولا يعقل أن تعارض الشعر بالخطبة أو العكس، ومن هنا فعندما تحدّى القرآن العرب كان يتوقع منهم أن يعارضوه بمثله في الفصاحة والبلاغة .. لا في أحدهما، وقد كان العرب عاجزين عن معارضة القرآن في جميع جهاته ومع أنّ الوليد بن المغيرة والأعشى وآخرون فصحاء، ولكن لا يمكن مقارنتهم بفصاحة القرآن والدليل على ذلك أنّهم تحيروا في وصف القرآن، فأسلوب القرآن لا يشبه الأسلوب الخطابي فقط ولا الشعر، ولا يقتصر على الوزن، بل يتضمّن الصفات كلّها إضافة إلى أمور أخرى.

يعتقد الشّيخ الطّوسي أن إعجاز القرآن لو كان في فصاحته فقط لأصبح التّمييز والتّفريق بينه وبين الكلام الفصيح الآخر ممكناً، كما أنّ أهل الشعر يفرقون بين شعر المتقدّمين والمتأخّرين، مع أنّ أفصح الكلام لا يمكن مقارنته مع القرآن^٣.

ثمّ أكّد الشّيخ الطّوسي في خاتمة قوله أنّ الإعجاز يكمن في شيئين: «الفصاحة العالية» و«النّظم الخاصّ» قال:

فليس في وجود كثير من كلام العرب ما يدلّ على أنّهم لو تكلفوه بهذا النّظم لكان مثله، ولما عدلوا عن المعارضة وتعذّرت عليهم، إمّا لفقد علمهم بالنّظم وإن كان فصيحاً، أو

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه، ص ١٧٤.

لعلهم بأنهم لو تكلفوا ذلك لوقعوا دونه، على ذلك على إن القرآن، خارق للعادة، بمجموع الأمرين.^١

وقد أشار الشيخ الطوسي في مقدمة تفسيره إلى إعجاز القرآن أيضاً، فقال:

اعلم أن القرآن معجزة عظيمة على صدق النبي عليه السلام، بل هو من أكبر المعجزات وأشهرها، غير أن الكلام في إعجازه، وجهة إعجازه، واختلاف الناس فيه، لا يليق بهذا الكتاب؛ لأنه يتعلق بالكلام في الأصول... وقد ذكرنا منه طرفاً صالحاً في شرح الجمل.^٢

الطبرسي رحمته الله

أمين الإسلام، الفضل بن الحسن الطبرسي (المتوفى ٥٤٨هـ) صاحب التفسير القيم «مجمع البيان في تفسير القرآن» وهو شخصية كثيرة في عالم التشيع، وقد عدّ تفسير الشيخ الطبرسي مرجعاً للمفسرين من بعده، وقد ذكر في مقدمة تفسيره إعجاز القرآن مشيراً إلى أن بحث وجوه إعجاز القرآن إنما تناولته الكتب الاعتقادية، قال:

العلم يكون القرآن معجزاً خارقاً للعادة، والاستدلال به على صدق النبي ﷺ، والكلام في وجه إعجازه، وهل هو ما فيه من الفصاحة المفردة، أو ماله من النظم المخصوص والأسلوب البديع والصرف... وقد دونه مشايخ المتكلمين في كتبهم لا سيما السيد الأجل المرتضى.. في كتابه الموضح من وجه إعجاز القرآن.^٣

يقول العلامة الطبرسي في ذيل الآية:

﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^٤ المقصود من ﴿...فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ...﴾ أي: بمثل القرآن كما جاء في سورة الإسراء ﴿...يأتوا بمثل هذا القرآن...﴾ يعني فأتوا بسورة مثلاً أتى به محمد ﷺ في الإعجاز من حسن النظم وجزالة اللفظ والفصاحة التي اختصت به، والأخبار عما كان وعما يكون.^٥

يتبين من خلال العبارات السابقة أن الطبرسي لا يعتبر الإعجاز في الفصاحة والنظم فقط، بل إن الإعجاز الغيبي وغيره من وجوه الإعجاز الأخرى، هي من ضمن وجوه الإعجاز أيضاً -

١. الاقتصاد الهادي إلى الرشاد، ص ١٧٥.

٢. التبيان في تفسير القرآن، المقدمة، ص ٣.

٣. مجمع البيان، ج ١، ص ٤٢، المقدمة، الفن الخامس.

٤. البقرة: الآية ٢٣.

٥. مجمع البيان، ج ١، ص ١٢٦، ذيل الآية ٢٣ من سورة البقرة.

وقد أشار إلى وجوه أخرى للإعجاز من خلال آيات أخرى فمثلاً:

١. في ذيل الآية: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانٍ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ...﴾^١

يقول: «سمّاه الله حديثاً، لأنّه كلام الله، والكلام سُمّي حديثاً... وهو أحسن الحديث لفرط فصاحته ولإعجازه، واشتماله على جميع ما يحتاج المكلف إليه من التنبيه على أدلة التوحيد والعدل و...»^٢.

٢. وفي ذيل الآية: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^٣ يقول: «معناه: قل يا محمد لهؤلاء الكفار: لئن اجتمعت الإنس والجن، متعاونين متعاضدين، على أن يأتوا بمثل هذا القرآن في فصاحته وبلاغته ونظمه.. لعجزوا عن كذلك، ولم يأتوا بمثله»^٤.

٣. وفي ذيل الآية الشريفة: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ...﴾^٥ يقول: «وفيه دلالة على جهة إعجاز القرآن، وأنها هي البلاغة والفصاحة في هذا النظم المخصوص... لأنّ البلاغة ثلاث طبقات فأعلى طبقاتها معجز وأدناها وأوسطها ممكن، فالتحدي في الآية إنّما وقع في الطبقة العليا منها»^٦.

فإعجاز القرآن عند الطبرسي لا يتعلق بالقول بـ«الصّرف» لأنّه يستلزم إعجاز الكلام الرّكيك، مع أنّ العرب لم يكونوا عاجزين يقول: «لو كان وجه الإعجاز الصّرف لكان الرّكيك في الكلام أبلغ في باب الإعجاز»^٧.

٤. وفي ذيل الآية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ

١. الزمر: الآية ٢٣.

٢. مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٩٤، ذيل الآية ٢٣ من سورة الزمر.

٣. الإسراء: الآية ٨٨.

٤. مجمع البيان، ج ٦، ص ٢٩٠، ذيل الآية ٨٨ من سورة الإسراء.

٥. هود: الآية ١٣.

٦. مجمع البيان، ج ٥، ص ٢٥٠، ذيل الآية ١٣ من سورة هود.

٧. المصدر نفسه.

مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ^١ يقول: «أي: مثله في البلاغة لأنكم من أهل لسانه، فلو قدر على ذلك لقدرتهم أنتم عليه، فإذا عجزتم فاعلموا أنه ليس من كلام البشر»^٢.
وقال كذلك في ذيل الآية الثالثة عشر في كلمة «مثل» أي «فأتوا أنتم بعشر سور مثله في النظم والفصاحة... فإن القرآن نزل بلغتكم، وقد نشأت أنا بين أظهركم، فإن لم يمكنكم ذلك فاعلموا أنه من عند الله تعالى»^٣.

من خلال التأمل في عبارات الطبرسي يتبين أنه لا يحصر الإعجاز في وجه خاص، فقد أكد على وجوه كثيرة للإعجاز مثل: الفصاحة، البلاغة، النظم الخاص، حسن البيان، أخبار الغيب، وتضمن القرآن على أفضل المطالب الاعتقادية لهداية البشر و...

قطب الدين الراوندي رحمته الله

وهو سعيد بن عبد الله بن هبة الله، المشهور بقطب الدين الراوندي (المتوفى ٥٧٣هـ) الفقيه المحدث، المفسر، والمتكلم الشيعي الكبير صاحب كتاب «الخرائج والجرائح»^٤ تعرض فيه لبيان معجزات النبي صلى الله عليه وآله والأئمة الأطهار عليهم السلام، يعد كتابه من الكتب القيّمة بالنسبة للشيعة. تعرض الراوندي في الباب الثامن عشر من كتابه تحت عنوان «كتاب أم المعجزات» فذكر مباحث إعجاز القرآن، وقد استفاد علماء الشيعة الكبار أمثال: الإربلي في «كشف الغمة» والحرّ العاملي في «وسائل الشيعة» والمرحوم المجلسي في «بحار الأنوار» والعلامة البحراني في «تفسير البرهان» و.. من كتاب الراوندي واستدلوا به. قال في بداية الباب: «فإن كتاب الله المجيد ليس هو مصداقاً لنبي الرحمة خاتم النبيين فقط، بل هو مصدق كسائر الأنبياء والأوصياء قبله... وليست جملة الكتاب معجزة واحدة، بل هو معجزات لا تحصى»^٥.

١. يونس: الآية ٣٨.

٢. مجمع البيان، ج ٥، ص ١٨٨، ذيل الآية ٣٨ من سورة يونس.

٣. المصدر نفسه، ج ٥، ص ٢٥٠.

٤. نشر الكتاب المذكور عن طريق مؤسسة الإمام المهدي عليه السلام بتحقيق في ثلاثة مجلدات عام ١٤٠٩هـ وفي عشرين باباً ثلاثة عشر باباً في معجزات النبي صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام والأبواب السبعة الأخرى في علامات النبي والأئمة، أدلة إمامة علي عليه السلام، نوادر معجزات الأئمة معجزات نبينا والأئمة مع معجزات الأنبياء السابقين، إعجاز القرآن، الفرق بين الحيل والمعجزات وخارق العادة و...
٥. الخرائج والجرائح، ج ٣، ص ٩٧١.

«والطريق إلى معرفة صدق النبي ﷺ ليس إلّا ظهور المعجز عليه، أو خبر نبي ثابت نبوته بالمعجز. ثم قال: «واعلم أن شروط مفهوم المعجزات أمور:

١. أن يعجز عن مثله، أو عما يقاربه المبعوث إليه وجنسه.
٢. أن يكون من فعل الله تعالى، أو بأمره وتمكينه.
٣. أن يكون ناقضاً للعادة لأنّه لو فعل معتاداً لم يدلّ على صدقه، كطلوع الشمس من مشرقها.

٤. أن يحدث عقيب دعوى المدّعي أو جارياً مجراه، والذي يجري مجرى ذلك هو أن يدعى النبوة ويظهر عليه معجزاً، ثم تشيع دعواه في الناس.

٥. أن يظهر ذلك في زمان التكليف، لأن اشراط الساعة تنتقض بها عاداته تعالى، ولا يدلّ على صدق مدّع^١. ثم يضيف: «والقرآن معجزة، لأنّه ﷺ تحدّى العرب الإتيان بمثله، وهم النهاية في البلاغة وقويت دواعيهم إلى الإتيان بما تحداهم به ولم يكن لهم صارف عنه ولا مانع منه، ولم يأتوا به، فعلمنا أنّهم عجزوا عن الإتيان بمثله»^٢.

من خلال العبارات السابقة يتبيّن أنّه كان يعتقد أن القرآن معجزة بنفسه، وأن أهمّ وجه إعجازه هي البلاغة، فهو لا يذهب إلى القول بالصّرف، والدليل على ذلك قوله «ولم يكن لهم صارف عنه». وقد أعرب الراوندي أن المسلمين متفقون على إن القرآن معجزة النبي ﷺ ولكن العلماء اختلفوا في وجه إعجازه، ولذا فقد تعرّض لذكر آرائهم ذاكراً سبعة أقوال في إعجاز القرآن منها:

١. القول بالصّرفة؛
٢. أنّهم لم يعارضوه من حيث أنّه اختص برتبة في الفصاحة خارقة للعادة؛ لأن مراتب البلاغة محصورة متناهية، فيكون ما زاد على المعتاد معجزاً وخارقاً للعادة؛
٣. أن إعجازه من حيث إنّ معانيه صحيحة موافقة للعقل؛
٤. أنّه معجز من حيث خلوه من التناقض؛
٥. إعجازه يكمن في أخباره الغيبية؛

١. راجع: المصدر السابق، ج ٣، ص ٩٧٥.

٢. المصدر نفسه، ص ٩٧٦.

٦. أنه معجز لإختصاصه بنظم مخصوص؛

٧. يكمن إعجازه في تأليفه ونظمه.

وبعد أن ذكر الوجوه السبعة قال: إنّ كلّ وجه من هذه الوجوه يمكن أن يكون حسناً ويحظى بقبول.^١

ثمّ أجاب عن السؤال التالي: «لو كان القرآن معجزاً لكان نبياً مبعوثاً إلى العرب والعجم، وكان يجب أن يعلم سائر الناس إعجاز القرآن من حيث الفصاحة، والعجم لا يمكنهم ذلك». فقال: إنّ هذا لا يصح؛ لأنّ الفصاحة ليست مقصورة على بعض اللغات، والعجم يمكنهم أن يعرفوا ذلك على سبيل الجملة.^٢

وفي بيان نظم القرآن قال:

والذي يعلم في العلم بإعجاز النظم هو أن يعلم مباني الكلام وأسباب الفصاحة في ألفاظها، وكيفية ترتيبها، وتباين ألفظها، وكيفية الفرق بين الفصيح والأفصح، والبليغ والأبلغ ويعلم مقادير النظم والأوزان وما به يتبين المنظوم من المنشور، وفواصل الكلام ومقاطعها، ومبادئه، وأنواع مؤلفه ومنظومه.^٣

وقد أشار الى عشرة خصائص يتميز بها نظم القرآن، كلّ واحدة منها تعتبر خاصية مهمة للقرآن وهي:

١. نظم الجديّد الذي خرج صور جميع أسباب المنظومات، ولولا نزول القرآن لم يقع في خلد فصيح سواه.^٤

٢. الرّوعة التي له في قلوب السّامعين، فمن كان مؤمناً يجد هشاشة^٥ له وانجذاباً نحوه.

٣. أنّه لم يزل نظماً طرياً لا يمل.

٤. أنّه في صورة كلام هو خطاب لرسوله تارة، ولخلقه أخرى.

٥. ما يوجد من جمعه فإن له صفتي الجزالة والعذوبة وهما كالمتضادين.

٦. ما وقع في أجزائه من امتزاج بعض أنواع الكلام ببعض.

١. المصدر السابق: ٩٨١ - ٩٨٢.

٢. المصدر نفسه، ص ٩٩٨.

٣. المصدر السابق، ص ١٠٠٣.

٤. المصدر نفسه، ص ١٠٠٤.

٥. الهشاشة: الإقبال على الشيء بشاط.

٧. تمتعه بجميع مزايا اللغة.
٨. وجود التفاضل بين بعض أجزائه من السور.
٩. وجود ما يحتاج العباد إلى عمله من أصول دينهم وفروعه....
١٠. وجود قوة النظم في أجزائه كلها حتى لا يظهر في شيء من ذلك تفاوت ولا اختلاف.^١

العلامة محمد باقر المجلسي رحمته الله

شيخ الإسلام، محمد باقر (المتوفى ١١١٠)، ابن محمد تقي المجلسي، نور الله ضريحه وقُدس الله روحه - من المحدثين الكبار عند الشيعة، قال فيه الشيخ الحر العاملي صاحب كتاب «وسائل الشيعة»: المولى محمد باقر المجلسي، العالم، الفاضل، الماهر، المحقق المدقق، العلامة، الفهامة، الفقيه، المتكلم، المحدث، جامع المحاسن والفضائل، عالماً ربانياً في علوم المعقول والمنقول، قدم للشيعة خدمات جليلة، فمن كتبه: بحار الأنوار الجامعة لدرر الأئمة الأطهار^٢ في خمسة وعشرين مجلداً، وهو دائرة معارف في التاريخ والعقائد الإسلامية، وكتاب مرآة العقول في شرح أخبار آل الرسول في شرح الكافي، ملاذ الأخبار، وهو شرح لكتاب تهذيب الأخبار، الأربعين، الفوائد الطريفة وهو شرح للصحيفة، رسالة الاعتقادات، عين الحياة، حق اليقين، حلية المتقين، جلاء العيون، زاد المعاد، مشكاة الأنوار، الوجيزة في الرجال، وأكثر من خمسين كتاب فارسي وعربي.

وقد أفرد فخر الأمة العلامة الشيخ محمد باقر المجلسي في المجلد السابع عشر في بحث تأريخ النبي ﷺ قسم معجزات النبي، الباب الأول لإعجاز القرآن تحت عنوان: «إعجاز أم المعجزات»^٣ تعرض فيه إلى ذكر آيات الإعجاز وتفسيرها، وذكر الروايات في بحث الإعجاز، وفي الختام تناول حقيقة الإعجاز وكيفية دلالته على النبوة، وذكر وجوه إعجاز القرآن، في البداية ذكر مائة آية تقريباً في مبحث الإعجاز، وتحدي القرآن، وقام بتفسيرها طبقاً لمنهج، وفي ذيل الآية: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَكِنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا

١. المصدر السابق، ص ١٠٦.

٢. تأريخ حديث، ص ١٤٦.

٣. راجع: بحار الأنوار، ج ١٧، ص ١٥٩ - ٢٢٥.

النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ»^١، قال: إن الآية تدل على الإعجاز، وصدق رسالة النبي ﷺ، لأن النبي ﷺ تحدى المشركين بأن يأتوا بمثل القرآن، وإلا فإن عجزهم عن ذلك يعتبر دليلاً على الإعجاز والتعبير ﴿...وَلَنْ تَفْعَلُوا...﴾ تأكيد بليغ في نفى المستقبل إلى يوم الدين وهو اخبار بالغيب.^٢ وكذلك الآية: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْعَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^٣ يعتبر إشارة إلى إعجاز القرآن في سلامته من كل عيب ونقص. ثم نقل قول بعض المتكلمين في تفسير ذلك فقال: «إن القرآن كتاب كبير، وهو مشتمل على أنواع كثيرة من العلوم، فلو كان ذلك من عند غير الله لوقع فيه أنواع من الكلمات المتناقضة، لأن الكتاب الكبير لا ينفك عن ذلك، ولما لم نجد شيئاً من ذلك علمنا أنه ليس من عند غير الله».^٤

ثم ذكر رأي أبي مسلم الإصفهاني في هذه الآية: «إن المراد منه الاختلاف في رتبة الفصاحة حتى لا يكون في جملته ما بعد في الكلام الركيك، بل بقيت الفصاحة فيه من أوله إلى آخره على نهج واحد، ومن المعلوم أن الإنسان وإن كان في غاية البلاغة ونهاية الفصاحة فإذا كتب كتاباً طويلاً مشتملاً على المعاني الكثيرة فلا بد وأن يظهر التفاوت في كلامه، بحيث يكون بعضه قوياً متيناً، وبعضه سخيلاً نازلاً، ولما لم يكن القرآن كذلك علمنا أنه المعجز من عند الله تعالى».^٥

وبعد أن ذكر آيات التحدي عدّ مراحل التحدي سبعة مراحل على النحو التالي:

١. التحدي بكل القرآن في الآية: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا

بِمِثْلٍ...﴾^٦.

٢. التحدي بعشرة سور.

١. البقرة: الآية ٢٤.

٢. راجع: بحار الأنوار، ج ١٧، ص ١٦٧.

٣. النساء: الآية ٨٢.

٤. راجع: بحار الأنوار، ج ١٧، ص ١٧٤.

٥. المصدر السابق.

٦. الإسراء: الآية ٨٨.

٣. التحدي بسورة واحدة.

٤. تحداهم بحديث مثله.

٥. في المراتب المتقدمة كان يطلب أن يأتي بالمعارضة رجل كرسول الله ﷺ في عدم التلمذ والتعلم، ثم في سورة يونس طلب منهم معارضته بسورة واحدة من أي إنسان تعلم العلوم، أو لم يتعلمها.

٦. تحدى جميع الناس أن يأتوا بمثل القرآن وجوز أن يستعين البعض ببعض في الإتيان

بهذه المعارضة، فقال: ﴿...وَأَدْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾^١

خلافًا للمراحل السابقة، حيث كان التحدي فردياً.^٢

ومن جملة وجوه الإعجاز في نظر العلامة المجلسي هو «نفي التناقض عن آياته» وفي

ذيل الآية: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا...﴾^٣

اعتبر القرآن كتاباً كاملاً، وقد عدَّ من مصاديق «العوج»:

١. نفي التناقض عن آياته.

٢. إنَّ كلَّ ما ذكره الله فيه من التوحيد والنُّبوة والأحكام والتكاليف، فهو حقٌّ وصدق،

ولا يتطرق خلل إليها.

٣. إنَّ دعوة القرآن إلى الصِّراط المستقيم، يعني دعوة الخلق إلى الحقِّ ومن الدُّنيا إلى

الآخرة، ومن الانحراف إلى السَّعادة فثبت أنَّه مبرأ من العوج والانحراف والباطل.^٤

وبعد أن ذكر الآيات والروايات التي تدلُّ على الإعجاز، ذكر سبعة شروط اعتبرها لازمة

في تحقُّق الإعجاز، وهي:

١. أن تكون المعجزة فعل الله، أو من يقوم مقامه.

٢. أن تكون خارقة للعادة.

٣. عجز الآخرين عن الإتيان بمثلها.

١. يونس: الآية ٣٨.

٢. راجع: بحار الأنوار، ج ١٧، ص ١٨٧.

٣. الكهف: الآية ١.

٤. راجع: بحار الأنوار، ج ١٧، ص ١٩١.

٤. أن يكون مقروناً بالتّحدي، ولا يشترط التّصريح بالدّعوى، بل تكفي قرائن الأحوال.
 ٥. أن يكون موافقاً للدّعوى، لا أن يكون خارقاً لعادة أخرى.
 ٦. أن يكون ما أظهره مؤيداً له لا مكذباً.
 ٧. أن تحدث المعجزة بعد الدّعوى، أو مقارنة لها لا قبل ذلك.^١
- ثمّ تعرض العلّامة المجلسي إلى ذكر وجوه الإعجاز، معتبراً الإعجاز في الفصاحة والبلاغة من أهم الإعجاز ضمن بيان آراء بعض العلماء في هذا المجال، فقال:
- وأما وجه إعجازه فالجمهور من العامة والخاصّة... على إنّ إعجاز القرآن بكونه في الطّيقة العليا من الفصاحة، والدرجة القصوى من البلاغة، على ما يعرفه فصحاء العرب بسليقتهم، وعلماء الفرق بمهارتهم في فنّ البيان، وإحاطتهم بأساليب الكلام، هذا مع اشتماله على الأخبار عن المغيّبات الماضية والآتية، وعلى دقائق العلوم الإلهيّة، وأحوال المبدأ والمعاد، ومكارم الأخلاق، والإرشاد إلى فنون الحكمة العلميّة والعملية. وقيل عدم اختلافه وتناقضه مع ما فيه من الطّول والامتداد... والحقّ هو الأول.^٢

العلّامة شيرازي

وهو السيّد عبد الله شيرازي (المتوفى ١٢٤٢هـ) من مفسّري ومحدّثي القرن الثّالث عشر الهجري، صاحب عشرات الكتب القيّمة، والمشهور بالمجلسي الثّاني، ومن جملة كتبه «حقّ اليقين في معرفة أصول الدّين» وهو من الكتب النّادرة في أصول عقائد الإمامية، فقد أورد كثيراً من الأدلّة العقليّة والنقلية على العقائد، وقد تناول في المجلد الأول إثبات نبوة نبيّ الإسلام ومعجزاته، ثمّ تعرّض إلى إعجاز القرآن وكيفيته، وبعد أن ذكر بعض الآراء حول إعجاز القرآن لخص وجوه الإعجاز في اثني عشر وجهاً، كالآتي:

١. التّركيب العجيب للكلمات، بحيث يعجز الآخرون عن الإتيان مثلها.^٣
٢. الأسلوب والنظم الجديد، فلا نجد في قصائد فصحاء العرب وأشعارهم ما يشبه القرآن في ملاحته وفصاحته؛ ولذلك فقد نسب الكفار إلى السّحر.^٤
٣. عدم الاختلاف فيه، وبعده عن التّناقض وعدم الإنسجام، مع أنّ أفصح الفصحاء عندما

١. المصدر السابق: ٢٢٢.

٢. المصدر نفسه، ص ٢٢٤.

٣. حقّ اليقين، ج ١، ص ١١٣.

٤. المصدر نفسه، ص ١١٤.

- يتكلم كلاماً طويلاً تجد فيه الاختلاف والتناقض.^١
٤. اشتماله على كمال معرفة الله وذاته وصفاته وأسمائه، ممّا تميز فيه العقول، واشتماله على الآداب الكريمة والشرائع القويمة لإدارة المجتمع.
٥. اشتماله على الأخبار بخفايا الماضيّة والقرون الخاليّة، ممّا لم يعلمه أحد إلّا خواص أحبارهم ورهبانهم، الذين لم يكن النبي ﷺ معاشراً لأحد منهم، كقصة أهل الكهف، وأخبار الكفار والمنافقين وأحوال القبيلة.^٢
٦. من حيث أنّه لا يخلق على طول الأمان، ولا يمل منه، بل كلّما تلوته ونظرتة وجدته طرياً.^٣

العلامة البلاغي

وهو العلامة محمّد جواد البلاغي (المتوفى ١٣٥٢هـ)، من علماء النجف، وصاحب التفسير القيم (آلاء الرحمن في تفسير القرآن)، تعرّض في مقدّمة تفسيره إلى بحث إعجاز القرآن، فهو يعتقد أنّ إعجاز القرآن يمكن دراسته من زاويتين:

الأولى: إعجاز القرآن للعرب،^٤ وكيف يكون القرآن معجزة بالنسبة إليهم، وخاصّة في صدر الإسلام، ثمّ إعجاز القرآن بالنسبة إلى عامّة البشر، أعم من العرب والعجم، في القسم الأوّل أي: إختصاص القرآن بالعرب يرى: أنّه عند بزوغ فجر الإسلام في شبه الجزيرة العربيّة كان أهمّ العلوم عند العرب هو الأدب العربي وأساليب الكلام، ولم يكونوا على إطلاع في بقيّة العلوم الأخرى، فكان يجب أولاً أنّ يلفت انتباههم، ومن هنا فإنّ إعجاز القرآن في الدّرجة الأولى كان في مجال اللغة والفصاحة، وإلّا فإنّ العرب لا تسلم بسهولة لدعوة القرآن، بل كانوا يعتبرونه نوعاً من السّحر، أو الصنعة الأجنبية، فلا يؤمنوا به، ومن هنا فقد اقتضت الحكمة الإلهية، في البداية مواجهة مخاطبيه في قالب بياني وبلاغي، يقول في هذا المجال:

وأما العرب الذين ابتدأت بهم دعوة الإسلام في حكمة سيرها في الإصلاح، فقد كانت معارفهم نوعاً منحصرة بالأدب العربي، وكانوا خالين من سائر العلوم

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه، ص ١١٥.

٤. العلامة البلاغي من العرب الفصحاء يدرك النكات الأدبيّة وخصائص اللغة العربيّة بصورة جيدة فقد عاش في النجف.

والصنائع الخاضعة للعلم والتعلم... فلا يعرفون من الأعمال ما هو خارج عن هذه الحدود، وخارق للعادة ولا يكون إلّا بإعجاز إلهي، فكل عمل معجز من غير الأدب العربي بمجرد مشاهدتهم له وسماعهم به يسبق إلى أذهانهم ويستحکم في حسابهم أنّه من السّحر، أو من مهارة أهل البلاد الأجنبية في الصنائع وتقدّمهم في العلوم وأسرار الطبيعيات وقوانينها.

ولا يذعنون بأنّه معجز إلهي، بل يسوقهم شك الجهل إلى الجحود، خصوصاً إذا كان ذلك يحتج به النبي... ولذا اقتضت الحكمة الإلهية «ولله الحكمة البالغة» أن يكون القرآن الكريم هو المعجز المعنون... فإنّه يكون حجة على العرب بإعجازه ببلاغته وبمعجزهم عن الإتيان بمثله، أو بسورة من مثله، وبخضوعهم لإعجازه، وهم الخبراء في ذلك يكون أيضاً حجة على غيرهم في ذلك.^١

ذكر العلّامة البلاغي أنّ القرآن نفسه قد أكد على هذا الإعجاز وتحدى العرب وصرّح بأعلى صوته: «فأتوا بسورة من قبله» وكرر النّداء والمصارحة في الإحتجاج وهو ما يؤشر ثبات القرآن في إعجازه البياني والبلاغي والتأريخ يشهد أنّه لم يستطع أحد أن يستجيب لدعوة القرآن بالإتيان بمثله.^٢

١. الإعجاز التأريخي

وفي مجال الإعجاز التأريخي يقول أنّه على الرّغم من أنّ القرآن قد أخبر عن الحوادث الماضية والأمم الخالية عن طريق الرّسول الذي كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب ولم يدخل مدرسة، وهذا بنفسه يعتبر أمراً خارقاً للعادة، غير أنّ الإعجاز التأريخي ليس في هذه النّقطة؛ لأنّ مثل هذا الأخبار يمكن في العادة بالنسبة لنوع البشر وإن كان معرضاً للعثرات التي لا تقال، بل نقول أنّ القرآن الكريم إشتراك مع التّوراة في نقل بعض القصص، التّوراة التي اتفق اليهود والنصارى على أنّها كتاب الله المنزل على رسوله موسى عليه السلام. وقد جاءت تلك القصص مملوءة بالخرافات والكفر وعدم الانتظام، ومن ذلك قصة آدم عليه السلام. أمّا القرآن الكريم فقد أورد هذه القصص بكرامة الوحي منزّهة عن كلّ خرافة وكفر، وعن كلّ ما ينافي قدسية الله وقدسية أنبيائه ما يشير إلى أنّ القرآن وحي إلهي.^٣

١. راجع: آلاء الرحمن، ج ١، ص ٤.

٢. المصدر نفسه، ص ٧.

٣. آلاء الرحمن، ج ١، ص ٩.

٢. الإعجاز في وجهة الاحتجاج^١

يرى المرحوم البلاغي أن القرآن نزل على قلب رسول الله ﷺ في زمن جهل وضلال، وكان أغلب الناس مشركين يعبدون الأصنام، وكان النفاق والشرك سمة ذلك العصر، فأنزل الله سبحانه وتعالى كتابه لهداية البشر. وقد استفاد القرآن من وسائل متنوعة للهداية، فاستخدم أسلوب البرهان والاستدلال، فالحجج القرآنية واضحة جداً، في قوالب محكمة، يقول العلامة البلاغي: «جاء بها على أرقى نحو يستلفت العامي إلى نور الغريزة الفطرية فيمثلها لشعوره وإلى سناء البديهيّات فيجلوه لإدراكه».^٢

إن احتجاجات القرآن في موضوع معرفة الله، المعاد، وصفات الله... كثيرة حتى أنه كشف الحقائق المستورة، وعندما نقارن أسلوب الحجج في القرآن مع احتجاجات الأنجيل الأربعة يتبين بوضوح إعجاز القرآن في احتجاجاته، وقد أشار المرحوم البلاغي إلى نماذج منها في كتابه.^٣

٣. إعجاز القرآن من وجهة الاستقامة والسلامة من الاختلاف والتناقض^٤

يرى العلامة البلاغي أن القرآن الكريم قد خاض في علوم وفنون ومعارف متنوعة، كالفلسفة، والسياسة، والخطابة، والعلوم الاجتماعية، والأخلاقية والقوانين المدنية، والعسكرية... وجرى من ذلك بأحسن أسلوب وأقوم منهج، وفي جميع ذلك لم يظهر منه اختلاف ولا تناقض ولا وهن، كتاب بسورة الانسجام بين تمام أجزائه. ثم ذكر أن القرآن قد أكد في آيات متعددة على هذا الأمر، حيث قال: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ إِن لَّوْكَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^٥ فهل يمكن لبشر أمي لم يتلق تعليماً ولم يدخل مدرسة أن يأتي بمثل هذه المسائل المنسجمة، ثم قال: «ولك العبرة بكتب العهدين، وهي التي منذ قرون عديدة يصفق لاستحسانها أكثر العالم المفتخر بالعلم والتّمدن وينسبونها بكمال

١. راجع: المصدر نفسه، ص ١١.

٢. راجع: المصدر نفسه.

٣. المصدر السابق، ص ١٢.

٤. راجع: المصدر نفسه.

٥. النساء: الآية ١٨٢.

الاحتفال إلى كرامة الوحي، فكم وكم يوجد من الوهن والسقوط والاختلاف والتناقض... وقد ذكر في الجزء الأول من المرحلة المدرسية.^١

٤. إعجازه في وجهة التشريع العادل ونظام المدنية^٢

عدّ العلامة البلاغي أنّ الوجه الرابع^٣ من وجوه الإعجاز هو الإعجاز في عرض القوانين الحقوقية العادلة قائلاً:

قدر رسول الله ﷺ بشراً عادياً... في عصره ونشأته وتربيته وبلاده وقومه وجهلهم وعاداتهم الوحشية، ثمّ انظر هل يمكن في العادة لمثل هذا البشر إذا لم يكن موحى إليه أن يأتي من عنده ومن بشرته بمثل ما أتى به في القرآن الكريم من الشريعة الحقوقية العادلة والقوانين القيمة والأنظمة المعقولة الجارية بأجمعها على ما هو الصالح للبشر في المدنية والاجتماع والسياسة والحرب.^٤

فالمدينة التي وصل إليها البشر عن طريق القرآن حضارة راقية جداً تعتبر معجزة وعند دراسة الحضارات في ذلك الزمان ومقارنتها مع القرآن يتبين بوضوح الحضارة التي رسمها القرآن للبشر. يقول المرحوم البلاغي: «فاعرف إذن إعجاز القرآن في تشريعه الممتاز بفضيلة الوحي الإلهي».^٥

٥. الإعجاز في النظام الأخلاقي

ذهب العلامة البلاغي إلى أنّ الوجه الخامس من وجوه الإعجاز هو الإعجاز في المجال التربوي والأخلاقي، مبيناً أنّ القرآن الكريم هو كتاب يتضمن نظاماً أخلاقياً تربوياً خارقاً للعادة، فمنذ ذلك الزمان وحتى الوقت الحاضر لم يأت كتاباً بمثل جماله. ثمّ أضاف أنّه وقبل عصر النزول وصلت الأخلاق والتربية إلى أدنى حدّ من التدهور الأخلاقي، فبرز القرآن بأنواره فأتى بما لا تسمح به العادة من الأخلاق الفاضلة، ثمّ أشار إلى نماذج من تلك الموارد في سورة النحل والحجرات، كآية الشريعة: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي

١. راجع: آلاء الرحمن، ج ١، ص ١٢.

٢. المصدر نفسه، ص ١٣.

٣. المصدر نفسه.

٤. المصدر نفسه.

٥. المصدر نفسه، ١٤.

الْقُرْبِ وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾

يقول العلامة البلاغي:

إذا ألقينا نظرة إلى التوراة وقارنا تعاليمه الأخلاقية مع القرآن، سوف يتبين عظمة هذا الكتاب السماوي، والأمر نفسه ينطبق على الأناجيل فقد أفرطت في تعاليمها التربوية والأخلاقية.^١

في حين أن القرآن، خلافاً للسنن الجاهلية، تضمن الآداب والتعاليم الأخلاقية الراقية مستفيداً من الأساليب التربوية الراقية.

٦. إعجازه في وجهة علم الغيب^٢

وهو الوجه الأخير الذي ذكره العلامة البلاغي، أي: احتواء القرآن على «الأخبار الغيبية» قال: إن القرآن يتضمن أخبار غيبية كثيرة، ومن خلال الظروف الاجتماعية في ذلك الوقت من الصعب القبول بهذه الأخبار والتصديق، أو التكهن بها، وقد تبين فيما بعد صحة تلك الأخبار فمن ذلك قوله في سورة الحجر: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^٣ في الأمر لرسول الله ﷺ بالإعلام بالدعوة والتنبأ بنجاحها وإرغام معانديها عند طغيان الشرك واستفحاله وهيجان المشركين على رسول الله ﷺ وكذلك الآيات التي تخبر عن انتصار الإسلام على جميع بلاد الأرض، والآيات التي تخبر عن غلبة الروم وآيات سورة المسد في شأن أبي لهب وزوجته و... وقارن ذلك مع الأناجيل. ثم قال: وهل يسمح عقله إلّا بأن يقول: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾^٤

العلامة الطباطبائي رحمه الله

ذكر العلامة محمد حسين الطباطبائي (المتوفى ١٤٠٥هـ)، المفسر والفيلسوف الشيعي الكبير

١. النحل: الآية ٩٠.

٢. رجع: آلاء الرحمن، ج ١، ص ١٥.

٣. المصدر نفسه.

٤. الحجر: الآيات ٩٤-٩٦.

٥. آلاء الرحمن، ج ١، ص ١٦.

بحث الإعجاز في ذيل الآيات (٢٣، ٢٤) من سورة البقرة، فهو يرى أن آيات التحدي تدل على إعجاز القرآن، وإن تحدي القرآن عام شامل لجميع الوجوه، والتحدي العام ورد في الآية: ﴿قُلْ لِّإِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا^١﴾ يظهر من خلال هذه الآية أن الإعجاز يكمن في جوانب متنوعة^٢ يقول العلامة:

لو كان التحدي ببلاغة القرآن وجزالة أسلوبه فقط لم يتعد قوماً خاصين، وهم العرب العرباء... مع أن المخاطبين في الآية السابقة هم الإنس والجن، ومن هنا يتبين أن الإعجاز يتخطى الأسلوب البياني، وكذلك إذا كان التحدي بصفة خاصة فقط غير البلاغة وجزالة الأسلوب، فلا بد أن يكون خطاب القرآن متجهاً لهذه الطائفة الخاصة مع أن التحدي عام وشامل للجميع، إن شمول خطاب التحدي يكشف عن أن الله سبحانه وتعالى دعا الجميع للإتيان بمثل القرآن، ومن هنا فالقرآن معجزة الجميع ولا يختص بمجموعة خاصة، وكذلك فإن إعجازه لا يقتصر على البلاغة فقط، أو المعارف، أو الأخلاق، أو القوانين الصالحة والأخبار الغيبية... لأن كل جهة من تلك الجهات يفهمها جماعة خاصة من الجن والانس^٣.

ومن هنا يقول العلامة في هذا المورد:

فالقرآن آية للبلغ في بلاغته، وللحكيم في حكمته، وللعالم في علمه، وللإجماعي في اجتماعه، وللمقننين في تقنينهم وللسياسين في سياستهم، وللحكام في حكومتهم، ولجميع العالمين فيما لا يتألونه جميعاً كالغيب والاختلاف في الحكم والعلم، ثم أكد على أن إعجاز القرآن يتضمن جميع الجهات لكل فرد من الإنس والجن عالماً كان أو جاهلاً، رجلاً كان أو امرأة، متخصصاً أو فرداً عادياً... وكل إنسان مفطور على إدراك الفضيلة^٤.

يقول العلامة في هذا المجال:

وهل يجتري عاقل على أن يأتي بكتاب يدعيه هدى للعالمين ثم يودعه أخباراً في الغيب مما مضى ويستقبل، وفيمن خلت من الأمم، وفيمن سيقدم منهم، لا بالواحد والاثنتين في أبواب مختلفة القصص والملاحم والمغيبات المستقبلية، لا يتخلف شيء منها عن صراط الصدق^٥.

١. الإسراء: الآية ٨٨.

٢. الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٥٩.

٣. المصدر نفسه، ص ٦٠.

٤. المصدر نفسه.

٥. المصدر نفسه، ص ٦١.

٦. المصدر نفسه.

ثمّ يضيف إنّ العاقل القادر على تحليل هذه المعاني والقضايا لا يشك أنّ هذه المزايا الكلية وغيرها ممّا يشتمل عليها القرآن خارجة عن قدرة البشر ووراء الوسائل الطبيعية المادية.^١

وفي مسألة شمول الإعجاز للجميع يتساءل العلّامة فيقول:

ما الفائدة في توسعة التّحدي إلى العامة والتّعدي عن حومة الخاصّة، فإنّ العامة سريعة الإنفعال للدّعوة والإجابة لكلّ صنّعة، وقد خضعوا لأمثال، الباب، والبهاء، والقادياني، ولمسلمة، على أنّ ما أتوا به أشبه بالهجر والهديان منه بالكلام.

ثمّ أجاب على ذلك قائلاً:

هذا هو السبيل في عموم الإعجاز والطّريق الممكن في تمييز الكمال والتّقدّم في أمر يقع فيه التّفاضل والسّباق، فإنّ أفهام النّاس مختلفة اختلافاً ضرورياً، والكمالات كذلك، والنتيجة الضّروريّة لهاتين المقدّمتين أن يدرك صاحب الفهم العالي والنّظر الصائب، ويرجع من هو دون ذلك فهماً إلى صاحبه، والفطرة حاكمة والغريزة قاضية، ولا يقبل شيء ممّا يناله الإنسان بقواه المدركة ويبلغه فهمه العموم والشمول لكلّ فرد في كلّ زمان ومكان بالوصول والبلوغ والبقاء إلّا ما هو من سنخ العلم والمعرفة، على الطريقة المذكورة، فإنّ كلّ ما فرق آية المعجزة غير العلم والمعرفة، فإنّما هو موجود طبيعي، أو حادث حسيّ محكوم بقوانين المادة، محدود بالزمان والمكان، فليس بمشهور إلّا لبعض أفراد الإنسان دون بعض، ولو فرض محالاً، أو كالمحال عمومهم لكلّ فرد منه، فإنّما يمكن في مكان دون جميع الأمكنة، ولو فرض اتساعه لكلّ مكان لم يمكن اتساعه لجميع الأزمنة والأوقات، فهذا ما تحدّى به القرآن عامّاً لكلّ فرد في كلّ مكان في كلّ زمان.^٢

ثمّ تعرض العلّامة الطباطبائي إلى بعض وجوه تحدي القرآن، والذي يشير إلى وجوه الإعجاز عند العلّامة، وهي:

الإعجاز العلمي

تحدّى القرآن الكريم النّاس بالعلم والمعرفة، كما في الآيات الشريفة: ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ...﴾^٣ والآية: ﴿...وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾^٤ فكلّ من يتمعن في تعاليم الإسلام السّامية، أعم من التّعاليم العامّة الّتي ذكرها القرآن، والجزئية

١. المصدر السابق.

٢. المصدر نفسه.

٣. النحل: الآية ٨٩.

٤. الانعام: الآية ٥٩.

التي بينها النبي ﷺ كما في الآية: ﴿...وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا...﴾^١ يكشف أن القرآن قد تعرض إلى كل موضوع صغيراً كان، أم كبيراً، فجميع المسائل الفلسفية، والأخلاقية، والقوانين الدينية، والسياسية والاجتماعية، وكل ما يحتاجه البشر في مرحلة العمل، قد تعرض لها القرآن ذاكراً أشد تفصيلها، جميع ذلك على أساس الفطرة وأصل التوحيد.^٢

وقد أجاب عن السؤال القائل: «قد استقرت أنظار الباحثين عن الاجتماع وعلماء التقنين اليوم على وجوب تحول القوانين الوضعية الاجتماعية بتحول الاجتماع، واختلافها باختلاف الأزمنة والأوقات وتقدم المدنية والحضارة».

ثم أجاب قائلاً: «إن القرآن يبنى أساس التشريع على التوحيد الفطري والأخلاق الفاضلة الغريزية، ويدعي أن التشريع يجب أن ينمو من بذر التكوين والوجود، وهؤلاء الباحثون يبنون نظهم على تحول الاجتماع».^٣

التحدي بمن أنزل عليه القرآن

تحدى القرآن البشر بشخص رسول الله ﷺ فالنبي كان أمياً لم يحضر في مدرسة، ولم يحضر عند أستاذ، مع ذلك فقد جاء بكتاب أعجز البشر في ألفاظه ومحتواه، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.^٤

وقد بين العلامة الطباطبائي أن الجميع كانوا يعلمون أن النبي ﷺ كان يعيش بينهم الى أن ادعى النبوة، وتحدى الناس، فلم يجترئ على معارضة معارض، أو ذي لب، ومن هنا فقد جاء التحدي بشخص النبي بالخصوصيات التي يمتلكها.^٥

١. الحشر: الآية ٧.

٢. راجع: الميزان، ج ١، ص ٦٢.

٣. المصدر نفسه، ص ٦٣.

٤. يونس: الآية ١٦.

٥. راجع: الميزان، ج ١، ص ٦٣.

الإعجاز بالاخبار الغيبية

وهو من الوجوه الأخرى للإعجاز عند العلامة الطباطبائي، حيث قال:

وقد تحدى بالأخبار عن الغيب بآيات كثيرة، فطلب من الآخرين أن يأتوا بكتاب كالقرآن يشتمل على الأخبار الغيبية إذا كانوا يشكون في وحيانيته، كآية الشريفة: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا...﴾^١ بالإضافة إلى آيات أخرى تتحدث عن الأنبياء السابقين والأمم الماضية، وكذلك الأخبار المستقبلية، ومن ذلك أيضاً الآيات التي تنبئ عن الحوادث العظيمة التي تستقبل الأمة الإسلامية بعد نزول القرآن.^٢

تحدي القرآن بعدم الاختلاف فيه

ومن وجوه التحدي الأخرى، هو التحدي بعدم الاختلاف في القرآن، فمع سعة المعارف الموجودة في القرآن لا نجد فيه اختلاف أو تناقض، ومن هنا أكد العلامة الطباطبائي استناداً للآية:

﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^٣
أن الحياة الدنيا هي حياة مادية، والقانون الذي يحكمها هو قانون التحول والتكامل، فكل ما في هذا العالم من موجودات إما وهو مندرج في الوجود بحكم قانون التكامل، ومن جملتها الإنسان وأفعاله وآثاره التي يتوسل إليها بالفكر والإدراك، فما من واحد منا إلا وهو يرى نفسه أكمل من أمس... ومن جهة أخرى فإن القرآن قد نزل بالتدرج بعض الآيات نزلت في مكة والأخرى في المدينة تحت شرائط مختلفة، مع ذلك لا تجد هناك فيها أدنى اختلاف في النظم والمحتوى، بل أن بعض الآيات تفسر الأخرى، ولو كان من عند غير الله لاختلف النظم في الحسن والمعنى من حيث الفساد والصحة.^٤

ثم أضاف العلامة: إذا ما أشكل البعض أن ما تقولونه مجرد دعوى، فقد أخذ على القرآن إشكالات كثيرة بعضها تناقضات في الألفاظ، وبعضها في المحتوى ومعاني القرآن. وفي الجواب على ذلك يقول العلامة: أن ما أشير إليه من التناقضات والإشكالات موجودة في كتب التفسير وغيرها مع أجوبتها، فقبل أن ذلك ليس دليلاً على تناقض القرآن، بل أن بعض

١. هود: الآية ٤٩.

٢. راجع: الميزان، ج ١، ص ٦٤.

٣. النساء: الآية ٨٢.

٤. راجع: الميزان، ج ١، ص ٦٦.

الآيات تفسير البعض الآخر، وهناك عام وخاص. فعلى سبيل المثال إذا قيل: «فما تقول في النسخ الواقع في القرآن، وقد نصّ عليه القرآن نفسه في قوله: ﴿مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا...﴾^١ وهل النسخ إلّا اختلاف في النظر؟

وقد أجاب العلامة الطباطبائي على هذا الإشكال قائلاً:

النسخ كما أنّه ليس من المناقضة في القول، وهو ظاهر، كذلك ليس من قبيل الاختلاف في النظر والحكم، وإنما هو ناشئ من الاختلاف في المصادق من حيث قبوله انطباق الحكم يوماً لوجود مصلحته فيه، وعدم قبوله الانطباق يوماً آخر لتبدل المصلحة، ومن أوضح الشهود على هذا أن الآيات المنسوخة الأحكام في القرآن مقترنة بقرائن لفظية تومئ إلى أن الحكم المذكور في الآية سينسخ... كقوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنْ يَرُدُّوكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا...﴾ إلى أن قال: ﴿...فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ...﴾ حيث تمّ الكلام بما يشعر بأن الحكم مؤجل.^٢

التحدي بالبلاغة

قال العلامة الطباطبائي أن من جملة وجوه الإعجاز هو الإعجاز البلاغي، لأن ذلك هو الشأن الظاهر من شؤون العرب، والتأريخ شاهد على أن العرب في ذلك الوقت قد بلغوا مرتبة سامية في كمال البيان وجزالة النظم ووفاء اللفظ ورعاية المقام وسهولة المنطق قبل اختلاطهم بالأمم الأخرى. وقد تحداهم القرآن بشدة بأن يأتوا بما يماثل القرآن في ألفاظه وبلاغته فدعاهم للمبارزة والتحدي في آيات كثيرة كالآية: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^٣ ومن جهة أخرى فقد تكررت دعوة التحدي، فلم تكن مرة أو مرتان حتى ينساها العرب، فقد طالبت مدة التحدي وتمادي زمان الاستنهاض، ومع تسلطهم في اللغة لم يستطيعوا تسكين ما يشير حميتهم ويطفئوا ما يوقد نار الأنفة والعصية عندهم، فوقفوا عاجزين حيال دعوة القرآن، وقد مضت القرون ولم يأت بما يناظره آت، ولم يعارضه أحد بشيء إلّا أخزى نفسه وانفضح^٤ فقد

١. البقرة: الآية ١٠٦.

٢. راجع: الميزان، ج ١، ص ٦٦.

٣. هود: الآية ١٣.

٤. راجع: الميزان، ج ١، ص ٦٨.

عارض مسيلمة الكذّاب سورة الفيل قائلاً: «الفيل ما الفيل وما أدراك ما الفيل له ذنب وبيل وخرطوم طويل».^١ وبعد ذلك ذكر العلامة الطّباطبائي إشكالين ثمّ أجاب عنهما فقال:

١. كيف يمكن أن يبلغ التّأليف الكلامي مرتبة تعجز الإنسان مع أنّ الكلام والجمل إنّما هي من صنع ذهن الإنسان نفسه، وكيف يمكن أن يترشح من قريحة الإنسان ما لا تحيط به، والفاعل أقوى من فعله ومنشأ الأثر محيط بأثره؟

٢. ثمّ إنّ التّراكيب الكلاميّة لو فرض أنّ بينها تركيباً بالغاً حد الإعجاز كان معنى ذلك أنّ كلّ معنى من المعاني المقصودة ذات تراكيب كلامية تتفاوت في الكمال والنقص أرقاها تلك التي لا تسعها الطاقة البشرية، وهو التّركيب المعجز وأدناها مرتبة الكلام العادي، ولازم ذلك أن يكون في كل، معنى تراكيب إعجازي واحد مع أنّ القرآن كثيراً ما يورد في المعنى الواحد بيانات مختلفة وتراكيب متفرقة، فإن كانت تراكيبه معجزة فلا يوجد منها في كلّ معنى مقصود إلّا واحد، كما هو الحال في القصص.^٢

وفي الإجابة على هذين الإشكالين قال: في الكلام الفصيح لا بدّ من ملاحظة ثلاث جهات فمن الممكن أن تجتمع العناصر الثلاثة في الكلام فيصبح الكلام فصيحاً، وربّما يفقد الكلام واحداً من العناصر الثلاثة فينزل عن مرتبة الكلام الفصيح، والعناصر الثلاثة هي:

١. الإحاطة باللغة، فربّما يحيط الإنسان بلغة من اللغات لكنّه لا يستطيع الاستفادة منها.
٢. قدرة البيان، فمن الممكن أن يمهر الإنسان في البيان وسرد الكلام لكن لا علم له بالمعارف والمطالب، فيعجز عن التّكلم فيها بكلام.

٣. قوة الفكر ودقة الذّوق، فربّما تبخر الإنسان في معارفه ومعلوماته ويستطيع جعلها في قوالب جميلة، وربّما اتصف بلطافة الذّوق، ولكنّه لا يستطيع الإفصاح عن كلام جذاب لعدم امتلاكه ناصية المعارف السّاميّة. يقول العلامة الطّباطبائي: ما يرجع إلى قريحة الإنسان هو الأول، أمّا الثّاني والثّالث فلا علاقة لها بقريحته؛ لأنّها ليست بقدرته ولا علاقة لها بقريحته، بل هي مراحل عالية ربّما يعجز الإنسان عنها في بعض المراحل، ومن الممكن أن يأتي ببعض الكلمات التي يعجز الذّهن عن نسخها، ومن هنا يقول العلامة: إنّ استناد وضع اللغة إلى

١. المصدر نفسه.

٢. المصدر نفسه، ص ٦٩.

إلّا كالقول بأن القين الصانع للسيوف يجب أن يكون أشجع من يستعملها.^١

ثم أكد: إنّ البلاغة ترجع للألفاظ، والأخرى للمعاني فكلّ من يتمتع بمعاني اللطف يمكنه أن يبيّن الألفاظ والمعاني اللطيفة على شكل معجزة إن كانت في موضوع وقصة واحدة، وهذا الأمر يكون تحت اختيار الله سبحانه، فعلى سبيل المثال كرّرت قصة نوح عليه السلام عدّة مرات، وفي كلّ مرة جاءت على مستوى عال من البلاغة والذوق، فقد تبيّن أن أمر البلاغة المعجزة لا يدور مدار اللفظ حتّى يقال إنّ أبلغ التراكيب المتصورة، هي تركيب واحد لا أكثر تتعلق بالألفاظ والمعاني الواضحة والكاملة حيث يمكن أن يتقوّل الموضوع بقوالب مختلفة من الألفاظ، ومن هنا يقول العلّامة:

فإنّ أمر البلاغة لا يدور مدار اللفظ حتّى يقال إنّ الإنسان هو الواضع للكلام، فكيف لا يقدر على أبلغ الكلام وأفصحه وهو واضع أو يقال أن أبلغ التراكيب المتصورة تركيب واحد من بينها، فكيف يمكن التعبير عن معنى واحد بتركيبات متعدّدة مختلفة السياق، والجميع فائقة قدرة البشر، بالغة حدّ الإعجاز، بل المدار هو المعنى المحافظ لجميع جهات الذهن والخارج.^٢

آية الله الخوئي رحمته الله

زعيم الحوزة العلميّة في النجف آية الله السيّد أبو القاسم الخوئي، الأصولي والمفسّر، صاحب كتاب «البيان في تفسير القرآن» ذكر مباحث مهمّة في إعجاز القرآن، حيث يعتقد أن الإعجاز لا يختص بوجه خاص، بل القرآن معجزة من جهات متعدّدة، وكذلك يرى أن دين الإسلام هو دين خالد؛ ولذلك لا بدّ أن تكون معجزته خالدة أيضاً، ولذلك فإنّ القرآن معجزة جميع الأعصار والقرون^٣ ولذا فإنّه يعتبر أكبر معجزة، لأنّ النبي صلى الله عليه وآله كان لديه معجز أخرى ولكن لا تصل إلى مرتبة القرآن.^٤

إنّ الإعجاز البلاغي هو أكثر وجوه الإعجاز رواجاً في صدر الإسلام، كما يرى السيّد الخوئي؛ لأنّ العرب في ذلك الزمان كانوا يبرعون في البلاغة، ومن الطّبيعي أن يخص كلّ

١. الميزان، ج ١، ص ٧٢.

٢. الميزان، ج ١، ص ٧٣.

٣. راجع: البيان في تفسير القرآن، ص ٥٤.

٤. المصدر السابق، ص ١١٧.

نبيٍّ بمعجزة تشابه الصنعة المعروفة في زمانه، حتى تكون أكثر فائدة وأسرع للتصديق، ولذلك فإنَّ إعجاز القرآن يكمن في بلاغته، ثمَّ استشهد بكلام الإمام الرضا عليه السلام الذي يقول فيه: «وإنَّ الله بعث محمداً ﷺ في وقت كات الغالب على أهل عصره الخطب والكلام»^١ وعندما فكرت العرب في بلاغة العرب أذعنت له، وفازوا بشرف الإسلام، وأثار البعض طريق العناد فظهر عجزهم عن الإتيان بمثله.

ثم قال رغم أنَّ الإعجاز البلاغي جانب مهم من جوانب الإعجاز، ولكن الإعجاز لا ينحصر في ذلك؛ لأنَّ القرآن معجزة ربانية لجميع العصور، قال: «وإذا قد عرفت أنَّ القرآن معجزة إلهية في بلاغته وأسلوبه فاعلم أنَّ إعجازه لا ينحصر في ذلك، بل هو معجزة ربانية، وبرهان صدق على نبوة من أنزل إليه من جهات شتى»^٢ ذكر السيد الخوئي الوجوه المعروفة للإعجاز وهي:

القرآن والمعارف

عدَّ آية الله الخوئي معارف القرآن فوق قدرة البشر، وقد صرَّح الله سبحانه وتعالى في آيات عديدة أنَّ النبيَّ ﷺ كان أمياً لم يتعلم عند أحد، ومع ذلك فقد أتى في كتابه بما أبهر العلماء، وإذا فرضنا أنَّ النبيَّ ﷺ لم يكن أمياً، ولم يتلق من علماء عصره، أو ليس من اللازم أنَّه قد اكتسب معارفه من مثقفي عصره الذي نشأ بينهم، مع أننا نرى أنهم من الأعراب الجاهليين وثنيين يعتقدون بالأوهام ويؤمنون بالخرافات.^٣

وإذا فرضنا أنَّ النبيَّ قد أخذ معارفه وعلومه من كتب العهدين في ذلك الوقت، ألا يجب أن تكون معارفه القرآن صدى وانعكاساً لما ورد في كتاب العهدين، مع أننا نرى أنَّ معارف القرآن تخالف العهدين، يقول آية الله الخوئي: «ونحن نرى مخالفة القرآن للكتب العهدين من جميع النواحي، وتنزيهه لحقائق المعارف عن الموهومات الخرافية، التي ملأت كتب العهدين».^٤

١. أصول الكافي، كتاب العقل والجهل، الرواية ٢٠، ج ١، ص ٢٤.

٢. راجع: البيان، ص ٥٦.

٣. المصدر السابق، ص ٥٧.

٤. المصدر نفسه.

ثم ذكر نماذجاً من معارف القرآن وقارنها مع كتب المهدين ليثبت استحالة اعتقاد أن معارف القرآن انعكاساً لكتاب المهدين، ومن جملة ذلك صفات الله في القرآن المنزه من كل نقص، كما جاء في الآية: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَيْنَتُونَ﴾^١ والآية: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^٢ ثم تعرض إلى بعض الآيات في وصف الأنبياء ومقارنتها مع المهدين؛ ليثبت أحكام المعارف القرآنية، وليخلص إلى القول بأن المهدين لا يمكن أن تكون مصدراً لعلم ومعارف النبي ﷺ قال: «وهل يمكن أن يحكم أن محمداً قد اقتبس معارفه، وأخذ محتويات قرآنه العظيم من هذه السخافات»^٣.

القرآن وابتعاد معارفه عن التناقض (الاستقامة في البيان)

من الوجوه الأخرى التي ذكرها آية الله الخوئي هي سلامته من التناقض؛ لأن الذي يبنى أمره على الكذب والافتراء لا بد أن يصدر منه التناقض والاختلاف، مع أن القرآن بعيد عن ذلك، فالقرآن ومن أجل هداية البشر تعرض لشؤون مختلفة للبشر. فوصف الموجودات السماوية والأرضية مع ذلك لا تجد فيه أدنى تناقض، بل تراه في أقصى درجات الانسجام والتلاؤم، أما كتب المهدين ففيها الكثير من الأمور المتناقضة والتهافت.^٤

القرآن ونظام التشريع

اعتبر آية الله الخوئي نظام القرآن وتشريعاته فوق الطاقة البشرية، فقد كان العرب في ذلك الزمان يعيشون الهمجية والانحطاط فكل إنسان يريد أن يضع القانون الذي يلائم رغباته، مع أن معرفته محدودة لا يستطيع أن يضع قوانين كاملة، ولكن الله سبحانه وتعالى قد طرح أفضل نظام للتشريع في القرآن الكريم وعندما أشرقت شمس الإسلام في مكة عمّت قوانينه العالم في ذلك العصر، وفاق جميع الكتب السماوية فشق للبشر طريقاً مستقيماً، فأمن للبشرية السعادة

١. البقرة: الآية ١١٦.

٢. الانعام: الآية ١٠٣.

٣. راجع: البيان، ص ٦٧.

٤. المصدر السابق، ص ٦٨.

الدِّينِيَّة والدِّنيَوِيَّة^١ بوضع البرامج والتي من ضمنها رفع منزلة الإنسان حيث قال: ﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنَكُمْ...﴾^٢ والآية الشريفة: ﴿...قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ...﴾^٣ ثم قال السيد الخوئي: إن القرآن بين «كلمة التوحيد» و«توحيد الكلمة» ودعا إلى طريق السَّعادة والجَنَّة، ومن هنا فإنَّ القرآن كتاب قانون، ومن هذا المنطلق يعتبر معجزة.^٤

القرآن واتفان المعاني

ومن الوجوه الأخرى للإعجاز عند السيد الخوئي، هو اتفان المعاني المبنية على الحقائق التي لا يمكن القدح بها؛ لأنها فوق مستوى البشر، ولا يتطرق إليها الفساد والنقد، مع كثرة المواضيع التي تعرّض لها القرآن. وقد تعرّض القرآن إلى علوم كثيرة، ومواضيع متعدّدة من الإلهيات، المعارف، المبدأ، المعاد، الفلك، الملائكة، إبليس، الجن، الأرض والسَّماء، التَّاريخ، الأنبياء، حوادث الأمم، الاحتجاجات، الأخلاق، الحقوق العائلية، السَّياسة والحكومة، القضاء والقدر، الجبر والاختيار، العبادات، المعاملات، الحدود والقصاص و... وكان ما أتى به من مطالب منطقيّة ومقبولة عند جميع المتخصّصين، فلم يشكل عليها أي عالم في مجال تخصّصه.^٥

القرآن والأخبار عن الغيب

ومن وجوه الإعجاز الأخرى عند السيد الخوئي، هي تنبؤ بعض آيات القرآن بالغيب، والتي ثبتت صحتها فيما بعد، وهي أخبار لا يمكن للبشر الحصول عليها إلّا عن طريق الوحي والنُّبوة، يقول تعالى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ

١. المصدر السابق، ص ٧٢.

٢. الحجرات: الآية ١٣.

٣. الزمر: الآية ٩.

٤. راجع: البيان، ص ٦٦.

٥. راجع: المصدر السابق، ص ٨٠.

الشُّوْكَةُ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ^١ فقد وقعت معركة بدر خلافاً لرغبة المسلمين، فانتصروا انتصاراً كبيراً، فهذه الآية تحدث عن هذه المعركة عندما وعد الله المؤمنين بالنصر مع قلة عددهم، فالآية تحكي حال المسلمين ووضعهم.^٢ وكذلك الآية ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾^٣ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ^٤.

فهذه الآية تخبر عن النصر الإلهي وأن النبي ﷺ سوف يحفظ من شر المشركين، وقد ذكرت هذه الأخبار في وقت لم يخطر فيه على بال أحد من الناس انكسار شوكة قريش وضعف سلطانهم. ومن الآيات الأخرى التي تتبأ بالغيب الآية ٤٤ من سورة القمر^٥ والآية التاسعة من سورة الصف^٦.

القرآن والمطالب العلمية

ومن الجهات الأخرى التي ذكرها الخوئي، هو اشتمال القرآن على مسائل علمية تشير الإعجاب لا يمكن معرفتها في ذلك الوقت إلا عن طريق الوحي، ورغم أن بعض المعارف العلمية كانت معروفة لليونانيين إلا أنها كانت غريبة عند العرب، وغير معروفة لديهم في ذلك الزمن؛ لبعدهم عن العلم، وقد تبينت صحة تلك المعارف بمرور الزمان وتقدم العلم، مع أن القرآن قد أشار إلى ذلك صريحاً، أو عن طريق الإشارة^٧ ويمكن الإشارة إلى بعض النماذج:

١. قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾^٨ تشير هذه الآية إلى الجبال الثابتة وأن كل ما ينبت في الأرض له وزن خاص، أي أن كل نوع

١. الأنفال: الآية ٧.

٢. راجع: البيان، ص ٨٢.

٣. الحجر: الآيتان ٩٤، ٩٥.

٤. ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرُونَ﴾.

٥. هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

٦. راجع: البيان، ص ٨٣.

٧. راجع: المصدر نفسه، ص ٨٤.

٨. الحجر: الآية ١٩.

من أنواع النبات يتركب من أجزاء خاصة على وزن مخصوص، بحيث لو زاد في بعض أجزائه، أو نقص لكان ذلك مركباً آخر.

٢. قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ...﴾^١ وهي تشير إلى التلقيح عن طريق الرياح.

٣. ﴿...وَمِنْ كُلِّ الشَّجَرِ جَعَلْ فِيهَا رَوْحِينَ اثْنَيْنِ...﴾^٢ والآية تشير إلى الزوجية في النباتات أما الآيات الأخرى، التي تشير إلى حركة الأرض وكرويتها، إيلاج الليل في النهار، وجود المشرقين والمغربين و.. فإن حقيقتها لا تزال غير واضحة للبشر. ثم يشير السيد الخوئي في نهاية وجوه إعجاز القرآن إلى أن تصديق الإمام علي عليه السلام - الذي كان على درجة عالية في الفصاحة والبلاغة والمعارف الإلهية وسائر العلوم - لإعجاز القرآن هو بنفسه دليل على أن القرآن وحي إلهي مما يدل على أن هذا الكتاب في درجة عالية من الإعجاز، ولا بد من بذل جهود كبيرة لإدراكه.^٣

الإمام الخميني قدس سره

مؤسس الجمهورية الإسلامية، كان عالماً وعارفاً بالقرآن وله نظرية جديدة في مسألة الإعجاز فمع إبدائه احتراماً لنظريات العلماء المسلمين السابقين في هذا الموضوع أكد على رأيه في هذا الأمر. في البداية أكد على الوجوه الشائعة في الإعجاز بين المسلمين، والتي تتضمن الإعجاز في: الفصاحة والبلاغة، الأخبار عن الغيب، اتقان المعاني، سعة مواضع القرآن، الجامعة، نزوله على نبي أمي و... يقول الإمام: إن حسن التركيب ولطف البيان، غاية الفصاحة، نهاية البلاغة، كيفية الدعوة، الأخبار عن المغيبات، أحكام الأحكام، اتقان تنظيم الأسرة، وأمثال ذلك كل واحد منهما يعتبر وجهاً من الوجوه الإعجازية بصورة مستقلة.^٤

ثم أكد على أهمية نبي الإسلام ﷺ فقال: إن تلك المعارف التي انتشرت في العالم ببركة بعثة النبي ﷺ يعلم المطلعون على تلك المعارف وإلى الحد الذي ندركه أن تلك

١. الحجر: الآية ٢٢.

٢. راجع: البيان، ص ٩١.

٣. راجع: البيان، ص ٩١.

٤. راجع: آداب الصلاة، ص ٢٦٤.

المعارف خارجة عن حدّ البشرية، فذلك الإعجاز هو فوق إدراك البشر. إن الإنسان الذي ولد وترعرع في الجاهليّة لم يكن يعرف مثل هذه المسائل قط.^١

فالإمام يعتقد أنّه على الرّغم من أن الفصاحة والبلاغة تعتبر من وجوه الإعجاز، ولكنه يرى أنّ شهرة الإعجاز بهذه المسائل؛ لأنّ العرب في صدر الإسلام كانوا متخصصين في هذا الفن وكانوا يدركون هذا العلم فقط، ولكن القرآن له وجوه أخرى في الإعجاز.

وكذلك يؤكّد الإمام الخميني على جامعية القرآن باعتباره كتاب «معجزة» وهو الكتاب الوحيد الذي يجمع المطالب الحياتيّة للبشر، يقول: إنّ سبب شهرة القرآن بالفصاحة، وإنّ هذا الإعجاز كان معروفاً بين النّاس دون بقية وجوه الإعجاز؛ لأنّ العرب كانوا يعرفون هذا الفن فقط، ولا يدركون إلّا هذه الجهة من الإعجاز،^٢ ثمّ أكّد الإمام على جامعية القرآن وأنّه كتاب معجز يجمع بين دفتيه جميع ما يحتاجه النّاس في حياتهم، فقال: كتاب يتضمن المصالح الشخصية الاجتماعيّة، المصالح السياسيّة وجميع الأشياء الأخرى،^٣ القرآن يشمل جميع المعارف وما يحتاجه البشر. القرآن المجيد والسّنة تتضمن جميع الأحكام التي يحتاجها البشر للوصول إلى السّعادة، وهناك باب في الكافي يختص ببيان أنّ جميع حاجات النّاس في القرآن والسّنة، وأنّه (الكتاب) «تبيان لكلّ شيء».^٤

ومن وجوه الإعجاز عند الإمام أيضاً هو تهذيب النّفوس وبناء الإنسان، فهو يتميز عن الكتب الأخرى في هذا المجال إلى حدّ الإعجاز يقول: «ومن مقاصد القرآن المجيد وأهدافه الأخرى تهذيب النّفوس وتطهير الباطن من أرجاس الطّبيعة، وتحصيل السّعادة، وتوضيح كيفة السّير والسلوك إلى الله»^٥ ويقول أيضاً: الإسلام يجمع كلّ تلك المعاني وجميع الجهات الماديّة والمعنويّة والغيبية والظّاهريّة؛ لأنّ الإنسان فيه جميع تلك المراتب والقرآن كتاب بناء الإنسان.^٦

١. راجع: صحيفة نور، ج ١٦، ص ٧٨.

٢. راجع: صحيفة نور، ج ١٨، ص ٢٥٧.

٣. راجع: المصدر نفسه، ج ٢٠، ص ٨٢.

٤. راجع: ولايت فقيه، ص ٢١.

٥. راجع: آداب الصلاة، ص ١٨٦.

٦. راجع: صحيفة نور، ج ١، ص ٢٤٢.

وبعد أن سلّم الإمام بالوجوه الأخرى للإعجاز، قال إن أهم وجوه الإعجاز هو الإعجاز في «المعاني العرفانية السامية» وبسبب المنهج العرفاني الذي كان يتميز به يقول في هذا الخصوص: نزل هذا الكتاب في محيط وعصر يعتبر من أحلك الفترات ظلاماً... ويتضمن هذا الكتاب معارف وحقائق ليس لها سابقة في هذا العصر فضلاً عن عصر النزول، وأن أكبر معجزة له هو اشتماله على المسائل العرفانية الكبرى، التي لا وجود لها عند اليونان وفلاسفتهم، والتي عجز فلاسفة ذلك العصر كإفلاطون وأرسطو (أكبر فلاسفة ذلك العصر) عن الوصول إليها.^١

وكذلك يقول في قيمة اللطائف والحقائق العرفانية للقرآن: القرآن الكريم جامع للطائف التوحيد وأسراره ودقائقه إلى درجة تحار بها عقول أهل المعرفة، وفي الحقيقة فإن هذا هو الإنجاز الأكبر لهذه الصحيفة السماوية النورانية.^٢ يعتقد الإمام الخميني عليه السلام أن من قرأ القرآن بنظرة عرفانية يدرك إعجازه من هذه الزاوية، أما إذا لم يكن من أهل ذلك فلا ينظر، إلّا إلى الفصاحة اللفظية، يقول:

في عصرنا الحاضر ترى أن المشركين لا يفهمون من القرآن سوى التركيبات اللفظية والمحسنات البديعية والبيانية وأما العارفون بأسرار المعارف ودقائقها العالمون بلطائف التوحيد والتجريد، فإن وجهة نظرهم في هذا الكتاب الإلهي وقبله آمالهم في هذا الوحي السماوي، هي ذات هذه المعارف ولا يهتمون كثيراً بالجوانب الأخرى، وكل من ينظر في العرفان القرآني وعند عرفاء الإسلام الذين اكتسبوا معارفهم من القرآن يدرك أن الأصل في المعارف الإسلامية والقرآنية.

كذلك يؤكد الإمام أن القرآن هو كتاب لجميع العصور وجميع مراحل الحياة، حيث يقول: إن الواضع والمشرّع لهذا القانون الإسلامي هو الله، الله المهيمن على جميع العصور فالقرآن هو كتاب لجميع العصور.^٣

وقد ذهب الإمام إلى أن جميع مطالب القرآن ذات أسرار ونكات عرفانية يقول: مع أن القرآن معجزة مع ذلك يوجد فيه تكرار وباطن هناك مسائل جديدة في كل آية مكررة، وبما أن القرآن جاء لبناء الإنسان وهدايته فلا يمكن أن تطرح المسائل دفعة واحدة، بل لابد أن تكرر تلك المطالب.^٤

١. راجع: جلوه های رحمتی، ص ٢٤.

٢. راجع: آداب الصلاة، ص ٢٦٣.

٣. راجع: المصدر نفسه، ص ٢٦٤.

٤. راجع: صحيفة نور، ج ٧، ص ١٢١.

٥. راجع: المصدر نفسه، ج ٩، ص ١٥٣.

ولهذا السبب أي بسبب الإعجاز العرفاني للقرآن يشعر البشر بالعجز عن الإتيان بمثل القرآن، وإذا ما استطاع الإنسان الإتيان بمثل القرآن فإن ذلك يعني أنّ المسلمين يرفعون أيديهم عن القرآن، يقول في هذا الخصوص:

القرآن الكريم صرّح في عدّة أماكن بأنه معجزة لجميع البشر، وفي جميع الأزمنة ذاكراً
عجز البشر، بل جميع الجن والإنس عن الإتيان بمثله، وما زالت تلك المعجزة الإلهية في
أيدي المسلمين فيمكنهم أن يتحدّوا بها كلّ شخص في هذا العالم، عالم العلم والمعرفة
وبكل ثقة أمّا نحن فقد سلّمنا له، ورجعنا إلى أحكامه.

إعجاز القرآن عند علماء السنة

قام علماء السنة ببحوث ودراسات كثيرة حول إعجاز القرآن ووجوهه، بل إن بعضهم قام بتخصيص كتب مستقلة، أو باب مستقل من كتابه بهذا الأمر. وسوف نتعرض هنا إلى أهم الآراء المعروضة في هذا المجال منذ القرن الرابع وحتى القرن الرابع عشر.

الخطابي

وهو أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم، الخطابي البستي (المتوفى ٣٨٨هـ). كان من الرواد في بيان وجوه الإعجاز، فقد كان أديباً ماهراً، كتابه تحت عنوان «بيان إعجاز القرآن» وكان يرى أن النبي ﷺ دعا جميع العرب إلى الإتيان بمثل القرآن، فعجزوا عن ذلك مع أن قوم النبي (قريش) كانوا يمتازون بمكانة عالية من حيث الفصاحة والبلاغة في الكلام، وكان بينهم فصحاء وشعراء معروفين، فإذا كانوا قادرين على الإتيان بمثل القرآن فإنهم لا يتوانون في ذلك، ولم يتوسلوا بالحرب والقتال مع النبي ﷺ^١ وبعد أن ذكر الخطابي الأقوال والآراء في وجوه الإعجاز اعتبر الرأي الذي ذهب إليه غالب علماء العصر هو الأصح، وهو الرأي الذي يقول به الإعجاز البلاغي^٢ ثم قال: إن هناك اختلاف في وجهات النظر في الإعجاز البلاغي،^٣ وطبقاً لرأي الخطابي فإن عجز الإنسان عن الإتيان بمثل القرآن يكمن في محدودية علم البشر الذي لا يستطيع أن يحيط بجميع اللغات، التي هي أدوات البناء للمعاني، أضف

١. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، للرماني والخطابي والجرجاني.

٢. المصدر السابق، ص ٢٤.

إلى ذلك أن تراكيب النظم في الجملة وكيفية الانسجام والارتباط بينها ليست تحت اختيار الإنسان.^١

يعتقد الخطابي: إن كل كلام ينضمّن ثلاث أركان: «الألفاظ» و«المعاني» و«الربط» بينها وتلك الصفات الثلاثة جاءت في القرآن بمتهى الكمال، بحيث لا يوجد كلام أفصح وأبلغ يحلّ محلها.

ولا توجد معاني أسمى وأكثر معقولة وانسجاماً من معاني ونظم القرآن، وفي غير الكلام القرآني ربما نجد أحد الأركان الثلاثة.^٢ يقول الخطابي: اعلم أن القرآن معجزة؛ لأنه يتضمن أفصح الألفاظ في أجمل قوالب الجمل ويشتمل على أكمل وأصح المعاني.^٣ ولا شك أن كلام الخطابي في بيان إعجاز القرآن البلاغي كلام متين، وأن بلاغته بالنظر لشرائط عصره تدلّ على عظمة القرآن، غير أن الإعجاز لا يقتصر على الإعجاز البلاغي، بل هناك وجوه أخرى، ورغم أهمية الإعجاز البلاغي، ولكنه يختص ببعض الأفراد فقط، ولذلك فإن تخصيص الإعجاز بالوجه البلاغي ليس بصحيح.

الراغب الأصفهاني رحمته الله

وهو أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى ٤٠٢هـ) من العلماء الكبار. تعرّض في مقدّمة كتاب «جامع التفسير» لدراسة بعض المباني والآراء القرآنية من جملتها كيفية إعجاز القرآن. يمتاز الراغب بآراء خاصّة في مجال إعجاز القرآن، فقد قسم المعجزات إلى قسمين حسّية وعقلية، فكان لبعض الأنبياء معجزات حسّية، والآخرين معجزات عقلية، معتبراً معجزة نبي الإسلام حسّية وعقلية، صامته وناطقه^٤ في آن واحد، ثم ذهب إلى أن الإعجاز يمكن تصوّره على وجهين، قال: إعجاز القرآن على وجهين، الوجه الأول يختصّ بنظم القرآن. والثاني يتعلق بإنصاف الناس عن الإتيان بمثله «القول بالصرّفة».^٥

١. المصدر نفسه، ٢٧.

٢. المصدر نفسه.

٣. المصدر نفسه، ٢٧.

٤. راجع: الاعلام، الراغب الأصفهاني.

٥. مقدّمة جامع التفسير، ص ١٠٢.

٦. المصدر نفسه، ١٠٣.

وفي بيان الوجه الأول يرى أن النّظم المخصوص للقرآن لا يرتبط بعناصر اللفظ والمعنى، قال: «فأما الإعجاز المتعلق بالفصاحة فلا يتعلق بعنصره الذي يشمل اللفظ والمعنى؛ لأن ألفاظه ألفاظهم.^١ وطبقاً لرأي الراغب فإن ألفاظ القرآن ليست ألفاظاً جديدة، بل هي الكلمات والحروف العربيّة، وقد استدلّ على ذلك بالآية: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا...﴾^٢ فهو يرى أن الآية الشريفة تدلّ على أن لغة القرآن هي اللغة العربيّة، أي اللغة التي يستفيد منها العرب في محاوراتهم، فحروف وكلمات القرآن هي الحروف والكلمات المتداولة بين العرب، يقول الراغب في معاني القرآن:

«لا يتعلق أيضاً بمعانيه، فإن كثيراً منها موجود في الكتب المتقدّمة».^٣

إن كثيراً من معاني القرآن موجود في الكتب المتقدّمة طبقاً لرأي الراغب وقد استدلّ على ذلك بالآية الشريفة: ﴿وَإِنَّهُ لَئِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾^٤ فالضمير (إنّه) يرجع إلى معاني القرآن وهو يرى أن إعجاز القرآن يتعلق بنظام خاص يختلف فيه القرآن عن الكتب الأخرى، كما أن الشعر له نظام خاص يختلف به عن النثر، يقول: «فاذا بالنظم المخصوص صار القرآن قرناً، كما أنّه بالنظم المخصوص صار الشعر شعراً».^٥

فالراغب الأصفهاني يرى أن القرآن يتشكّل من قسمين: ١. العناصر؛ ٢. الصورة. فعناصر القرآن تتكون من اللفظ والمعنى، وصورته نظمه الخاص، يقول: فالنّظم صورة القرآن واللفظ والمعنى عنصريه وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء واسمه لا بعنصره.^٦ وفي توضيح النّظم المخصوص للقرآن يقول: في تأليف الكلام هناك خمسة مراحل، هي:

١. صنع الألفاظ من خلال اتّصال الحروف.
٢. تشكيل الجمل من خلال الألفاظ.
٣. انضمام الجمل بعضها مع البعض الآخر، بحيث يكون للكلام بداية ونهاية.

١. المصدر نفسه، ١٠٤.

٢. الصرفة تعني: إن لله صرف عقول الناس عن الإتيان بمثل القرآن. راجع: التمهيد، ج ٤، ص ١٣٨.

٣. مقدمة جامع التفسير، ص ١٠٥.

٤. الشعراء: الآية ١٩٦

٥. مقدمة جامع التفسير، ص ١٠٦

٦. المصدر السابق.

٧. يمكن أن يكون كلام الراغب إشارة إلى قول الفلاسفة الذين يقولون أن: شبه الشيء بصورته لا بصادته.

٤. اشتمال الكلام على القافية والسجع.

٥. اشتمال الكلام على الوزن وعندها يسمّى الكلام بالشعر.^١

فالكلام إما أن يكون «نثراً»، أو «نثر منظوم»، أو «نظم مع سجع»، أو «نظم موزون»،^٢ والكلام المنظوم كذلك إما أن يكون محاوراً فتسمّى «الخطابة»، أو مكاتبة فتسمّى «الرسالة»، وجميع أنواع الكلام له نظم خاصّ وكلّ واحد منها يتميز عن الآخر، ويعتقد الراغب الأصفهاني أنه على الرغم من أن القرآن يتضمن جميع محاسن الكلام من الخطابة، رسالة وشعر، إلا أن نظم القرآن يتسامى عن باقي الكلام؛ ولذا لا يمكن أن نطلق عليه كتاب محاور، أو رسالة أو شعر...^٣ وقد اعتبر الراغب الوجه الثاني للإعجاز هو الإعجاز المتعلق بـ«الصرفة»^٤ فهو يرى أن الإتيان بمثل القرآن ليس أمراً محالاً، ولكن الله منع المعارضين من ذلك يقول: لا يخفى على ذي لب أن صارفاً إلهياً يصرفهم عن ذلك، وأي إعجاز أعظم من أن تكون كافة البلقاء مخيرة في الظاهر، أن يعارضوه ومجيرة في الباطن عن ذلك.^٥ إن ما ذهب إليه الراغب من أن القرآن يتضمن وجهين للإعجاز وما «النظم المخصوص» و«الصرفة» لا يخلو من النقد وسوف نتعرض هنا لدراسة «النظم المخصوص» ثم نعرّج على مسألة «القول بالصرفة».

مناقشة ودراسة نظرية النظم الخاص للراغب

يرى الراغب أن الإعجاز البلاغي والفصاحة يتعلق بنظم القرآن الخاصّ، وهو نظام لا مثيل له في قوالب الكلام الأخرى؛ ولذا فإن هذا الإعجاز لا يرجع إلى ألفاظ ومعاني القرآن: أن نظم القرآن من جملة وجوه الإعجاز، ولكن لا دليل أن الإعجاز ينحصر في وجه خاصّ، كالفصاحة في الألفاظ أو النظم أو علو المعنى... لأن التحدي هو لجميع المخاطبين أعم من الإنس والجن، وفي جميع الوجوه فالقرآن قد تحدى الناس بالإتيان بمثله يقول

١. مقدمة جامع التفسير، ص ١٠٧.

٢. جاء في قاموس اللغة معين أن النثر: هو الكلام غير المنظوم الذي لا يشبه الشعر. أمّا النظم فهو الكلام الموزون. والسجع هي الكلمات المتشابهة التي تكون في آخر الجملة والسجع في النثر يأخذ حكم القافية في النظم. فوهلك معين، ج ٢، ص ١٨٣٩، ج ٤، ص ٤٦٢٤، ٥٠١٩.

٣. مقدّمة جامع التفسير، ص ١٠٨.

٤. من كبار نظرية الصرّفة أبو إسحاق المعتزلي (المتوفى ٢٣١هـ)، الملل والنحل، ج ١، ص ٥٦.

٥. مقدمة جامع التفسير، ص ١٠٩.

تعالى: ﴿قُلْ لِّينِ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذِهِ الْقُرْآنِ إِن لَّا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^١ فالآية المذكورة والآيات الأخرى في التحدي^٢ تدعو الناس لأن يأتوا بمثله فلم يكن التحدي في هذه الآيات بالفصاحة، النظم الخاص، الأخبار عن الغيب و... لوحده فالتحدي بمثل القرآن، يعني كتاب يتضمن جميع صفات القرآن من الفصاحة، النظم، المحتوى و... جنباً إلى جنب؛ ولذا فإن الباحثين أرجعوا تحدي القرآن إلى جميع الوجوه.^٣

أما العلماء الطباطبائي فهو يعتقد أن إعجاز القرآن يرجع إلى جميع الجهات ولا ينحصر بالعرب أو وجه خاص منه.^٤

ب - الإعجاز في الفصاحة أمر بديع في حد ذاته وإن كانت ألفاظه تحت اختيار العرب، إلا أن اختيار الألفاظ المناسبة من بين المترادفات تظهر عظمة القرآن، وقد سلم الباقلاني بهذه المسألة.^٥

يعتقد الخطابي أنه لا يوجد في الكلام أفصح من ألفاظ القرآن،^٦ ولذلك يعتقد جمع من العلماء أن إعجاز القرآن يكمن في الألفاظ، فلا يمكن أن يكون هناك أفصح من تلك الألفاظ، ولذلك فلا يمكن استبدال ألفاظ القرآن بالمترادفات، سواء كانت تلك الألفاظ مستخدمة في القرآن، أم في غيرها. ومثل هذا الأمر يؤدي إلى وهن القرآن؛ ولذلك لا يمكن أن نستبدل الآية: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^٧ بذلك الكتاب لا شك فيه» وسوف نكتفي بنقل كلام بعض العلماء:

١. يقول الشيخ الطوسي: بعضهم ذهب إلى أن إعجاز القرآن يكمن في فصاحته دون الأخذ بنظر الاعتبار نظمه^٨ والزرركشي يقول: من جملة وجوه إعجاز القرآن هو تأليفه الخاص وألفاظه.^٩

١. الإسراء: الآية ٨٨

٢. هود: الآيتان ١٣ - ١٤، يونس: الآية ٣٨، البقرة: الآيتان ٢٣ - ٢٤؛ الطور: الآيتان ٣٢ - ٣٣.

٣. البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٠٧.

٤. الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٥٩.

٥. إعجاز القرآن، ص ٥٧.

٦. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٢٠٧.

٧. البقرة: الآية ٢.

٨. التمهيد في علوم القرآن، ج ٤، ص ٥٨.

ج- إن انعكاس معاني القرآن في الكتب السماوية السابقة يشهد له القرآن؛ لأن الله تعالى يقول في الآيات التالية:

١. ﴿إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۖ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.^٢

والمقصود من «هذا» كما يقول بعض المفسرين: إن ذلك إشارة إلى الآيات الأربعة التي أنزلت قبل القرآن، فقد ذكر فيها فلاح المصلي والمتزكي وإيثار الحياة الدّنيا على الآخرة؛ لأنها من أهمّ تعاليم الأنبياء، وهناك من قال إن المراد من ذلك جميع محتوى السّورة، التي تبدأ بالتوحيد وتختتم بالنّبوة والبرامج العمليّة. والمقصود من الصحف اللوح، أو الكتاب الذي يكتب عليها المطالب.^٣

٢. ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ...﴾.^٤

يستفاد من هذه الآية إن ما جاء في شرائع جميع الأنبياء موجود في شريعة النبي ﷺ، وأن ما جاء في القرآن ينسجم ولا يتعارض مع بقية الشّرائع الأخرى. وقد أشير في هذه الآية إلى خمسة من الأنبياء، وهم أنبياء أولي العزم، أصحاب الشّريعة، رغم أنّه لا يمكن إنكار وجود معاني القرآن في الكتب السماوية السابقة، ولا بدّ أن يكون بمستوى تلك الكتب باعتبار أصلها الواحد. ولكن لا بدّ من الإشارة إلى نقطتين:

١. إن معاني القرآن أكمل وأكثر سعة من بقية الكتب السماوية الأخرى خصوصاً إذا أخذنا بنظر الاعتبار أمة النبي ﷺ^٥ لأنه قد تجاوز زمانه في التّوحيد والنّبوة فقام ببيان فروع كثيرة في الأخلاق، المعارف، الفقه... تنسجم فيما بينهما. وكان في مستوى عال، بحيث أنّ بعض الباحثين عدوا سعة معاني القرآن أحد الوجوه الخاصّة للإعجاز، يقول الخطابي في هذا الشأن: القرآن من حيث المعجزة هو أفصح الألفاظ وأهمّ النّظم وأفضل المعاني.^٦ وكذلك

١. البرهان في علوم القرآن، ص ٢، ص ٩٥.

٢. الأعلى: الآيات ١٨ - ١٩.

٣. مجمع البيان، ج ٨، ص ٧٢٢، الميزان، ج ٢٠، ص ٢٧٠.

٤. الشورى: الآية ١٣.

٥. البيان في تفسير القرآن، ص ٤٥.

٦. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ٢١.

يقول القرطبي: من جملة وجوه الإعجاز هي الأحكام العالية، التي لا يمكن أن تصدر من إنسان عادي؛ لكثرتها ومحتواها.^١

يقول الزركشي: إن تحدي القرآن هو في نظمه وصحة معانيه،^٢ وكذلك يقول البلاغي: خاض القرآن الكريم في فنون المعارف والإصلاح مما يتخصص فيه الممتازون بالرقى في أبواب الفلسفة والسياسة والخطابة والإصلاح من علم اللاهوت أو الأخلاق أو التشريع المدني و... بأحسن أسلوب وأقوم منهج.^٣

٢. الظاهر إن استدلال الراغب بالآية الشريفة: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾^٤ على أن معاني القرآن كانت في الكتب السابقة غير صحيح؛ لأن ضمير «إنه» لا يرجع إلى معاني القرآن طبقاً لقول المفسرين،^٥ غير أن تناسب الموضوع مع الآيات السابقة في سبب نزول القرآن يدل على أنه إشارة إلى نزول القرآن كما ذكر بعض المفسرين، يقول الزمخشري: «وإنه لفى زبر الأولين لكون معانيه فيها».^٦

ويقول الطبرسي: إن ذكر القرآن وغيره في كتب الأولين على وجه البشارة.^٧ وكذلك يقول العلامة الطباطبائي: «الضمير للقرآن أو نزوله على النبي ﷺ والمعنى أن خبر القرآن، أو خبر نزوله عليك في كتب الماضين من الأنبياء»^٨ فإذا قيل أن الضمير «إنه» يرجع إلى المعارف القرآنية، فالجواب إن المشرّكين ما كانوا يؤمنون بالأنبياء وكتبهم، حتى يحتج عليهم بما فيها من التوحيد،^٩ والمعاد، وغيرهما، وهذا بخلاف ذكر خبر القرآن ونزوله على النبي ﷺ في كتب الأولين، فإنه حينئذ يكون ملحة تضطر النفوس إلى قبولها.

وثانياً: أنه لا يلائم الآية التالية: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْتِيَ الْبُتَّىٰ إِسْرَءِيلَ﴾^{١٠}

١. الجامع لأحكام القرآن، ج ٢١، ص ٥٢.

٢. البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٩٧.

٣. آلاء الرحمن في تفسير القرآن، ج ١، ص ١٢.

٤. الشعراء: الآية ١٩٦.

٥. جاز في تفسير شبر: إنه أي ذكر القرآن. تفسير شبر، ص ٥٦٨.

٦. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، ج ٣، ص ٣٣٥.

٧. مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٢٠.

٨. الميزان في تفسير القرآن، ج ١٥، ص ٣٢٠.

٩. المصدر السابق.

١٠. الشعراء: الآية ١٩٧.

فالضمير في كلمة «يعلمه» هو خبر عن القرآن ونزوله على النبي ﷺ فإذا كان الضمير في الآية: ﴿وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ﴾ يرجع إلى المضمون والمحتوى، فإن ذلك لا يتلاءم مع الضمير في كلمة «يعلمه» في الآية التالية مع أن الآيتين متابعتان، وتحديثان عن موضوع واحد، والضمير فيهما يرجع إلى شيء واحد؛ ولذا قال المرحوم الطبرسي إن ضمير «يعلمه» يتعلق بمجيء النبي ﷺ، يقول: «أو لم يكن لهم علم علماء بني إسرائيل بمجيئه على ما تقدمت البشارة دلالة على صحة نبوته»^١.

مناقشة نظرية الصرفة

ذهب الراغب الأصفهاني في أحد آرائه إلى القول بالصرفة، وهو القول الذي قال به النظام (المتوفى ٢٣١) أول مرة، وبالرغم من شيوع هذه النظرية في القرن الرابع بين علماء المسلمين، إلا أنه لم يذهب إلى هذه النظرية أحد منذ ذلك التاريخ، وحتى الوقت الحاضر. ولم يذهب المشهور إلى ذلك^٢ أيضاً يقول الشيخ الطوسي (المتوفى ٤٦٠هـ)، من علماء القرن الخامس:

إن أأكمل وأتم الأقوال عندي هو القول أن إعجاز القرآن يتعلق بفصاحته... لا القول بالصرفة... فإذا كان وجه الإعجاز يتعلق بسلب العلوم (القول بالصرفة) فإن لازم ذلك نفي كمال العقل.^٣

يرى الشيخ الطوسي أن القول بالصرفة يعني إن الله سبحانه قد سلب العلوم والمعارف الخاصة عن المخاطبين حتى لا يتحدثوا القرآن، ومن ذلك الألفاظ والمعاني و.. وأن نفي تلك العلوم البشرية يعني نفي كمال العقل، فإذا سلب الله العلوم والوسائل اللازمة للرشد العقلي، فلا بد من تسجيله في التاريخ، وبما أن ذلك لم يثبت وأن العلم عند العرب لم يتغير قبل الصرفة وبعدها، فعندها يمكن القول أن الله سبحانه لم يسلب العلوم البشرية، وأن مسألة الصرفة ليست مسألة صحيحة.^٤

١. مجمع البيان، ج ٤، ص ٣٢٠.

٢. التمهيد في علوم القرآن، ج ١، ص ١٣٦.

٣. التمهيد في علوم القرآن، ج ٤، ص ١٣٨.

٤. المصدر نفسه، ص ٥٨ نقلاً عن كتاب الإقتصاد في أصول الاعتقاد، ص ١٦٦ - ١٧٤.

٥. يمكن القول أن القول بالصرفة لا يستلزم سلب العلوم، بل أن الله سبحانه يمنع الاستفادة منها لكي لا يستطيع الإنسان تحدي القرآن كما هو الحال عندما يمنع الله سبحانه شخصاً من تذكر شيئاً ما دون أن يسلب قوة الحافظة.

إنّ المقصود من القول بالصّرفة، هو إمّا زوال قدرة الإنسان، أو سلب البواعث أو سلب العلوم التي بواسطتها يستطيع البشر تحدي القرآن^١ وهذه النظرية تواجه عدّة إشكالات^٢ من أهمّها: أ- في حالة القبول «بالصّرفة» فإنّ ذلك يعني تجريد القرآن من صفة الإعجاز؛ لأنّ ذلك يعني أنّ الإنسان لا يعجز عن الإتيان بمثل القرآن، بل لديه القدرة على تحديه غير أنّ الله سبحانه سلبه هذه القدرة، فحيث أننا نعتقد بالصّرفة، فهذا يعني أنّ الإتيان بمثل القرآن شيء مستحيل، وفي غير تلك الحالة فإنّ البشر يتمكن من الإتيان بمثل القرآن، ومن هنا فإنّ القول بالصّرفة يعني أنّ القرآن لا يتمتع بصفة الإعجاز، وأن ألفاظه ومعانيه لا تختلف عن بقية الكتب الأخرى، بل أقصى ما نقول فيه أنّه من أفضل الكتب والآثار الإنسانيّة لا الإلهيّة.

ب - إنّ القول بالصّرفة لا ينسجم مع التّحدي؛ لأنّ التّحدي إنّما يقوم على أساس اختيار الإنسان.

ج - يرى الراغب أنّ الإعجاز القرآني يتمثل في الإعجاز بالفصاحة، ومن جهة أخرى دافع عن القول بالصّرفة، مع أنّ الاثنين لا يمكن الجمع بينهما، بل إنّ الاعتقاد بأحدهما يعني طرد الآخر، فإذا ما قبلنا القول بالصّرفة فإنّ ذلك يعني أنّ القرآن لوحده لا يكون خارقاً للعادة في الفصاحة، النظم و... وأنّ التّحدي بالفصاحة أمر نادر^٣ وسوف يكون حاله حال بقية الكتب الأخرى، إلّا إذا قلنا أنّ الراغب يعتقد أنّ الإعجاز يكمن في فصاحته، وأنّ الله قد صرف عقول النّاس عن الإتيان بمثله، وأنّ الإنسان لا يمكن أن يأتي بما يشبه القرآن في فصاحته، وأنّ «الصّرفة» هي علّة الإعجاز.

الباقلاني

وهو أبو بكر محمّد بن الطيب الباقلاني (المتوفى ٤٠٣هـ) من كبار المتكلمين الأشاعرة في زمانه. كتب «إعجاز القرآن» في وجوه إعجاز القرآن، وقد خصّص فصلاً من كتابه بأصل الإعجاز بواسطة النبي ﷺ، ثمّ تعرّض إلى وجوه إعجاز القرآن معتبراً أنّ وجوه الإعجاز تتمثل في ثلاثة مجالات: الأخبار عن الغيب، المطالب العلميّة من نبيّ أمي، إضافة إلى البلاغة والفصاحة.

١. التمهيد في علوم القرآن، ج ٤، ص ١٣٨.

٢. سوف يأتي مناقشة القول بالصّرفة ونقدها تفصيلاً في باب مناقشة وجوه إعجاز القرآن.

٣. التمهيد في علوم القرآن، ج ٤، ص ١٣٨.

ثم نسب الباقلائي فكرته إلى الأصحاب وعلماء عصره،^١ وبين الوجوه الثلاثة معتقداً أن الوجه الأول من وجوه إعجاز القرآن هو أخباره عن الغيب. وهو ما ليس في قدرة البشر، ثم ذكر بعض الآيات في بيان الأخبار عن الغيب مشيراً إلى أن هناك نماذجاً كثيرة في القرآن من ذلك.^٢ وفي الوجه الثاني من الإعجاز ذهب الباقلائي إلى أن القرآن صدر من شخص أمي لم يدرس عند أحد، وليس لديه خبر عن الماضين، مع أنه بين أهم المطالب من خلال قصص الأنبياء، والمسائل العلمية والمعرفية، ومن المعلوم أن مثل هذه المعلومات لا تقبل من هذا الشخص إلا إذا كانت معجزة إلهية، ولهذا ورد في القرآن:

﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَأَرَّتَابِ الْمُبْتَلُونَ﴾^٣

الوجه الثالث للإعجاز في نظر الباقلائي، فهو النظم البديع والتأليف الساهر، الذي جعل القرآن في أوج البلاغة ما جعل الإنسان يعجز عن تحدي القرآن، ثم تعرض إلى نظم القرآن معتبراً أن قسماً منه متعلقاً بالنظم الذي لا يوجد له مثيل في النصوص السابقة.^٤ يعتقد «الباقلاني» في الفصل الأخير بأن أقل مقدار معجز من القرآن هي سورة واحدة، لأن التحدي لم يتعلق بأقل من سورة.^٥ وفي تشخيص بلاغة القرآن يعتقد أن البلاغة لها عشرة أنواع جميعها موجودة في القرآن، وهي: الإيجاز، التشبيه، الاستعارة، التلازم، الفواصل، التجانس، التصريف، التضمن، المبالغة وحسن البيان^٦ ثم تعرض لكل من هذه الأمور ذاكراً أمثلة عديدة لكل منها:

١. الإيجاز، والمقبول منه هو ألا يكون هناك إخلال في المعنى، والإيجاز يعني ألفاظ قصيرة تحمل معاني كثيرة كآية: ﴿وَسَّطِلَ آلُ قَرْيَةٍ...﴾^٧

٢. التشبيه، وهو تشبيه شيء بشيء آخر، كما في الآية: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ

١. إعجاز القرآن، ص ٥٧.

٢. المصدر نفسه، ص ٥٨.

٣. العنكبوت: الآية ٤٨.

٤. إعجاز القرآن، ص ٥٨.

٥. المصدر السابق، ص ٥٩.

٦. المصدر نفسه، ص ٢٦١.

٧. المصدر نفسه، ٢٦٨، فصل في وصف وجوه عن البلاغة.

٨. يوسف: الآية ٨٢.

أَعْمَلُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ...»^١

٣. الاستعارة: كالأية: ﴿وَقَدْ مَنَّا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا﴾^٢.

٤. التلازم، أي الإنسجام، وتعديل الحروف في الجمل بحيث لا يكون هناك تنافر في حروفها، وتحدث إنساً ولذة عند الاستماع إليها، مثل كل آيات القرآن.

٥. الفواصل، والمقصود بها الحروف الموزونة، التي تتشابه فيما بينها في مقاطع الآيات.

٦. التجانس، وهو بيان أنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد.

٧. التصريف، أي تصريف الكلام في المعاني، وعرض معاني كثيرة في قضية واحدة.

٨. التضمن: وهو حصول معنى من غير ذكره له باسم في قضية معينة، كالتضمن في

الأية: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ لأنه تضمن تعليم الاستفتاح في الأمور باسمه.

٩. المبالغة، وهي الدلالة على كثرة المعنى.

١٠. حسن البيان، وهو على أربعة أقسام: الكلام، الحال، الإشارة والعلامة، وكل منهما له

دور مؤثر في مجال العبارة،^٣ يقول الباقلاني في خاتمة كتابه:

فالقرآن أعلى منازل البيان، وأعلى مراتبه ما جمع وجوه الحسن وأسبابه، وطرقه وأبوابه، من تعديل النظم، وسلامته، وحسنه، وبهجه، وحسن موقعه في السمع، وسهولته على اللسان، ووقوعه في القفس موقع القبول، وتصوره تصوير المشاهد.^٤

الجرجاني

وهو أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (المتوفى ٤٧١هـ) مؤسس علم المعاني والبيان، اعتبر البلاغة ونظم القرآن من أهم وجوه الإعجاز، ثم تعرض لبيان إعجاز القرآن في كتابين من كتبه، وهما: دلائل الإعجاز في علم المعاني وأسرار البلاغة، ثم تعرض إلى إعجاز القرآن معتقداً أن نظم الكلام وتأليفه له مراتب وطبقات، ثم بين (الجرجاني) أن القرآن عندما دعا معارضيه العرب إلى التحدي تبين للعرب من خلال استماع آياته أن القرآن ليس كلاماً

١. إبراهيم: الآية ١٨.

٢. الفرقان: الآية ٢٣.

٣. إعجاز القرآن، ص ٢٦٨ - ٢٧٥.

٤. المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

عادياً، وعندما أبدوا معارضتهم له أدركوا قلة بضاعتهم، وأنهم لا يستطيعوا تحديده، أو حتى الإقتراب من ذلك.

ثم إن أهمّ وجوه الإعجاز هو الإعجاز في النظم والتأليف لا بالمعاني يقول:
 إن تحدي القرآن يكمن في أن يأتي المخالفون ألفاظ مثل ألفاظ القرآن في نظم وإن
 اختلفت مع القرآن في المعنى؛ لأن القرآن يقول: ﴿...فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ
 مُفْتَرِيْنَ...﴾ وأن شرف القرآن يكمن في نظمه وبلاغته (وإن كان معناه موضوع)^١
 لأنه لم يدعو إلى التحدي في المعنى.^٢
 وهذا الكلام غير مقبول بالنسبة للآخرين؛ لأن معاني القرآن معجزة أيضاً، وعبرة «مثله» عامة
 شاملة لمثل القرآن في ألفاظه ومعانيه وخصائصه الأخرى.

يعتقد الجرجاني أن النظم في الكلام له مراتب ودرجات ربما نجد نظاماً أفضل وأكمل
 في كلّ مرتبة، وأن تأليف وتركيب الكلام له مراتب من الشدة والضعف، وهناك أجل
 وأفضل من هذا التأليف والتركيب، وأن معرفة غاية ذلك ونهايته في غاية الصعوبة، لأن جميع
 خيوط ذلك ليست بيد الإنسان، أما بالنسبة إلى القرآن فإنّ كلّ متمعن في تأليف ونظم القرآن
 وعارفاً به يدرك أن القرآن يميّز بأرقى نظم، وأن الإنسان يعجز عن الإتيان بما يناظره.^٣

الفخر الرازي

وهو أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسين الفخر الرازي (المتوفى ٦٠٦هـ) صاحب التفسير
 الكبير، المتكلم والمفسر، كان يعتقد في مسألة الإعجاز أن القرآن في غاية الفصاحة والبلاغة،
 ويشمل جميع الفنون وأن إثبات إعجاز القرآن في رأيه يثبت من خلال طريقين لا غير:

١. مقارنة القرآن مع بقية الكتب الأخرى والخطب، في تلك الصورة فإنّ القرآن إمّا أن
 يكون مساوياً لكلام فصحاء العرب، أو زائداً عليها، وله خصوصية، وفي حال كونه أفضل،
 فإنّ هذه الأفضلية إمّا أن تكون بدرجة لا يكون فيه القرآن معجزاً وخارقاً للعادة، أو يصل
 إلى مرتبة كونه خارق للعادة، وفي الحالة الأولى، يتساوى القرآن مع باقي الكلام الفصيح،

١. ﴿فَأَتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِيَاتٍ...﴾ هود: الآية ١٣.

٢. ثلاث وسائل في إعجاز القرآن، ص ١٢٩.

٣. دلائل الإعجاز، ص ٢٧.

والقول الثاني، أي كونه أفضل من بقية الكلام إلا أنه لا يصل إلى كونه خارقاً للعادة، وكلا الأمرين غير صحيح عند مقارنة القرآن مع بقية الكلام، ولذا لا بد أن يكون القول الثالث صحيحاً، لأنه لا يمكن أن يتصور كلاماً آخر.^١

ثم ذهب إلى بطلان القول الأول والثاني من حيث أنه إذا كان القرآن مساوياً للكلام الفصيح، أو أقل من ذلك بقليل ولم يكن خارقاً للعادة، فلا بد أن يتمكن العرب من الإتيان بما يشبه القرآن، سواء كان ذلك بصورة فردية أو جماعية، وسواء تمكنوا من الإتيان بسورة واحدة أم أكثر، مع أن ذلك لم يحصل في التاريخ البشري أضف إلى ذلك أن العرب كانوا سادة القوم في البلاغة والفصاحة وكانت لديهم الأسباب والدوافع التي تحفزهم على القيام بذلك العمل. فعندما يعجزوا عن تحدي القرآن مع توفر الدواعي يثبت أن القرآن لا يشبه بقية الكلام، وأن هناك تفاوتاً كبيراً بينه وبين بقية الكلام، بحيث لا يمكن مقارنته مع بقية الكلام.

٢. ثم تعرّض إلى إثبات إعجاز القرآن في مجال الفصاحة والبلاغة عن طريق الحصر، فقال: إن شأن القرآن لا يخرج عن حالتين، فهو إما أن يكون في أوج الفصاحة، وفي حد المعجزة، أو لا يكون كذلك، فإذا ذهبنا إلى الوجه الأول ثبت إعجاز القرآن، أما إذا ذهبنا إلى الثاني فهذا يعني إمكانية معارضته وتحديه، فإذا انتفى ذلك مع افتراض كون ذلك ممكناً وتوفر الدواعي، فيثبت كونه معجزة وأمرأ خارقاً للعادة.^٢

وقد اختار الفخر الرازي الطريق الثاني أي كونه في أوج الفصاحة، وهو أنسب الوجوه؛^٣ إذ يعتقد أن الأفضلية في الفصاحة وبلاغة القرآن هي مورد قبول عند مقارنته مع الكتب الأخرى والخطب، وأن فصاحة الكلام والخطب تكمن في الأمور العادية، أما فصاحة القرآن، فهي في أعلى مرتبة، ثم بين قمة الإعجاز في الفصاحة، بأنه يوجد في القرآن خصائص تقتضي عند النظرة السطحية النقص في مرتبة الإعجاز في الفصاحة، مع أن تلك الخصائص ترتقي بالقرآن إلى أوج الفصاحة والبلاغة. والخصائص المذكورة، هي؛

١. التفسير الكبير، ج ٢، ص ١١٥.

٢. المصدر السابق.

٣. الجدير بالذكر أن الطريق الثاني الذي يذهب إلى أن القرآن إما أن يكون في قمة الفصاحة أو لا، وإذا كان الثاني فإن عدم الإتيان في حد ذاته يعتبر أمرأ خارقاً للعادة، هذا الشكل ينسجم مع القول بالصرف الذي لا يحظى اليوم بالقبول عند العلماء وربما يكون الطريق الأول أكثر انسجاماً.

٤. التفسير الكبير، ج ٢، ص ١١٥.

١. عدم وصف المشاهدات

غالباً ما يكون موضوع بلغاء العرب هو وصف مشاهداتهم لبعض الأمور كالجمال، الجارية، الحسان، الملوك، الحروب، ويعتبرون ذلك نوعاً من الفصاحة والبلاغة، مع أن القرآن قد ابتعد عن مثل ذلك وفي الوقت نفسه يعتبر في قمة الفصاحة والبلاغة.

٢. مراعاة الصدق

اختار القرآن طريق الصدق مبتعداً عن الكذب والخديعة، أما شعراء العرب فإذا أرادوا أن يتعدوا عن الكذب والمبالغة، فهذا يعني في نظرهم فقدان شعرهم وكلامهم للفصاحة، ولذلك نرى أن قصائد «البيد» و«حسان بن ثابت» قبل الإسلام مختلفة عن قصائدهم بعد الإسلام، ولذا قيل في الشعر إن: «أحسنها أكذبيها».

٣. عمومية الفصاحة

غالباً ما يتحقق الكلام الفصيح في عبارة أو عدة أبيات ولا تتوفر هذه الفصاحة في جميع أبيات القصيدة، أما القرآن فإنّ صفة الفصاحة والبلاغة تتوفر في الجميع، بحيث أن الإنسان لا يستطيع أن يأت بما يشابهه في أي سورة.

٤. تكرار عبارات القرآن

مع أن بعض عبارات القرآن متكررة نجد أن كل منها تعتبر في قمة الفصاحة والبلاغة، مع أن الشاعر إذا أنشد قصيدة فصيحة وكرّر الموضوع في قصيدة أخرى، فإنّ القصيدة الأخرى تفقد بلاغتها، فالتكرار يؤدي إلى الملل.

٥. اهتمام القرآن في بيان الواجبات و...

أكد القرآن على بيان الواجبات، المحرمات، التأكيد على الأخلاق، الابتعاد عن الدنيا الزهد فيها، وذكر العالم الآخر. إنّ التعرّض لهذه المسألة يؤدي إلى الإخلال في مسألة الفصاحة، مع أن ذلك لم يحدث في القرآن، فإذا ما توفرت هذه الصفات في كلام العرب وقصائدهم، وتضمنت أمور من قبيل الأمر والنهي و... فإنّها تفقد عنصر الفصاحة.

٦. شمولية القرآن

الشاعر الفصيح والخطيب النحرير تراه يُبدع في مجال خاص، فيسمو ويحلّق في عباراته

وكلامه، بحيث لا يستطيع التكلّم في غير ذلك المجال، فكلّ مُبدعٍ تراه فصيحاً وبلغاً في مجال تخصصه.

فمثلاً قيل: إنّ (امريء القيس) له القدح المعلى في شعره، عندما وصف الطرب والنساء والجيش، و(النابغة) في بيانه للخوف والرعب، و(الأعشى) في وصف الحاجة الخمر، وكذلك شعر (زهير) في وصف الرّغبة والأمل و...

وعلى هذا النحو فإنّ كلّ شاعر له شهرة في جنبه خاصّة من شعره الفصيح، ولا يُستساغ شعره في الموارد أخرى.

أمّا القرآن فبالرّغم من المجالات الواسعة والكثيرة التي خاضها، لكنك تلاحظ إنّ الفصاحة والبلاغة مهيمنة على جميع موضوعاته.

٧. مصدرية العلوم

القرآن أصل ومنشأ الكثير من العلوم، لأن العلوم أمثال علم الكلام والفقه، أصول الفقه، النحو، اللغة، الأخلاق و... كلّها تستقي معارفها من القرآن، والكتاب العلمي لا يمكنه أن يحتفظ بحالة الفصاحة والبلاغة، لأنّه مضطّرّ لبيان بعض القوانين والقواعد، التي لا تتناغم مع الفصاحة والبلاغة عند بيانها.

ورغم أنّ القرآن مرجع لكثير من العلوم والمفاهيم، مع ذلك تراه في قمة الفصاحة والبلاغة.^١ أمّا الموارد التي يتّنها الفخر الرّازي فيمكن التأمل فيها، لأنّ كلّ واحد منها يمكن أن يكون موضحاً لجانب من جوانب الإعجاز البلاغي للقرآن، رغم أنّ بعض الموارد يمكن إدغام بعضها مع البعض الآخر.

على كلّ حال، فإنّ اهتمام (الفخر الرّازي) بأمر الإعجاز البلاغي للقرآن أمر مقبول وجدير بالاهتمام، ولكن يجب أن يُعرف بأنّ تخصيص إعجاز القرآن بالجانب البلاغي غير صحيح، ويجب أن نبحث عن الجوانب الإعجازيّة الأخرى.

بالطبع اهتمام (الفخر الرّازي) بالجانب البلاغي بالنسبة لإعجاز القرآن، وإشتهار القرآن بذلك المورد، كان معروفاً في القرنين السادس والسابع.

الزملكاني

كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (المتوفى ٦٥١هـ) صاحب كتاب البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تناول فيه إعجاز القرآن، ثم أشار إلى كلمات وأقوال الماضين حول إعجاز القرآن، وقام بنقد آرائهم مبيناً أن إعجاز القرآن إما أن يكون مرتبطاً بالكلمات، أو بعوارض الكلمات، كالحركات، أو بمدلولها الذي يرجع إليها، أو بالتأليف، أو بأمر خارج عن القرآن.

أما إعجاز الكلمات وعوارضها، فإنه أمر غير مقبول، لأن الكلمات والحركات تحت تصرف جميع البشر، وأما مدلول القرآن فإنه ليس من صنع البشر، ولا يستطيع الإنسان أن يأتي بمفاهيم لا دخل لها في حياته. أما أن يكون أمراً خارجاً عن القرآن فباطل أيضاً؛ لأنه يرجع إلى أمر (الصرفة)؛ لذا فإن إعجاز القرآن مرتبط بالتأليف الخاص: تأليف فيه كلمات معتدلة من حيث التركيب والوزن، كذلك الألفاظ التي يتألف منها القرآن تعتبر في مراتب عالية.^١

لهذا فإنه يؤكد على أن مهمة (علم البيان) هي البحث عن توافق الكلمات فيما بينها، ثم قال: لماذا يرجع الإعجاز إلى النظم وليس للأخبار عن الأمور الغيبية، رغم أنها ليست في متناول الإنسان أيضاً؟

في الإجابة على هذا السؤال يمكن القول: رغم أن بعض العظماء قالوا بأن إعجاز القرآن يكمن في المغيبات، غير أن الإعجاز غير منحصر فيه، بل إن نظم القرآن الخاص هو إعجاز يشمل كل سور القرآن الكريم.

والقرآن أيضاً قال بالتحدي من خلال الإتيان بسورة من مثله تحكي التنظيم الخاص في السور، مع أن الغيب لا يشمل جميع سوره، حتى يكون التحدي بسور القرآن صحيحاً.

ثم استشهد على كلامه بالآية الشريفة: ﴿...فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ...﴾ مجيباً على قول القائل: إن المقصود من كلمة (مثله) في الآية ربما يكون هو الله سبحانه، يعني أتوا بسورة تشبه السور الإلهية، وفي هذه الحالة تكون العبارة عامة وغير مختصة بنظم السور، فأجابهم بالقول: إن كلمة (مثله) يعود معناها للسورة بقرينة الآية الشريفة ﴿...فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِّثْلِهِ﴾^٢ التي يعود معناها للسور، حيث إن كليهما تستفيدان من سياق واحد.^٣

١. البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، ص ٥٤.

٢. هود: الآية ١٣.

٣. البرهان الكاشف عن الإعجاز، ص ٥٦.

وأجاب أيضاً على الإشكال الذي يقول أنّه: ربّما يأتي أحد الأفراد بقصيدة أو خطبة يعجز غيره عن الإتيان بمثلهما، كخطب الإمام علي عليه السلام وكلام قيس و...، قال: «التفاوت كبير، ولا يمكن لأي خطبة أو كتاب مهما بلغ من قوة وشأن في زمانه أن نقيسه مع القرآن».^١

القرطبي

محمّد القرطبي (المتوفى ٦٧١هـ) صاحب التفسير المسمّى «الجامع لأحكام القرآن» يعتقد بالوجوه العشرة^٢ لإعجاز القرآن، وأهمّ تلك الوجوه حسب رأيه أولها، القائل أنّ النظم البديع المخالف لكلّ نظم معهود في لسان العرب وفي غيرها؛ لأنّ نظمها لا يشبه نظم الشعر، وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ...﴾.^٣

وفي صحيح مسلم إنّ (أنيساً) أخا أبي ذر قال لأبي ذر: «لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أنّ الله أرسله، قلت: فما يقول الناس؟ قال يقولون: شاعر، كاهن، ساحر، وكان أنيس أحد الشعراء، قال أنيس: لقد سمعت قول الكهنة، فما هو بقولهم، ولقد وضعت قوله على أقرء الشعر فلم يلتئم على لسان أحد بعددي أنّه شعر، والله إنّهُ لصادق وإنهم لكاذبون».^٤

٢. والوجه الثاني من وجوه إعجاز القرآن عند القرطبي (أسلوب الكلام)؛ لأنّ كلّ كلام إنّما يُصَبّ في قوالب وأساليب خاصّة كأسلوب الإيجاز، الإطناب، المساواة، الإيهام، الاستخدام، الإطراد، الإنسجام، وإنّ القرآن يختلف تمام الاختلاف عن هذه الأساليب.

٣. والخصوصيّة المرموقة الأخرى للقرآن، (الجزالة)، الفخامة، الصّلاية والثّبات القرآني، في طرح المطالب التي لا يمكن أن تصدر من مخلوق، كما جاء في الآية:

﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضِ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾،^٥ فمثل هذه الجزالة لا تصحّ من أعظم ملوك الدّنيا، فكيف يمكن للآخرين ذلك، كذلك الآية الشريفة الأخرى: ﴿... لمن

١. نفس المصدر السابق.

٢. الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٥٢ - ٥٤.

٣. يس: الآية ٦٩.

٤. الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٥٢.

٥. ق: الأيتان ٦، ٧.

الملك اليوم لله الواحد القهار^١، قال القرطبي نقلاً عن ابن الحصار: وهذه الثلاثة من: النظم، والأسلوب، والجزالة، ملازمة لكل سورة، بل لكل آية، وبمجموع هذه الثلاثة تتميز كل آية، وكل سورة عن سائر كلام البشر، وبها وقع التحدي والتعجيز.

٤. ومن وجوه الإعجاز الأخرى، التصرف في لسان العرب على وجه لا يستقل به عربي، فمع مجيء القرآن تحولت وتغيرت كثير من الكلمات والألفاظ العربية، وصار لها اعتبار خاص، فالقرآن هو الذي جعل اللغة العربية تفتخر، ويعلو شأنها، وترتفع هامتها.

٥. الإخبار عن الأمم السابقة، منذ القدم وحتى وقت نزوله، من أمي ما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطئه بيمينه، فأخبر عن قصص الأنبياء، والقرون الخالية فكيف يمكن لشخص (أمي) كمحمد ﷺ أن ينقل أخبار صادقة عن الأمم السابقة، الحقيقة أنه لا تفسير لهذا إلا أن يكون هذا الأمر من المعاجز، وأنه مرتبط مع السماء ووحياها.

ومن جانب آخر فإن النبي ﷺ كانت له سابقة مشرقة قبل البعثة - فقد كانوا يستمنونه الصادق الأمين - فلم يتهموه بالكذب بما جاء من أخبار عن الأمم السابقة، وما ذلك إلا أمر خارق للعادة.

٦. الإخبار عن المغيبات في المستقبل، والتي لا يطلع عليها أحد إلا بالوحي، فمن ذلك ما وعد الله نبيه ﷺ أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ...﴾^٢.

٧. الوفاء بالوعد، وهي من المعجزات الأخرى للقرآن الكريم، حيث إن الله سبحانه وتعالى وفى بما وعد به رسوله الكريم ﷺ في صدر الإسلام، كالوعد بالنصر والغلبة في الغزوات، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه، وهي من الوعود العامة التي مصداقها الآية الشريفة ﴿...وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ...﴾^٣ والآية الكريمة الأخرى ﴿...وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾^٤.

١. غافر: الآية ١٦.

٢. الفتح: الآية ٢٨.

٣. الطلاق: الآية ٣.

٤. الطلاق: الآية ٢.

٨. محتوى الآيات، تعتبر من علوم القرآن؛ لأن الآيات مبنية للأحكام الحقوقية، الاجتماعية، السياسية، وغيرها، والمعتمدة على المسائل العلمية.

٩. الحكم باللغة، التي تعتبر أحد أبعاد المعجزة القرآنية الشاملة للمواظ والإرشادات الدقيقة والواسعة، والتي لا يمكن أن تصدر من بشر، فمن الطبيعي أن تكون صادرة من الله سبحانه.

١٠. والوجه الأخير للإعجاز القرآني، عند (القرطبي)، التناسب في جميع ما تضمنه القرآن ظاهراً وباطناً من غير اختلاف.

فربما تكون آية واحدة هي خبر وإنشاء، أمر ونهي، مع ذلك يكون كل واحد من هذه الأمور في محله من دون أن يتضاد مع الآخر.^١

إن رأي القرطبي الذي هو أحد أعلام القرن السابع، يمتاز بشمولية واسعة بالنسبة لإعجاز القرآن قياساً لمن سبقه من العلماء. ومع مرور الزمان ربما استجدت وجوه جديدة للإعجاز عند العلماء، ولا يقتصر الأمر على الإعجاز البلاغي. وكما فعل القرطبي حينما نقل القول عن (ابن حصار) قائلاً: الخصوصيات الثلاث الأولى، يعني: النظم، الأسلوب، الجزالة، لها أهمية أكبر من غيرها في وجوه الإعجاز.

الزركشي

بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (المتوفى ٧٩٤هـ) من علماء أهل السنة في العلوم القرآنية، دون كتاباً مبسوطاً اسماء (البرهان في علوم القرآن).

كتب في إعجاز القرآن تحت عنوان (النوع الثامن والثلاثون) في كتابه، ذاكراً أحد عشر قولاً من أقوال أصحاب التحقيق في هذا المجال، مع تأييد أقوالهم^٢ ثم أبدى رأيه قائلاً:

١. قول (النظام): إن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم، وكان مقدوراً لهم،

وأضاف الزركشي، إن هذا: قول فاسد بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ

وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذِهِ الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

١. الجامع لأحكام القرآن، ج ١ ص ٥٤.

٢. بيان الأقوال المختلفة في وجوه الإعجاز، وقد اختلف فيه على أقوال، أرجع للبرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٩٣-١٠٦.

- ظَهَرًا^١ فهذه الآية لا تتناسب مع هذا الرأي.^٢
٢. إن وجه الإعجاز يرجع إلى التأليف الخاص بالقرآن، لا مطلق التأليف، تأليف يحكي الاعتدال والإنسجام الخاص بين حروفه وكلماته.
٣. الإخبار بالغيب، أي الإخبار عن الغيوب المستقبلية، فلم يكن من شأن الأشخاص العاديين أن يذكروا هكذا إخبار عن الغيب، كآية الرّوم ﴿الْم * غُلِبَتِ الرُّومُ﴾ التي تحققت فعلاً فيما بعد.
- غير أنّ (الرّكشي) لا يعدها كافية في إعجاز القرآن؛ لأنّ هكذا إعجاز لا عمومية له، بل له ارتباط بآيات خاصة فقط.^٣
٤. الإخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين، وكأنّه شاهدها، وهذا الوجه مثل سابقه، لا عمومية فيه.
٥. الإخبار عن الضمائر وما يكتنه الأفراد في نفوسهم، كقوله تعالى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا...﴾^٤ المرتبطة بغزوة أحد وفشل مجموعة من الأوس والخزرج.
٦. كلام (ابن عطية) حيث قال: إنّ التحدي القرآني إنّما وقع بنظمه، وصحة معانيه، وتوالي فصاحة ألفاظه... ولم يتكفله إنسان.
٧. كلام (الفخر الرازي) الحاكي: إنّ وجه الإعجاز، الفصاحة، وغرابة الأسلوب، والسلامة من جميع العيوب، وغير ذلك مقترناً بالتحدي.
٨. كلام القاضي أبو بكر الذي حاصله: إنّ الإعجاز يكمن في نظم وتأليف وتركيب العبارات القرآنية، الخارجة عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب.
٩. كلام السكاكي القائل: إنّ إعجاز القرآن أمر ذوقي قابل للإدراك، ولكن لا يمكن وصفه من جميع زواياه، كالملاحة والصوت الجميل للقرآن، يمكن إدراكهما ولكن لا يمكن توصيفهما وبيانهما من خلال اللغة.

١. الإسراء: الآية ٨٨

٢. البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ٩٣.

٣. نفس المصدر، ص ٩٦.

٤. آل عمران: الآية ١٢٢.

١٠. قول (حازم) حيث قال: إن إعجاز القرآن يكمن في استمرارية فصاحته وبلاغته، في كل زمان، أما كلام العرب فإنه كان فصيحاً في برهة زمنية، لكنه لم يستمر حتى النهاية، بل تغيرت الأهواء والأذواق فتدهورت معه الفصاحة، بعكس القرآن الذي كان بليغاً ولا زال.
١١. كلام (الخطابي) حيث صرح أن وجه الإعجاز فيه من جهة البلاغة، لأن الكلام له مراتب مختلفة، وكل واحدة من تلك المراتب تتفاوت مع المرتبة الأخرى في الفصاحة، فبعضها فصيح والآخر أفصح، أما القرآن فإنه كلام في أوج الفصاحة.
١٢. قول أهل التحقيق الذين يعتقدون أن إعجاز القرآن يرتبط بكل الأمور التي ذكرت سابقاً، يعني: إعجاز القرآن غير محصور بأمر أو موضوع خاص، بل الوجوه المذكورة كلها تتظاهر في بيان إعجاز القرآن، وليس كل واحدة على حدة؛ لأن كلام الفصحاء يمكن أن يتجلى في أحد الموارد المذكورة، ولا يمكن لفصيح أن يأتي بكتاب يحوي جميع الوجوه المذكورة مجتمعة بعضها إلى البعض الآخر.
- لذلك ترى القرآن دائماً غصاً طرياً ينبض بالحياة والحركة، وصار الإعجاز صفة له.
- وقد اختار بدر الدين الزركشي القول الأخير وتبناه، واعتبره من أصح النظريات الواردة حول إعجاز القرآن، وهو الرأي المنسوب لأهل التحقيق والرأي.
- والظاهر أن رأي (الزركشي)، من علماء القرن الثامن الهجري، في مباحث إعجاز القرآن يُعتبر من البحوث الأكثر تكاملاً من الآخرين في هذا المجال.
- لكن لا يجب أن نغفل عن أن الوجوه المذكورة حول الإعجاز لا تشكل كل وجوه إعجاز القرآن، بل هناك وجوه أخرى مهمة سوف نبحثها في القسم الأخير من هذا البحث.

السيوطي

- جلال الدين السيوطي (المتوفى ٩١١هـ)، من علماء القرن العاشر الهجري، ومن المحققين ومفسري القرآن الكريم له كتاب في إعجاز القرآن اسمه (معترك الأقران في إعجاز القرآن) بين فيه خمسة وثلاثين وجهاً في إعجاز القرآن.^١ وقد استشهد على كل وجه بآية قرآنية. وسوف نشير إليها باختصار:
١. العلوم والمحتوى: وهو أول وجه من وجوه الإعجاز، والذي يمكن من خلاله استنباط

١. معترك الأقران في إعجاز القرآن، ج ١، ص ١٢ - ٣٨٧.

العلوم من القرآن الكريم؛ لأنه يحتوي على علوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب، ولا أحاط بعلمها أحد في كلمات قليلة وأحرف معدودة.

وأضاف السيوطي أنه قد استلهم هذا المطلب من القرآن نفسه، حيث قال الله سبحانه: ﴿...مَا فَرَقْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ...﴾^١ وأيضاً قوله سبحانه ﴿...وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ...﴾^٢ ونقل (ابن مسعود) إن كل من أراد أن يطلع على علوم عصره، يجب عليه مراجعة القرآن؛ لأن القرآن شامل لكل العلوم.

ويستمر (السيوطي) في كلامه قائلاً «ان القرآن يحوي كل العلوم حتى الطب، والجدل، والهيئة، والهندسة و...».

٢. صيانة القرآن من التحريف: أي من الزيادة والنقصان في آياته؛ لأن القرآن قد حُفظَ عبر الزمن فلم يضاف إليه شيء، ولم ينقص، بخلاف سائر الكتب التي امتدت إليها يد التغيير، فزادت ونقصت فيها.

وقد استلهم (السيوطي) هذا المطلب من آية الحفاظ الشريفة، حيث قال الله سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾^٣

٣. حُسن التأليف: القرآن يستعمل الكلمات الجميلة والعبارات الجذابة المتناسقة بعضها مع البعض الآخر مما أضفى عليه مسحة الفصاحة، وقد خرق في أسلوبه عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن.

ويضيف (السيوطي) أنه لم يكن في قدرة أحد قط أن يأتي بمثل عبارات القرآن، ولهذا نرى البليغ ينقح القصيدة أو الخطبة حولاً كاملاً، ثم ينظر فيها ويغير، حتى تكتمل في نظره، ولن تكتمل. مع أن القرآن لو رفعنا منه كلمة واحدة ما استطعنا أن نضع بديلاً عنها؛ لأن الفصاحة سوف تختل في ذلك المكان، وكل عبارة قد جاءت في محلها الحقيقي، وثبتت فيه وصارت تستلهم فصاحتها من وجودها في ذلك المكان المناسب.

٤. مناسبة الآيات والسور: وارتباط بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة

١. الأنعام: الآية ٣٨.

٢. النحل: الآية ٨٩.

٣. الحجر: الآية ٩.

المعاني، منتظمة المباني.

(علم مناسبة الآيات)، يعتبر من العلوم التي قلما اعتنى بها المفسرون أمثال، الفخر الرازي) الذي قال في تفسيره: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط، وهذه الترتيبات لها أسباب مثل: المضادة،^١ التنظير،^٢ الاستطراد^٣ و...

٥. افتتاح السور وخواتمها: مثل افتتاح بعض السور بالتسبيح لله، والحروف المقطعة، والنداء، والجمال الخبرية، والقسم، والشرط، والأمر والاستفهام، والدعاء و...، وكل واحدة منها تحوي لطائف خاصة بها.

٦. تشابه الآيات، في بعض الأحيان نشاهد القصة الواحدة تَرَدُّ في سور شتى، وفواصل مختلفة، ففي بعض الأحيان تأتي العبارة في مقدمة الآية، وأخرى في نهايتها كما في قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿...وَأَدْخُلُوا آلَ بَابٍ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ...﴾^٤

﴿...وَقُولُوا حِطَّةٌ وَأَدْخُلُوا آلَ بَابٍ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ...﴾

﴿...قُلْ إِنْ هُدَى اللَّهُ هُودَى هُوَ الْهُدَى...﴾^٥

﴿...قُلْ إِنْ أَلْهَدَى اللَّهُ هُودَى هُوَ الْهُدَى...﴾^٦

١. المضادة: هي علاقة بين شيئين، مثل صفة الإيمان والكفر، كما في أول سورة البقرة والتي تبدأ في مسألة الإيمان حيث يقول سبحانه ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل...﴾ ثم جاء بعدها البحث في الكفر فقال سبحانه ﴿ان الذين كفروا سواء عليهم...﴾

٢. لتنظير: المقصود من التنظير هو أن هناك موضوعان متشابهان فيلحق أحد الموضين بالآخر، كما في الآية الشريفة ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق...﴾ (الأنفال: ٥) جاءت عقب قوله في الآية ٤ ﴿اولئك هم المؤمنون حقا﴾ حيث أمر تعالى رسوله أن يعرضي لأمره في الغنائم على كره من أصحابه، فمع ان المسلمين كانوا كارهين وغير راضين عن لتقسيم غنائم بدر، لكنهم رضوا فيما بعد، فكذلك خروجكم من مكة كنتم كارهين ولكن تبين فيما بعد ان فيه النصر والظفر والغنيمة وعز الاسلام.

٣. الاستطراد: يذكر مطلباً خاصاً ثم يقوم بتبيينه في مورد عام كما في الآية الشريفة ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير﴾ (الأعراف: ٢٦) حيث انتقل البحث من اللباس الظاهري إلى اللباس الباطني والتقوى.

٤. البقرة: الآية ٥٨.

٥. الاعراف: الآية ١٦١.

٦. البقرة: الآية ١٢٠.

٧. آل عمران: الآية ٧٣.

٧. الآيات التي ظاهرها متعارض: رغم أن هذه الآيات قد تبدو متعارضة ابتداءً، لكنها مترابطة بعضها مع البعض الآخر ومتفقة، مثل: آية نفي السؤال في يوم القيامة، حيث نفى عنهم السؤال يوم القيامة في الآية الأولى، وفي آية أخرى عدّه لازماً، وإليك الآيات:

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾^١

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾^٢

نقل عن (ابن عباس)، إن عدم السؤال مرتبط بما قبل النفخة، أما سؤال بعضهم لبعض فإنه يكون بعد النفخة الثانية.

٨. وجود الناسخ والمنسوخ. ومن الخصوصيات الأخرى لإعجاز القرآن وجود الناسخ والمنسوخ، حيث يُعدّ من خصوصيات القرآن، إذ أن بعض آيات القرآن تنسخ الأخرى، وليس ذلك إلّا من أجل التيسير على الأمة.

٩. الآيات المحكمة والمتشابهة؛ ووجود هذه الآيات يعتبر من علوم الآيات القرآنية أيضاً، وتنقسم الآيات المتشابهة إلى ثلاثة أقسام.

أ- آيات لا طريق لمعرفة أصلاً، كآيات التي تتناول الزمان والقيامة.

ب - آيات أخرى يمكن للإنسان أن يفهمها، كالألفاظ الغريبة والأحكام المغلفة.

ج - مجموعة مرددة بين الأمرين، يعني أن الراسخين في العلم يطلعون عليها و يخفى على من دونهم.

١٠. اختلاف حروف القرآن: وهذا أيضاً يعتبر من معجزات القرآن من جانب القراءة، حيث إنّ للقرآن قراءات سبع، وقراءات أخرى يمكن أن نتلفظ بها، أما الكتب الأخرى فليست كذلك.

١١. تقدّم وتأخير الألفاظ؛ فمرة السياق يقتضي التقديم والتأخير، وأخرى للتفنن في الفصاحة. وإليك بعض علل التقديم:

أ- التبرك، كتقدّم اسم الله في الآية: ﴿...فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ...﴾.

ب - التعظيم، كقوله تعالى ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ...﴾.

١. المؤمنون: الآية ١٠١.

٢. الصافات: الآية ٢٧.

- ج - زيادة الشرف، كتقديم الذكر على الانثى ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ...﴾.
- د - المناسبة، كما في قوله ﴿...يُرِيكُمْ أَلْبَرَقَ خَوْفًا وَطَمَعًا...﴾.
- هـ - السبق الزماني، حيث قدم الليل على النهار، وآدم على نوح.
- و - السببية، ﴿كتقديم العزيز على الحكيم﴾.
- ز - الكثرة، مثل ﴿...فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ...﴾ لأن الكفار أكثر.
١٢. إفادته للحصر والاختصاص، حيث يعتبر من خصوصيات إعجاز القرآن، مثل:
- انحصار صفة الإلهية بالله وحده كما في الآية الشريفة ﴿...لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ...﴾.
١٣. احتوائه على جميع لغات العرب، إن احتواء القرآن على جميع لغات العرب، بل وحتى اللغات غير العربية، كالفارسية، والرومية .. تعتبر من خصوصيات إعجاز القرآن.
- ورغم أن القرآن، نزل باللغة العربية، كما أشار نفس القرآن لذلك المعنى بقوله ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا...﴾ إلا أن هذا لا ينافي وجود كلمات غير عربية في القرآن.
- لذا فإن البعض يعتقد أن القرآن يشتمل على خمسين لغة، مثل لغة: قريش، هذيل، كنانة، جرهم، مدين، هوازن، عطفان، نصر، الفارسية، الرومية ...
١٤. عموم بعض آياته وخصوص بعضها، فوجود هذه الصفة في القرآن تعدّ من المعجزات أيضاً، لذلك فإن العام في القرآن على ثلاثة أقسام:
- أ - العام الذي يراد به الخاص، كقوله تعالى ﴿أَمْ تَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ...﴾^١
- يعني رسول الله ﷺ، لجمعه ما في الناس من خصال حميدة.
- ب - العام الذي خصّص، مثل ﴿...كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ...﴾^٢، حيث إن الهلاك خصّص بالنسبة إلى الله سبحانه.
- ج - العام الباقي على عموميته، كقوله تعالى ﴿...إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ...﴾^٣ فإن علم الله أبدي ومن جميع الجهات.

١. النساء: الآية ٥٤.

٢. القصص: الآية ٨٨

٣. المجادلة: الآية ٧.

١٥. الإجمال والتبيين في القرآن. هناك آيات في القرآن الكريم وردت مجمله، وقد رُفِعَ إجمالها بآيات أخرى، كما في الآيات المجملة التالية:

أ - ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾^١ فالفعل (عسعس) مشترك بين الإقبال والإدبار؛ لذا صارت الآية مجملة.

ب - ﴿...وَتَرَعَّبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُمْ...﴾^٢ فعندما يُحذف حرف (في) أو (عن) تصبح الآية مجملة.

ج - ﴿...إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ...﴾^٣ صارت الآية مجملة نتيجة لاختلاف مرجع الضمير في (يرفعه) فهل هو الله أم العمل؟
أما الآيات المبيّنة، وهي:

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾^٤، والتي فُصِّلَ معناها بالآية الشريفة ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ...﴾^٥.

١٦. الاستدلال بالمفهوم أو بالمنطوق للآيات، فالاستدلال (بالمنطوق) وظاهر الآيات كما في قوله تعالى في ذيل الآية الواردة بخصوص الحج ﴿...فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ...﴾^٦ هذه الآية تبين أن الحاج الذي لا يستطيع أن يذبح هدياً، عليه صيام عشرة أيام، ثلاثة منها أيام الحج، وسبعة أيام إذا رجع إلى وطنه.

أما الاستدلال (بالمفهوم) كما في الآية الشريفة ﴿...فَلَا تَقُلْ هُمَا أَفٍّ...﴾^٧ أي يجب عليك أن تحترم أبويك احتراماً تاماً، ولا تنهرهما حتى في كلمة (أف)، فيحرم الضرب من خلال المفهوم.

١. التكوير: الآية ١٧.

٢. النساء: الآية ١٢٧.

٣. فاطر: الآية ١٠.

٤. القيامة: الآيتان ٢٢، ٢٣.

٥. الأنعام: الآية ١٠٣.

٦. البقرة: الآية ١٩٦.

٧. الإسراء: الآية ٢٣.

١٧. التنوع في الخطاب، فهو أيضاً من وجوه إعجاز القرآن... لأن الخطاب أحياناً يخصص شخص الرسول ﷺ كما في قوله تعالى ﴿يَتَأْتِيَ الرُّسُولُ يَلْغُ...﴾^١ وأحياناً أخرى غير الرسول ﷺ كما في الآية ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾^٢ وثالثة يكون الخطاب عام، أي: للرسول ﷺ وغيره ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ...﴾^٣.

بعض الخطابات القرآنية تشمل الخطاب العام، الجنس، النوع، المدح، الذم، الكرامة، التعجيز، التحفيز و...

١٨. إخباره بالمغيبات؛ يشتمل القرآن الكريم على آيات وأخبار غيبية، كخبر دخول المسلمين إلى مكة، كما في قوله تعالى ﴿...لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِينَ...﴾^٤ حيث أخبرت الآية الشريفة عن خبر غيبي، وهو فتح مكة في المستقبل.

١٩. الإخبار عن الأمم البائدة والقرون السالفة، مثل قصص الأنبياء، علماً أن النبي ﷺ كان رجلاً آمياً، يعني لم يدرس عند أحد؛ لذا قال الله سبحانه ﴿يَتَأَهَّلَ آلُكَتَبٍ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ...﴾^٥.

٢٠. التأثير في المخاطب؛ فالإنسان تعثره الهيبة والخشية عند سماع التلاوة.

٢١. السامع لا يعلم القرآن، وإن تكررت عليه التلاوة.

٢٢. حفظ القرآن: يتميز حفظ آيات القرآن بالسهولة واليسر، خلافاً للكتب الأخرى عند مقارنتها مع القرآن.

لقد استلهم (السيوطي) أهمية حفظ القرآن من الآية الشريفة ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^٦ وأن القرآن ميسر حفظه حتى للغلمان، حيث باذر الكثير منهم لحفظه.

١. المائدة: الآية ٦٧.

٢. التحريم: الآية ٧.

٣. البقرة: الآية ١٨٣.

٤. الفتح: ٢٧ الآية.

٥. المائدة: الآية ١٥.

٦. القمر: الآية ٢٢.

٢٣. الحقيقة والمجاز؛ فقد استفاد القرآن منها بشكل مناسب.
٢٤. التشبيهات والاستعارات؛ وهي من أشرف أنواع البلاغة وأعلىها.
٢٥. الكنايات في القرآن، وكذلك الإيجاز والإطناب، تُعتبر من أقسام البلاغة فيه، حيث استفاد منها كثيراً، وهناك أقسام أخرى من البلاغة تعد من امتيازات القرآن، أمثال الإيهام، والاستخدام، والالتفات ...
٢٦. أنواع الأخبار والإنشاء، استفاد القرآن كثيراً من أنواع الأخبار والإنشاء، كالتعجب، والوعد والوعيد، والتنفي، والإنكار، والتوبيخ، والتهديد، و...
٢٧. القسم في القرآن؛ ومن معاجز القرآن الأخرى، ذكر القسم القرآني، فقد أقسم الله سبحانه بنفسه وبمخلوقاته مثل، الشمس، والقمر، والليل، و...
٢٨. البرهان في القرآن، الذي يشتمل على أنواع البراهين، كالاستدلال على وجود الله عن طريق برهان التمانع في الآية الشريفة: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا ءَالِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا...﴾^١. وهناك استدلالات أخرى من هذا القبيل.
٢٩. وجود الأمثال في القرآن؛ هناك أمثال متنوعة استعملها القرآن، سواء كانت ظاهرة أم مضمرة، وهي من عجائب القرآن، كالأية الشريفة ﴿...وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^٢ التي جاءت في مورد الصلاة، وهذه الآية تدل على المثل المعروف (خير الأمور أوسطها).
٣٠. سعة الآيات القرآنية؛ فإنه يشتمل على آيات العدل الإلهي، الرجاء الإلهي، الخوف الإلهي و... ووجودها جنباً إلى جنب تدل على سعة القرآن أمثال الآية الشريفة ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾^٣.
- وكذلك شمول القرآن من جهة وجود أسماء الأشياء المختلفة، مثل: الملائكة، الألقاب، الأسماء، القبائل، البلاد، الكواكب، الجبال و...، ومثل: يأجوج ومأجوج، عاد،

١. الأنبياء: الآية ٢٢.

٢. الإسراء: الآية ١١٠.

٣. الزلزلة: الآيتان ٧، ٨.

ثمود، قريش، الرّوح، الدّين، الشّمس، الشّعر، الفردوس، الكوثر، السّلسبيل، السّجّين، ادريس، آزر، أحمد و...

وقد أشار (السّيوطي) معتمداً على آراء الآخرين إلى مجموعة من وجوه إعجاز القرآن، وقال إنهم غفلوا عن بقية الوجوه التي سوف أشير لها فيما بعد، ومن جانب آخر فإنه يمكن جمع بعض الوجوه المذكورة مع البعض الآخر، كما أنّ هناك خلاف في بعض الوجوه كالوجه العاشر الذي أشار إلى اختلاف حروف القرآن من حيث القراءة، لأنّ كثيراً من القراءات ربّما لا تكون مورداً للتأيد، ثم إنّ القرآن له قراءة واحدة، وهذا ما أشير إليه في بحث القراءات حيث توصلوا إلى أنّ القرآن له قراءة واحدة لا أكثر.^١

عبد الله دراز

محمد عبد الله دراز، أحد المعاصرين من أصحاب الرّأي في المسائل القرآنية، ومؤلف كتاب (النّبأ العظيم) الذي يحوي نظريات جديدة حول القرآن.

وقد نظر لإعجاز القرآن من زاوية جديدة، وهي تأليف الصّوتي في شكله وجوهره، معتقداً إنّ كلّ من يستمع للقرآن، وإن لم يكن عارفاً باللغة العربيّة، سوف يترك أثراً في قلبه ونفسه، وعندما يقرأ القرآن فإنّ السّامع يلتذّ بسماعه؛ لأنّه يرى الإنسجام التّام بين كلماته وحروفه،^٢ ويضيف: إنّ النظام الصّوتي للقرآن غريب لا نظير له، جذّاب ومتلائم مع الفطرة. لذا فإنّ التكرار في أي نظام صوتي يورث الملل والفضجر، حتّى في مراحل الأولى، لكن القرآن ذو نظام صوتي خاص، لا يورث الملل، بل إنّ استماعه في كلّ مرّة له لذة خاصّة. وطبقاً لرأيه، فإنّ خصوصيّة النظام الصّوتي للقرآن يجعل القرآن غصّاً طرياً، ولا شك أنّ هذا الأمر ناشيء من القدرة الإلهية، التي أودعت في القرآن.

فإذا أردنا أن ندرك الإعجاز الصّوتي للقرآن ونلمسه بشكل واضح، ما علينا إلّا أن نبذل بعض كلمات القرآن بكلمات أخرى غير قرآنيّة، أو نجري تغييراً على الكلمات القرآنيّة، فسوف نعرف الفرق الذي يزيل الإعجاز الصّوتي عن القرآن الكريم، يقول دراز في هذا المجال:

إنّ أحداً لو حاول أن يدخل عليه شيئاً من كلام النّاس، من السّابقين منهم، أو اللاحقين، من الحكماء أو البلغاء أو النّبيين والمرسلين، لآفست بذلك مزاجه في فم كل قاري،

١. نزول قرآن ورؤياي هفت حرف، قراءة واحد، ص ٢٦٣.

٢. النّبأ العظيم، ص ١٠١ - ١٠٣.

ولجعل نظامه يضطرب في أذن كل سامع، وإذا لنادى الداخل على نفسه بأنه واغلّ دخيل، ولنفاه القرآن عن نفسه كما ينفي الكبيرُ خَبَثَ الحديد.^١

ويضيف الكاتب:

إنّ هناك مزية أخرى للقرآن مرتبطة بخطابات القرآن حيث عدّها من معجزات القرآن؛ لأنّ الخطابات القرآنية رغم أنّها عامّة لكنها معطوفة على أفراد خاصين، وترى لها تفوق خاصّ بالنسبة للخطابات الأخرى.

ومن الطبيعي لا يمكن الجمع بين خصوصية الخطاب الخاصّ وخصوصية الخطاب العامّ في خطاب واحد بالنسبة للبشر؛ لأنّ الخطاب العامّ الموجّه للعموم، يجب أن يحوي كلمات وعبارات واضحة مع شرح لتفاصيلها، في حين أنّ الخطاب الموجّه للخواص إذا كان مع الرّمز والإشارة يكون مفيداً.

ومن هنا فإنّ الكلام الموجّه للخواص إذا كان مفصلاً فإنّه يبعث على الملل، وهكذا لو كان الخطاب موجّه للعموم، لكنّه رمزياً وإشارياً ومجملًا، فالكلام يكون مبهمًا ولا يحقق الهدف.

أمّا الخطابات القرآنية فإنّ لها خصوصيات تجعلها مفيدة للعوام والخواص؛ ولذلك ترى الخطابات القرآنية مفيدة للكبار والصغار أيضاً، وللنساء والرجال، والعلماء والمختصين في الفن، والباحثين عن العلم، كلّ أولئك يمكنهم الإستلها من القرآن، فيأخذ كلّ واحد منهم بما يتناسب وظرفيته. مع أنّ الكتب العادية قد أعدّها أصحابها لطبقة خاصّة من الناس.^٢

فالقرآن يشبع قوة التفكير عند الإنسان، وكذلك قوة العاطفة والإحساس أو ما تسمّى (بالوجدان)، وكلّ واحدة منهما تختلف عن الأخرى.

يعني: إنّ القرآن قد اهتم بقوة الفكر، وقوة الوجدان معاً، أمّا في كلام الآخرين يكون الاهتمام بأحدى القوتين دون الأخرى.^٣

الرافعي

مصطفى صادق الرافعي من العلماء المعاصرين، صاحب كتاب (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، وقد ربّه في عدّة فصول، ذكر في الفصول الأولى، تاريخ القرآن، قراءة القرآن، لغة القرآن، تأثير القرآن في اللغة، و...

١. نفس المصدر، ص ١٠٥.

٢. نفس المصدر ص ١١٣.

٣. نفس المصدر.

وقد أفرد فصلاً خاصاً تناول فيه (إعجاز القرآن، وذكر فيه أقوال الماضين من العلماء، ثم قام بتحليلها، قال في بداية الفصل إن إعجاز القرآن قائم بشيئين: أولاً: ضعف القدرة الإنسانية في معارضة القرآن رغم أن محاولاتهم جديدة في ذلك المجال.

وثانياً: استمرار هذا الضعف منذ ذلك الوقت حتى الوقت الحاضر، وعجز الإنسان في كل عصر من العصور كاف لاثبات معجزة القرآن.^١

يعتقد (الرافعي) إن إعجاز القرآن لا حدود له، بل إن الإعجاز يكمن في البلاغة، الأسرار اللغوية، الكشف عن المقاصد، تأليف الكلام و...، وأعلموا إن القرآن معجزة من وجهة النظر التاريخية، وأيضاً لاشتماله على الحقائق العلمية، فقد كان القرآن ولا زال معجزة، ولكن أهم إعجاز للقرآن يكمن في بعده البياني والأدبي.^٢

وتبرز عظمة القرآن وأهميته؛ في أنه نزل في عصر بلغ العرب فيه مبلغاً من الفصاحة لم يعرف في تاريخهم من قبل، فأنه نزل في ذلك العصر فبداهم وتفوق عليهم، فلا يمكن أن يكون القرآن وليد ذلك الفكر العربي، أو أنه ولد من رحم تلك الفصاحة السائدة آنذاك؛ لأنه تجاوزها ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثل كلامه.

ويعتقد الرافعي أن اللغة العربية قد وصلت إلى كمالها ورشدها حين نزول القرآن الذي كان له ذوق خاص عند نزوله، وأن العرب كانت بمنزلة أمة واحدة في الفصاحة والبلاغة، ففي ذلك الوقت نزل القرآن بأبلغ وأفصح عبارة لكي يجاري ذلك العصر في الوحدة اللغوية والبيان للغة العربية.^٣

ثم أضاف (الرافعي): إن التحدي عند العرب قبل نزول القرآن كان في القصائد الشعرية الشائعة آنذاك، حيث كانوا يتخذونها وسيلة للشهرة والتفاخر بينهم، والرسول ﷺ تحداهم بالقرآن وأثبت عجزهم في التحدي، حيث قال تعالى:

﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ

لِلْكَافِرِينَ﴾.^٤

١. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٣٩.

٢. نفس المصدر، ص ١٥٦.

٣. نفس المصدر ص ١٦٤.

٤. البقرة: الآية ٢٤.

وطبقاً لرأي (الرافعي) إن أسلوب القرآن هو أساس الإعجاز، حيث يظهر فيه حسن النظم، وحسن تركيب الحروف والكلمات؛ لأن أسلوب القرآن لم يكن رائجاً عند العرب قبل ذلك، ومن هنا فإن مرجع معرفة الخطاب من ناحية الفصاحة والبلاغة هو الشعور الفطري المستند إلى الذوق، وقد وصل العرب إلى تلك المرحلة العالية من الذوق، فعندما تلقى نظرة على القرآن نشاهد أنه قد وصل إلى أعلى مراحل الفطرة، وقد عجز العرب عن الإتيان بمثله. بالخصوص أن القرآن كان يطرح موضوعاً واحداً بعبارات مختلفة في سور متعددة، لكي يثبت عجز العرب عن الإتيان بمثل تلك التعبيرات المتعددة في موضوع واحد. لذا فإن سرّ تكرار الآيات يكمن في هذا الأمر، أما ما ذهب إليه الجاحظ فغير صحيح، حيث يعتقد أن سرّ التكرار للآيات له ارتباط بتكرار المخاطبين.

وقد بين خصائص الكلام الفصيح، حيث قال: إن الكلام الفصيح هو الكلام الذي فيه ألفاظ سهلة، ومعان نادرة، تبعث في روح السامع السرور والإعجاب؛ لأنه ينفذ إلى القلب، ويستقر في النفس.^١

وقد أفرد (الرافعي) في كتابه فصلاً مستقلاً أسماه (نظم القرآن الكريم)، حيث ابتدأ كلامه بأننا عاجزون عن درك حقيقة القرآن؛ لأنه خارج عن قدرتنا، لأن القرآن سرّ حياة اللغة العربية، وهو بمنزلة الروح بالنسبة لها.^٢

ثم أضاف أن تركيب الكلام يشتمل على ثلاثة أجزاء:

حروف ناتجة من الأصوات، وكلمات ناتجة من الحروف، وجمل تحصل من خلال الكلمات. وقد رأينا سرّ الإعجاز في نظم القرآن يكمن في هذه كلها، يقول: عندما نقرأ القرآن فإن حروفه وكلماته وجمله لها تركيب لا سابق له وله وقع موسيقي خاص، وهذا النظم عينه الذي صفى طباع البلغاء بعد الإسلام، وتولى تربية الذوق الموسيقي اللغوي عندهم، فتعرفوا على نظم الكلمات، ولذلك مهما قرأت القرآن لا يصيبك الملل والضجر.^٣

١. إعجاز القرآن، ص ٢٠٤.

٢. نفس المصدر، ص ٢٠٩.

٣. نفس المصدر، ص ٢١٤.

وطبقاً لرأي (الرافعي): القرآن له ثلاثة أصوات: (النفس، العقل، الحس) وكل واحد من هذه الثلاثة يعتبر معجزة بحد ذاته، وهذه الأصوات هي:

أ - صوت النّفس: وهو الصّوت الموسيقي الحاصل من تنظيم الحروف والكلمات ومخارجها، بحيث تُظهر ارتباط المعاني بشكل متناسب.

ب - صوت العقل: وهو عبارة عن تلك المعاني الناتجة عن سلسلة من الكلمات يكتشفها المخاطب من خلال تلك التّعابير والكلمات.

ج - صوت الحس: وهو عبارة عن تعبيرات مختلفة ومعاني تفصيليّة استخدمت فيها وجوه البیان، قُبِيت المعاني بشكل دقيق فني. وهو أبلغهن شأنًا، لا يتأتى إلّا من دقّة التّصور المعنوي، والإبداع في تلوين الخطاب، ومجاذبة النّفس مرّة وموادعتها أخرى.

وأنّ أهميّة كلّ كلام يكمن في صوت الحس، وكلما روعي هذا الجانب في الكلام ترتفع بلاغة الكلام، وتتقوى بناء التّحتيّة، وهو بمنزلة روح الكلام وأساس إعجازه.

وعلى ذلك فإنّ القرآن في قمة الإعجاز وفي مرتبته العليا، بحيث إنّ الإنسان لا يستطيع أن يأتي بما يشابه القرآن، وقد أدرك العرب ذلك المعنى رويداً رويداً حتّى خضعوا للقرآن، فعلى الرغم من كونهم متخصصين في صوت الحس، غير أنّهم كانوا يعلمون أنّ رتبته الكاملة ودرجته العالية بيد الله سبحانه.^١

وجوه إعجاز القرآن

سعة وجوه الإعجاز

لا خلاف بين علماء المسلمين في أن القرآن معجزة إلهية، إلا أن هناك تفاوتاً في الآراء حول الجهة التي وقع فيها الإعجاز. فكل عالم يبحث الإعجاز من جانب مختلف، فمنهم من بحث تلك الوجوه من خلال المباحث الكلامية والتفسيرية، والتي قمنا بدراسة بعضها في الفصول السابقة. حيث قمنا ببيان آراء العلماء باختصار من ذلك، ومن خلاله أشاروا إلى السير التاريخي الذي مر به الإعجاز، وكيف أن العلماء قاموا بتوسيع البحث، والأدوار التي مر بها.

ولا زالت نظريات الإعجاز التي توسع وتكامل مستمرة، وذلك للأهمية التي يحظى بها هذا البحث، ولا نتوقع أن يقف التوسع في بحث الإعجاز، فكلما تقدم الزمن ظهرت وجوه جديدة للإعجاز؛ لأن هذا البحث له أفضلية خصبة للتوسع، والمستقبل كفيل في كشف وجوه جديدة للإعجاز.

أهم وجوه الإعجاز

سوف نتناول في هذا القسم أهم وجوه إعجاز القرآن مع المناقشة دون الالتفات إلى أصحابها. أما أهم الموارد التي طرحت حول إعجاز القرآن:

الصرفة

من الوجوه التي حظيت بسابقة تاريخية طويلة في تناولها لإعجاز القرآن، الاعتقاد بالصرفة، والذي يعتقد أنه أول الوجوه المطروحة بين علماء المسلمين، حيث نال الكثير من النقد

والبحث، وهذه النظرية تعتبر من أشهر النظريات المطروحة في القرن الرابع والخامس الهجري،^١ حيث سادت فترة طويلة ثم تعرضت للتشكيك من قبل بعض العلماء.

وسوف نقوم بطرح نظرية (الصرفة)، طرحاً واقعياً منصفاً.

(الصرفة) لغة هي «الصرف هو رد الشيء من حالة إلى حالة، أو إبداله بغيره».^٢

والغالب استعمالها في انصراف أحد عن تصميمه، مثل قوله تعالى في القرآن:

﴿...صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾^٣ أو في الآية الأخرى: ﴿...فَمَا

تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا...﴾.^٤

يقول (الطبرسي) في تعداد له معاني الصرفة: (صرف) بمعنى المنع من إبطال الآيات،^٥ المعتقدين بالصرفة يقولون: إن الله سبحانه قد صرف الناس عن معارضة القرآن وَمَنَعَهُمْ عن ذلك، رغم أنه سبحانه تحدثى الناس أن يأتوا بمثل القرآن أو عشر سور مثله، أو حتى بسورة واحدة، إذا كانوا مترددين في حقانية القرآن، ومع ذلك لم نلاحظ أي إجابة لهذا التحدي من جانب المخالفين ولم يتحقق شيء من جانبهم في الإتيان ولو بسورة واحدة؛ لأن الله سبحانه صَرَفَهُمْ عن هذا العمل.^٦

وهذا يعني إن عدم معارضة المخالفين وعدم تمكنهم من الإتيان بمثل القرآن لم يكن في الواقع نتيجة لفصاحة القرآن وبلاغته ولا للوجوه الأخرى للإعجاز، بل السبب الرئيسي لذلك هو أن الله سبحانه صَرَفَ الناس عن الإتيان بمثل هذا العمل، وسلب قدرتهم على ذلك. لذا فإن الله سبحانه تدخل من أجل أن يبقى القرآن سالماً من المعارضة، فصرفهم عن الإتيان بمثل القرآن، أو حتى التفكير في ذلك في المستقبل، فقد صَرَفَهُمْ عن ذلك، وهناك

١. أول من طرح هذه النظرية هو نظام المعتزلي (المتوفى ٢٣١هـ) وهو من قادة مذهب الاعتزال. انظر: المعتزلة، الزاهدي، حسن، ص ١٢٠. أبو إسحاق الأسفراييني من كبار علماء أهل السنة وهو من الأشاعرة أيضاً (المتوفى ٤١٨هـ) كان يعتقد بالصرفة، انظر: شرح المواقف للجرجاني، ج ٨، ص ٢٩٤.

السيد المرتضى، علم الهدى (المتوفى ٤٣٦هـ) وهو من مشايخ الشيعة، أو من المعتقدين بالقول بالصرفة. انظر: الذخيرة في علم الكلام، السيد المرتضى، ص ٣٧٨.

٢. مفردات الرأغب، ص ٢٨٧.

٣. التوبة: الآية ١٢٧.

٤. الفرقان: الآية ١٩.

٥. مجمع البيان، ج ٤، ص ٧٣٥، ذيل الآية ١٤٦ من سورة الاعراف.

٦. التمهيد في علوم القرآن، ج ٤ ص ١٤٠، الإتيان، ج ٤، ص ٧.

تفاوت في الآراء حول كيفية الصِّرف، وبعبارة أخرى، كيف كانت الصِّرفة؟

هناك تفاوت كبير بين أصحاب الرأي حول هذا المورد، يمكن تقسيمه، كما يلي:

١. سلب الدِّواعي: فالبعض يعتقد أنَّ الله تعالى سلب الدِّواعي عن هذا العمل، بحيث مسخ عقولهم وأفكارهم عن المعارضة، فلم يفكروا في هذا الأمر.^١ أسباب توفر الدِّواعي في حقِّهم كانت حاصلة مع التَّفريع بالعجز، والاستنزال عن المراتب العالية والتَّكليف بالانقياد والخضوع، ومخالفة الأهواء.

في الواقع إنَّ الله سبحانه قد أثر في أفكار المخالفين وإرادتهم، حتَّى أبعَدَ الفكرة عن أذهانهم، بحيث إنَّهم لم يفكروا بالإتيان بمثله في أي زمان ومكان، فلم تخطر هذه الفكرة في ذهن أي شخص، مع أنَّ القرآن دائماً وأبداً يتحدَّى أولئك؛ لأنَّ الدِّاعي موجود عندهم، ولكن الله أبعدهم عن تنفيذه.

فالقرآن خطأً أفكارهم الجاهلية، وأشار إلى عجزهم، وليس هذا إلَّا إنَّ الله سبحانه صرف ومنع أولئك عن التَّفكير بتلك الدِّواعي للمعارضة.^٢

٢. سلب العلوم: وهناك مجموعة أخرى يقولون: إنَّ الله سبحانه قد سلب العلوم من المعارضين وجعلهم يعرضون عن الإتيان بمثل القرآن ويترَكُوا التَّحدِّي؛ لأنَّهم إذا أرادوا أن يأتوا بمثل القرآن، عليهم أن يستفيدوا من العلوم المختلفة، الَّتِي بواسطتها يمكنهم الإتيان بمثله، لكنَّ الله بدلاً من أن يصرفهم عن دواعيهم قام بسلبهم العلوم والوسائل الَّتِي توصلهم إلى الإتيان بمثل القرآن، كي لا يستطيعوا أن يبادروا إلى مثل هذا العمل.

في الواقع إنَّ العرب بما لديهم من علوم، يمكنهم أن يأتوا بما يشابه فصاحة وبلاغة القرآن، لكنَّ الله سبحانه أطفأ تلك الشَّعلة في أذهانهم، أو أنَّه سبحانه لم يوفِّقهم للوصول إلى تلك العلوم وأبقاهم عاجزين.^٣

٣. سلب القدرة: وهناك مجموعة أخرى تعتقد إنَّ الصِّرفة لا ترجع إلى سلب الدِّواعي، ولا سلب العلوم البشريَّة، لأنَّ المعارضين كانت لهم دواعي كافية لذلك العمل، وعلومهم لم تتغير بعد نزول القرآن، لكنَّ الصِّرفة مرتبطة بسلب قدرة المعارضين يعني: إنَّ الله سبحانه

١. التمهيد في علوم القرآن، ج ٤، ص ١٣٨.

٢. نظام أبو اسحاق الاسفراييني، هكذا كانوا يعتقدون. راجع شرح المواقف، ج ٩، ص ٢٤٩.

٣. هذا القول منسوب إلى المرحوم السيّد المرتضى علم الهدى. راجع الذهيرة ص ٣٨٠.

سلب الإمكان والقدرة عن أولئك المعارضين، حالهم حال الذي أراد أن يذهب إلى داره فَمُنْع، رغم أنه يملك الداعي للذهاب، ويملك القدرة على ذلك، لأن قدميه سالمتان، لكنه سلب القدرة على الحركة وبقي متوقفاً في مكانه لا يزول عنه.^١

والمعقول من هذه التفاسير الثلاثة المذكورة آنفاً، هو القول الثاني، إذا قلنا بصحة الصّرفة.^٢

لأن القول الأول، يعني: سلب الداعي، لم يتحقق لأن ديمومة التحدي تؤدي إلى وجود الباعث، وإن المخالفين كان لديهم الداعي ولازال موجوداً، بل هو في إزدياد. القول الثالث: لا يختلف عن القول الثاني لأن أحد مصاديق سلب القدرة، هو سلب وصرف العلوم، وأنه يرجع إلى سلب القدرة. وعلى هذا فإن القول الثاني هو أكمل الأقوال، وأن المتبين للصّرفة في الشكل الثاني، يعني سلب ومنع العلوم، يرون أن القرآن يجب أن لا يختلف عن بقية الكتب من حيث اشتماله على الحروف والكلمات والعبارات؛ لأن الإنسان يأنس ويعرف تلك الحروف، وكلها واقعة تحت اختياره.

لذا فإن البشر يمكنهم أن يأتوا بمثل القرآن الكريم، ولكن الله سلب منهم تلك (العلوم) التي يحتاجونها في الإتيان بمثل عبارات القرآن وقوالب ألفاظه ومعانيه الخاصة به. ففي الواقع إن إعجاز القرآن هو حفظه من الخارج، بحيث لا يمكن أن يستتب الأمر لأحد في الإتيان بمثله.

ثم إن (الصّرفة) غير مختصة بالبشر، بل تشمل كل الموجودات، وأن الله قد سلب ومنع كل الموجودات الأخرى أن تأتي بمثل القرآن الكريم، أمثال الجن والإنس والملائكة و... لكي يكون القرآن معجزة لكافة الموجودات. لذلك فإن (الصّرفة) لا تختص بالإنسان، بل هي عامة تشمل الجميع.

وقد أجيب عن هذه الشبهة بأن عجز البشر لا يكفي لإثبات إعجاز القرآن؛ لأنه من المحتمل أن يتمكن الآخرون الإتيان بمثل القرآن، كالجن، ومن هنا قيل أن الصّرفة لا تختص بالإنسان، بل هي عامة وشاملة، وأن الله سبحانه قد سلب القدرة عن الكل، لكي يبقى القرآن بلا شبهة ينازعه.

١. الطراز عن وجوه الإعجاز، ج ٣، ص ٣٩١.

٢. التمهيد في علوم القرآن، ج ٤، ص ١٤٠.

دراسة القول بالصِّرفة

وصل القول بالصِّرفة إلى أوجه في القرنين الرابع والخامس، ثم بدأ بالأقول شيئاً فشيئاً، وبدأ المخالفون يشككون في صحة القول بها. ولإثبات ذلك أوردوا عليها عدة إشكالات. وعلى الرغم من أن المعتقدين بالصِّرفة على علم بموارد الضعف فيها، وأجابوا على بعض موارد الضعف، لكن تلك الردود لا ترقى إلى مستوى إقناع المخالفين للصِّرفة. وسوف نشير إلى بعض تلك الإشكالات التي وردت على القائلين بالصِّرفة:

١. نفى إعجاز القرآن: إذ لم يرجع إعجاز القرآن إلى الفصاحة والبلاغة والوجوه الإعجازية الأخرى، بل يرجع إلى (الصِّرفة) ومنع الله سبحانه من أن يأتوا بمثله، لصارت المعجزة للصِّرفة لا للقرآن، وأصبح القرآن غير معجز ولا خارق للعادة، ولا ربط له بالنص!! وصار القرآن كتاباً عادياً، بل أكثر ما نستطيع قوله أن القرآن يماثل الكتب القيّمة، بعبارة أخرى: إن له مثيل، لكنه أفضل الكتب وأرقاها.

بينما يعتقد المسلمون أن نص القرآن، هو المعجزة، كما جاء في آيات القرآن: ﴿قُلْ لَيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذِهِ الْقُرْآنِ لَآ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ...﴾ فهذه الآية تذكر أن القرآن له امتياز خاص، لا يمكن أن يتحداه أحد، وتعبير الآية (لا يأتون) ظاهرة في عدم تمكن الإنسان والجن من ذلك، لا بمعنى أنهم يمكنهم ذلك، ولكن الله سبحانه وتعالى صرفهم عنه ومنعهم من إنجازه.

ورغم تسليم المعتقدين بالصِّرفة بالإشكال المذكور، لكنهم يقولون: صحيح أن الإتيان بمثل القرآن قد سلب من الناس، ولم يستطيعوا أن يأتوا بمثله، لكن في الواقع إن الصِّرفة هي سبب ذلك الإعجاز.

٢. لغوية التحدي العام: عندما نتأمل في آيات التحدي الواردة في القرآن الكريم، نصل إلى الحقيقة القائلة بعلو مرتبة القرآن من حيث الفصاحة والبلاغة، وجمالية ألفاظ القرآن، بحيث إن الإتيان بمثله خارج عن طاقة الإنسان، وإذا لم يكن القرآن كذلك لَصَاو التحدي الذي يشمل الجن والإنس لا قيمة له.^١

١. الإسراء: الآية ٨٨.

٢. بيان إعجاز القرآن، ص ٢٣.

في حين أن الله سبحانه وتعالى قد بين أهمية القرآن ومرتبته من خلال التعبير المذكور، حيث قال سبحانه: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذِهِ الْقُرْآنِ لَآ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^١

ورغم خطورة الإشكال المذكور في الذهن، إلا أنه يمكن للقائلين بالصرفة الرد عليه، كما يلي: إن الآية المذكورة أهتمت كثيراً ببيان عجز الإنس والجن، كي تصل إلى القول بأن هؤلاء لا يمكنهم أن يأتوا بمثل القرآن، ولكن أين تكمن العلة، الآية الشريفة ساكتة عن ذلك ولم تصرح به، وربما تكون علة الإعجاز هي (الصرفة).

٣. تحير فصحاء العرب في مواجهة القرآن: إذا أرجعنا معجزة القرآن إلى (الصرفة)، فلازم ذلك أن يكون فصحاء العرب في العصور التي تلت نزول القرآن، بمقدورهم أن يأتوا بمثل القرآن، لا أقل مثله في الفصاحة والبلاغة، في حين أننا نشاهد فطاحل العرب وفصحائهم وشعرائهم، عندما تفرغ الآيات القرآنية أسماعهم يقفون متحيرين مبهورين، أمثال (الوليد بن المغيرة)، (البید)، (كعب) (الناطقة) و.. فقد طأطأ الرؤوس إجلالاً للقرآن الكريم وآياته، فسلموا أنه أعلى وأسمى من الفصاحة والبلاغة المتداولة في عصرهم. لذلك لم يدع أحد منهم أنه يمكنه الإتيان بمثل القرآن. بل لم يدع أحد منهم أن كلامه يشبه كلام القرآن.^٢

يقول أحد المعتقدين بالصرفة رداً على الإشكال: ليس هناك ترديد في علو مرتبة القرآن في الفصاحة والبلاغة، وهو أمر لا شك فيه ولا ريب، لكن العلاقة بين الكلام الذي هو في قمة الفصاحة كالقرآن، وكلام فصيح آخر أدنى مرتبة منه، ليست كالعلاقة بين المعجزة وغير المعجزة؛ لأن الكلام الذي في قمة الفصاحة يمكن للعرب أن يأتوا بمثله، لكنه غير معجز، وهو في مقدور البشر.

ولكن يظهر أن هذا الجواب غير كاف؛ لأن ذلك الكلام الذي في أوج الفصاحة والبلاغة، والذي يشبه القرآن، إما أن يكون البشر عاجزون على أن يأتوا بمثله، وليس بوسعهم ذلك أصلاً (لأنه ليس من صنع البشر كي يكون مورداً للتعجب والإعجاز، ولا ارتباط

١. الإسراء: الآية ٨٨

٢. الذخيرة، ص ٣٨٥.

له بالصِّرفة). وإما أن يكون الإتيان بمثله مقدوراً، فإذا كان كذلك فسوف يترتب عليه أن يكون ذلك الكلام الذي هو في قمة الفصاحة والبلاغة، مقدوراً للإنسان، ويمكنه أن يأتي بمثله؛ لأنّه في حدود استطاعته. غاية ما نستطيع قوله إنّ القرآن يكون ضمن أفضل الكتب وأنّ هناك أفراد متميزين يمكنهم أن يأتوا بمثله، ولازم ذلك أيضاً أن لا يكون نص القرآن معجزاً ولا خارقاً للعادة، وهذا ما لم يذهب إليه كبار فصحاء العرب، حيث قالوا: إنّ القرآن كلام فوق الكلام المعتاد وخارقٌ للعادة.

٤. ضرورة وجود شبيه للقرآن، قبل الصِّرفة: إذا أرجعنا إعجاز القرآن للقول بالصِّرفة، فسوف يلزم من ذلك، أنّه بعد نزول القرآن والتّحدي ووجود الصِّرف الإلهي، لم يستطع العرب أن يأتوا بمثله وصاروا مقيّدين من قبل الله سبحانه، وهذا هو القول بالصِّرفة بعد نزول القرآن، أمّا قبل نزوله فلا وجود للصِّرفة، بعبارة أدق: هناك عبارات وكلمات مشابهة للقرآن قبل أن ينزل، وكان يمكنهم أن يعارضوا القرآن بها، مع أنّنا لم نجد في التاريخ أي شاهد يدلّ على أن العرب قد عارضت القرآن بكلام وأشعار قبل وجود الصِّرفة.^١

ورغم أن الإشكال المذكور استهدف بداية الصِّرفة، وقبل ذلك لم يكن هناك صرف، حيث قال المستشكل يمكن أن يكون هناك كتاب مشابه للقرآن في ذلك العصر الذي سبق الصِّرفة، ويمكن القول بأنّ ذلك الكتاب الشَّيْب للقرآن لو ظهر باعتباره معارضاً للقرآن ومصدّقاً للتّحدي فإنّ حال الصِّرفة سوف يشملها وأنّ الله سبحانه قد منع المعارضين من إظهاره أيضاً.

٥. عدم اعتراف العرب بسلب القدرة: الصِّرفة إذا كانت من الله تعالى يترتب عليها أن يكون العرب قد سلّبو القدرة على قول الشعر الفصيح والخطب الفصيحة، وذلك عندما تحدّاهم القرآن، كما يجب أن يكون هذا السلب قد استمر حتّى يومنا هذا، بحيث أثر في كلام العرب قبل الصِّرفة وبعدها، خصوصاً الشعراء والفصحاء منهم، في حين أنّنا لم نشاهد مثل هذا الاعتراف، وأنّ العرب أنفسهم كانوا عاجزين عن الإتيان بمثل القرآن قبل التّحدي وبعده.^٢

١. شرح المواقف، ج ٨، ص ٢٤٩.

٢. شرح المواقف، ج ٨، ص ٢٤٩.

٦. حدود الصرفة: إذا كان إعجاز القرآن منحصر بالصرفة، يلزم من ذلك عمومية الصرفة، بحيث تشمل كل العرب حتى شخص الرسول محمد ﷺ، فبناءً على ذلك تكون شخصية الرسول ﷺ فيها نقص وعيب، لأن قدرته على عمل معين قد سلبت، مع أن الله سبحانه لا يسلب القدرة من نبيه في سبيل النبوة والإعجاز، إلاً أن نقول إن الله سبحانه قد استثنى رسوله ﷺ من سلب القدرة، وبهذا يلزم أن يكون شخص النبي له القدرة على الإتيان بمثل القرآن، فيبطل التحدي القرآني القائل بعدم إمكانية الإتيان بمثل هذا القرآن، ويصير القرآن بذلك كتاباً له مثيل.^١

وفي الإجابة على هذا الإشكال، يمكن القول إن الصرفة عندما تتحقق يكون الشخص في مقام المعارضة، فيدفعه الله عن ذلك الفعل ويمنعه منه، أما شخص الرسول محمد ﷺ فليس في مقام معارضة، لذلك لم تسلب منه القدرة، ولم ينقص من منزلته شيء، بل إن شخصيته النبوية على حالها.

٧. الجبر وعدم ملائمة الصرفة مع عظمة القرآن: إذا كانت الصرفة صحيحة، يلزم من ذلك الجبر؛ لأن الله سبحانه أجبر المعارضين في عدم تمكنهم من الإتيان بمثل القرآن، فيلزم من الصرفة القول بالجبر، وأن الذين يريدون تحدي القرآن قد سلب منهم ذلك الاختيار وصاروا مجبورين على عدم الإتيان بمثله. في حين أن الإنسان لا يشعر بمثل ذلك الجبر، بل هو فعلاً عاجز وغير قادر على الإتيان بمثل القرآن، وليس أنه قادر على الإتيان، ولكن حالت دونه قوة خارجية.

ومن جانب آخر فإن التحدي القرآني مبني على الافتخار والاعتزاز بالقرآن، وهذا الافتخار لا يتناسب والقول بالصرفة والجبر في مقابل المخالفين.

نظرية (الصرفة) التي لها أشكال متعددة، اهتمت بألفاظ القرآن الكريم، وحصرت ذلك في الفصاحة فقط، مع أن إعجاز القرآن غير منحصر بالفصاحة والبلاغة، بل إن هناك وجوه مهمة كثيرة طرحت في إعجاز القرآن تدل على سعة الإعجاز القرآني.

فلو اهتم القائلون بالصرفة بالجوانب الأخرى مثل المحتوى، عدم التناقض، علو المعنى وسعته، الإخبار بالغيب و... لما صرحوا بالاعتقاد بالصرفة؛ لأن هذه الأمور التي ذكرناها ليست

١. النكت في إعجاز القرآن، ج ٣، ص ٣٩٥.

باختيار أحد، ولم نرَ أحداً قد جمع كل تلك الأمور حتى نقول إنه تحدى القرآن. أضف إلى ذلك أن القرآن الكريم يعتني بالمحتوى أكثر، ويعرف نفسه أنه كتاب هداية، وهي إحدى معجزاته.

الإعجاز البياني

أحد أعظم معاجز القرآن الإعجاز البياني أو الفصاحة والبلاغة القرآنية، التي تعتبر أهم وجوه الإعجاز، وهي مطروحة منذ عصر النبي ﷺ (الذي يعتبر عصره قمة الفصاحة والبلاغة) حتى العصر الحاضر، وأنه معجزة كل عصر، وقد اتفق كل العلماء أن الإعجاز البياني هو أبرز وجه من وجوه الإعجاز القرآني.

نزل القرآن في زمان كان العرب فيه قد وصلوا القمة في الأدب العربي والخطابي، حتى إن الأشعار الجاهلية بقيت إلى الآن مورد احترام الأدباء.

والقرآن تجاوز الكلام الأدبي العربي في الفضل، بل إن أصحاب الفن كانوا يتعجبون منه، ويقولون إنه أفضل كلام سمعته العرب؛ لذا فإن الإعجاز البياني وبلاغة القرآن أمر قد أجمع عليه جميع علماء الإسلام في الماضي والحاضر، لذلك فقد حاول كل منهم إبراز الإعجاز البياني.^١

وسوف نتناول في هذا القسم معنى (البلاغة) وأقسامها:

البلاغة

ابن فارس عرّف البلاغة نهاية الوصول للمعنى وإكماله.^٢

ويقول (الرماني): «البلاغة تعني وصول المعنى بأحسن القوالب للألفاظ»^٣ أمّا (الخطابي) فقد كتب: «إن عمود هذه البلاغة، هو وضع كل لفظ في موضعه الخاص به، بحيث إذا أبدل مكانه غيره فإن المعنى سوف يتغير أيضاً، وربما يؤدي إلى فساد الكلام، أو ذهاب رونقه وبالتالي سقوط البلاغة».^٤

١. مثل كتاب بديع القرآن لابن أبي الأصبغ (م / ٦٥٦) الذي يعتبر من أفضل الكتب التي تناولت إعجاز القرآن.

٢. معجم مقاييس اللغة، ج ١ ص ٢٠٢.

٣. إعجاز القرآن البياني، ص ٣٧.

٤. إعجاز القرآن، ص ٢٩.

وقال «الأمير العلوي الزيدي» صاحب كتاب (الطراز عن وجوه إعجاز القرآن،^١ أن بلاغة القرآن تشتمل على وجوه الاستعارة أمثال التشبيه، الفصل، الوصل، التقديم، التأخير، الإضمار والإظهار و... وقد عُنُون الإعجاز البياني بشكل مختصر بأشكال ثلاثة:

أ- الفصاحة في الألفاظ التي تحمل معنى معين خال من الالتواء والنقل، ألفاظ سهلة جارية على الألسن.

ب - البلاغة في المعنى التي تعرض المعنى في أفضل سياق، مثل: الأمثال، الخبر، القصص، الأوامر، التواهي، و.. وفيها خصوصية في علو المعنى.

ج - نظم القرآن طبقاً لأفضل أنواع النظم الموجود.

كما إن العلامة الطباطبائي^٢ جعل الإعجاز البياني في ثلاثة أقسام:

١. معرفة اللغة، ومفرداتها.

٢. القدرة البيانية.

٣. قدرة التفكير ولطافة الذوق.

ومن أجل تبين الإعجاز البياني للقرآن نرى أنه من المفيد أن نبحث في الموارد التالية:

التعابير الخاصة بالقرآن

التعابير القرآنية سواء كانت حروفاً أو كلمات، لها مكانة خاصة وموزونة، بحيث لو أردنا أن نغير أحد هذه التعابير بتعبير آخر، أو بتعبير مشابه، أو نحاول حذفه، اختلت فصاحة وبلاغة القرآن، حتى إن أصحاب الرأي يعتقدون أننا إذا حذفنا لفظاً من ألفاظ القرآن الكريم، ثم تأملنا ملياً في وضع كلمة مناسبة تساوي الكلمة المحذوفة، ما وجدنا بديلاً لها أبداً.^٣

أضف إلى ذلك إن الميزة التي امتاز بها القرآن لا تجدها في الكتب الأخرى، وهي إن كل كلمة، وكل عبارة في القرآن، قد أخذت موقعها الحقيقي هناك، بحيث إن أي تغيير أو تحريف في القرآن يؤدي إلى اختلال الفصاحة والبلاغة، لذلك تُعتبر ألفاظ القرآن من أفصح الألفاظ، خصوصاً أن القرآن يستعمل الألفاظ في معاني جديدة، وإنها وضعت في محلها بدقة

١. إعجاز القرآن، ص ٢٩.

٢. الميزان في تفسير القرآن، ج ١، ص ٧١.

٣. الإعجاز البياني للقرآن، ص ١٢٣.

لتوصيل المعنى للمخاطبين، بحيث لا يمكن أن تأتي عبارات أو كلمات تعوّض لنا ذلك المعنى المراد توصيله.

بعض علماء البيان يعتقدون إنّ كل معنى له لفظ يتناسب معه، لا يقوم مقامه لفظ آخر في إيصال المعنى، لفظ يجذب الأسماع، وهذه الخصوصية تجدها في مرتبتها العليا في القرآن الكريم.^١ وهو عملٌ عجزَ الإنسان عن الإتيان بمثله؛ لأنّه لا يمكن للإنسان الإحاطة بكافة الألفاظ بهذه الصّورة.

إنّ انتخاب الألفاظ والعبارات المناسبة من أجل تبين المفاهيم المراد توصيلها للمقابل من الأهميّة بمكان، بحيث إذا اتّخِذَ بشكل صحيح ووضعت في محلها، يكون الكلام ساحراً جذّاباً. وقد اختيرت الألفاظ بعناية فائقة في القرآن، بحيث لو حرّكنا بعض الألفاظ عن مكانها لأختل نظم القرآن؛ لأنّ كلّ تعبير من تعابير القرآن قد وضع في محله المناسب، وتغييره عن مكانه المناسب له يؤدي إلى فساد المعنى أو ذهاب رونق الكلام وجاذبيته،^٢ حتّى لو جئنا بكلمات مرادفة لتلك الكلمة في معناها، فسوف يختل كلام القرآن في فصاحته وبلاغته.

نفى المترادفات في القرآن

إذا استعملنا ألفاظاً متعدّدة لمعنى واحد، نقول إنّ تلك الألفاظ (مترادفة): مثل، السيّف، الصّارم، الحسام،^٣ و...

وقد اختلف العلماء في وجود المترادفات في القرآن، فالراغب الأصفهاني يعتقد بوجود مترادفات في القرآن.^٤ وهناك مجموعة كبيرة من المحققين لا يعتقدون بوجودها في القرآن وينكرونها، من جملتهم (ابن فارس)^٥ الذي يعد من فقهاء اللغة و(أبو هلال العسكري) في كتابه (الفروق اللغوية).^٦ وهؤلاء يعتقدون إنّ كلّ لفظ في القرآن جاء في مكانه الحقيقي ولا يمكن الاستعاضة عنه بلفظ آخر.

١. البرهان في علوم القرآن ج ٢، ص ٩٧ والتمهيد في علوم القرآن، ج ٤، ص ٣٢.

٢. ثلاث رسائل إعجاز القرآن، ص ١٢٩ وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٥٦.

٣. فرهنگ معین، ج ٣ ص ٣٨٠٠، التمهيد في علوم القرآن، ج ٥، ص ٤٦.

٤. مفردات الراغب، مقدمة المؤلف.

٥. معجم مقاييس اللغة، ج ١، ص ٣ و ص ٣٩ (مقدمة الناشر).

٦. معجم الفروق اللغوية، ص ٣.

ويعتقدون إن الإعجاز البياني للقرآن، الذي هو على شكل تعابير وألفاظ، قُدِّرَ بشكل دقيق وموزون، بحيث لا يمكن أن تكون كلمة مرادفة لكلمة أخرى، فإذا وضعنا الكلمة المرادفة فسوف تختل الفصاحة والبلاغة في ذلك الجزء من القرآن، حتى لو كانت تلك الكلمة قد استعملت في آية أخرى، لا يمكن أن تأتي بتلك الكلمة ونضعها مكان هذه الكلمة، وإليك أمثلة على ذلك من القرآن الكريم:

١. (أفتوني في حلمي ان كنتم للحلم تعبرون) لا يمكن أن تحل محل الآية الشريفة

﴿...أَفْتُونِي فِي رُءْيَايَ إِن كُنْتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ﴾^١

٢. (لا تقصص حلمك على أخوتك) لا يمكن أن تحل محل ﴿...لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ

عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا...﴾^٢

٣. (اني أبصرت ناراً) لا تحل مكان الآية ﴿...إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي ءَاتِيكُمْ مِنْهَا

بِقَبَسٍ...﴾^٣

٤. (يقسمون بالله إنهم لمنكم) لا تحل مكان الآية: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِيَّاهُمْ لَمِنْكُمْ

وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرُقُونَ﴾^٤

٥. (يقسمون بالله ما قالوا) لا تحل مكان الآية: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا

كَلِمَةَ الْكُفْرِ...﴾^٥

٦. (لرايته خاشعاً متحطماً) لا تحل مكان الآية: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ

لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا...﴾^٦

١. يوسف: الآية ٤٣.

٢. يوسف: الآية ٥.

٣. طه: الآية ١٠.

٤. التوبة: الآية ٥٦.

٥. التوبة: الآية ٧٤.

٦. الحشر: الآية ٢١.

٧. (لا يَصُدُّ عَنْكُمْ سُلَيْمَانُ) لا يمكن أن تحل مكان الآية: ﴿...يَأْتِيهَا النَّعْلُ أَدْخُلُوا مَسَكِنَكُمْ لَا تَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾^١. و...

فعند التدقيق والتدبر في الآيات المذكورة، نشاهد إن الكلمات الموضوعية لا يمكن أن تكون بديلاً عن ألفاظ القرآن، فلا يمكن أن نضع كلمة (حلم) مكان (الرؤيا)، ولا (أبصرت) مكان (آنست)، (يقسمون) بدل (يحلفون)، (متحطماً) بدل (متصدعاً)، (لا يصدعنكم) بدل (لا يحطمنكم) و... لأن كل واحد من تلك الألفاظ له معنى خاص به، ورد في مكانه المناسب. ولا يمكن أن يحل بدله لفظ آخر، سواء كان ذلك اللفظ استعمل في القرآن، أم لا، لأنه غير مناسب.

اللغة العربية واسعة جداً، والتّرادف في اللغة لا يعني أن المعاني المترادفة واحدة، إلّا في بعض الكلمات التي يكون فيها المعنى قريب للآخر، والتي يمكن أن نطلق عليه معنى التّرادف.

لذلك لا يمكننا أن نعبر عن الآية الشريفة ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُوا آلَآلِبٍ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^٢ بالقول (ولكم في القتل حياة...) لأنّ التعبير بالقتل غير كاف ولا واف للمعنى المقصود.

ولذا فإنّ عبارة: أكرهوا القتل ليقل القتل. أو عبارات: القتل أنفي للقتل، التي كانت رائجة آنذاك، لا تعطي معنى ومفهوم كلمة (القصاص) التي جاءت بتعبير القرآن في الآية ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأْتُوا آلَآلِبٍ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾.

وهكذا عبارات (تلو) التي جاءت في الآية الشريفة ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُوا مِنْ قَبْلِهِ...﴾^٣ لا يمكن أن يحل محلها كلمة (تقرأ). وكلمة (لا شك) مكان كلمة (لا ريب) في الآية الشريفة ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^٤.

١. النمل: الآية ١٨.

٢. البقرة: الآية ١٧٩.

٣. عنكبوت: الآية ٤٨.

٤. البقرة: الآية ٢.

ولو تكررت ألفاظ القرآن، أو استفيد من لغات وعبارات كثيرة، فإن هذا لا يחדش في فصاحة القرآن، ولا في بلاغته، ولا يقلل من الإعجاز البياني له، لأن التكرار والاستفادة من لغات القبائل الأخرى هو استعمال في محله ومورده، وهناك سرٌّ في كل تكرار أو استعمال لكل لغة، بحيث لا تخرج عن الفصاحة والبلاغة.

وإليك بعض الأمثلة على التكرار في القرآن، فمثلاً آية ﴿...نَحْنُ نَزَّلُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...﴾^١ (الأنعام، ١٥١) وآية ﴿...نَزَّلُكُمْ وَإِيَّاكُمْ...﴾^٢ والتي جاءت في سورة الأنعام عبارت ﴿...مِنْ إِمْلَاقٍ...﴾ هكذا جاءت ﴿...وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَزَّلُكُمْ وَإِيَّاهُمْ...﴾^٣، وجاءت في سورة الإسراء عبارت (خشية إملاق): ﴿...وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَزَّلُكُمْ وَإِيَّاكُمْ...﴾^٤.

الاستفادة من اللغات الأخرى في القرآن، مثل:

١. ﴿...قَوْمًا بُورًا﴾ بدل: (هلكاً) والتي هي لغة عمان.^٥
٢. ﴿...وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً...﴾ بدل (مغيرة) في لغة هذيل.^٦
٣. ﴿...أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ...﴾ بدل كلمة (الكتاب) في لغة الروم.^٧
٤. ﴿...كَبِيرٌ مَقْتًا...﴾ بدل (بغضاً) في لغة قريش.^٨
٥. ﴿...أَعْجَازٌ خَطُلٌ...﴾ بدل كلمة (أجذاع) في لغة حمير.^٩

١. الأنعام: الآية ١٥١.

٢. الإسراء: الآية ٣١.

٣. الأنعام: الآية ١٥١.

٤. الإسراء: الآية ٣١.

٥. الفرقان: الآية ١٨.

٦. الحج: الآية ٥.

٧. الكهف: الآية ٩.

٨. الصّف: الآية ٣.

٩. الحاقة: الآية ٧.

عذوبة الألفاظ وسلاسة العبارات

ومن الموارد الأخرى المثيرة للدهشة في الإعجاز البياني للقرآن، علاوة على الاستفادة من الألفاظ المناسبة، هي «سلاسة الألفاظ»، وهذا الأمر ينطبق على جميع الألفاظ، رغم أن القرآن أستفاد من لغات قبائل أخرى فيها لغات متعددة، لكنك تراها تجري بسهولة على الألسن، وكذلك الحال بالنسبة إلى النحو والصرف والإعراب تراه في غاية السلاسة.^١

إن الألفاظ والتعابير القرآنية التي تتميز بخاصية الإعجاز، يجب أن يكون لها خصوصية، حتى الألفاظ التي يعتقد إنها ثقيلة على السمع، عندما تأتي في محلها المناسب في القرآن، تكون جميلة ومناسبة، ولها ذلك القدر من الإعجاز البياني، وإليك الأمثلة التالية:

١. كلمة (لَيْسْتَخْلِفَنَّكُمْ) في الآية الشريفة ﴿...لَيْسْتَخْلِفَنَّكُمْ فِي الْأَرْضِ...﴾^٢ التي تتكون من عشرة أحرف.

٢. كلمة (فَسَيَكْفِيكَهُمْ) في الآية الشريفة ﴿...فَسَيَكْفِيكَهُمْ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ...﴾^٣ والتي تتكون من تسعة أحرف.

إن الألفاظ المستخدمة في القرآن بالنسبة إلى اشتقاقها لم تكن ثقيلة؛ لأن اللفظ (الخماسي) الذي يتكون من خمسة أحرف أصلية لم يستعمل في القرآن؛ لأنه يفتقد إلى عنصر العذوبة والسلاسة، إلا ما كانت الأسماء شائعة مثل: إبراهيم أو إسماعيل وطالوت، وجالوت، ونحوها...^٤ وهناك كلمات مفردة ليس عذبا ولا سلسا مثل (الكوب) استعملها القرآن بلفظ الجمع؛ لأنه أرق في النطق، فجاء بها بلفظ الجمع، وقد وردت لفظ أكواب أربع مرات في القرآن الكريم، كالأية: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ...﴾^٥ وكذلك لفظ (أرجاء) التي جاءت في القرآن جمعا وذلك في الآية الشريفة ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا...﴾^٦ و...

١. التمهيد في علوم القرآن ج ٥ ص ١٥٠.

٢. التور: الآية ٥٥.

٣. البقرة: الآية ١٣٧.

٤. التمهيد في علوم القرآن، ج ٥، ص ١٥٣.

٥. الواقعة: الآيتان ١٧ - ١٨.

٦. الحاقة: الآية ١٧.

بعض الألفاظ لها اشتقاقات يكون بعضها سلساً وبعضها صعباً ثقیلاً، مثل كلمة (ابلعي) و(ابتلعي) حيث جاءت في القرآن ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ...﴾^١ ولم يقل (ابتلعي ماءك)، لأن كلمة (ابلعي) أكثر سلاسة من الثانية، أما الابتلاع بمعنى البلع بمشقة، فلم يستعملها القرآن بل استعمل (الإبلاع) الذي تكمن فيه القدرة الإلهية. وهناك ألفاظ غريبة جداً إذا جاءت بمفردها إلا أنها استخدمت في القرآن بمنتهى السلاسة مثل كلمة ضيزى في قوله تعالى ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى﴾^٢ ومع ذلك فإن حُسْنَهَا في نظم الكلام هنا من أغرب الحسن وأعجبه.^٣

الأسلوب والنظم الجديد للقرآن

جاء القرآن بأسلوب جديد، فهو لا يشبه النثر ولا يشبه الشعر، بل له أسلوب خاص به خارق للعادة، وهذا الأسلوب يحوي محاسن النثر والشعر، ورغم أن القرآن كلام الله سبحانه، لكنه يتناغم مع كلام البشر إلا أنه كلام حير العقول وجذب القلوب.

فالتعابير القرآنية من سنخ الحروف والكلمات البشرية، التي أثارت أعجاب الآخرين؛ لأنه ليس له سابقة، ولم يستطع السامعون له أن يأتوا بما يشابهه. قال (الوليد)، الشاعر والمتضلّع في اللغة العربي العريّة:

فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا رجز ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا، والله إن لقوله الذي يقول هذا حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلو.^٤

ثم إن التعابير القرآنية ليست بشعر ولا نثر ولا سجع، لكنه يتضمن مزايا الشعر والنثر، في قالب جديد وتعابير جديدة لها امتيازات خاصة.

المتخصصون في علم البلاغة قسموا الكلام الفصيح إلى ثلاثة أقسام وكل قسم منها له أثر في فصاحة الكلام يليق به، وهي عبارة عن:

١. هود: الآية ٤٤.

٢. النجم: الآية ٢٢.

٣. التمهيد في علوم القرآن، ج ٥، ص ١٥٣.

٤. مستدرک الحاكم، ج ٢ ص ٥٠٧.

١. الإيجاز: بيان حق المعنى في إلفاظ قصيرة ومختصرة، لكنّها تفني بالمعنى.
 ٢. الإطناب: بيان المعنى بألفاظ طويلة من أجل لمصلحة خاصّة.
 ٣. المساواة: بيان المعنى بألفاظ متساوية مع المعنى.
- وقد استخدم القرآن أساليب خاصّة كالاستعارات، التّشبيّهات، الكنّيات و... في محله المناسب، بحيث أعطى جمالية ورونقاً خاصّاً، ومن هذه الأساليب:
١. الشّروع بواو القسم، مثل: والضّحى، والفجر، والنجم، والعاديات و....
 ٢. فعل القسم بعد النفي، مثل: لا أقسم بيوم القيامة، لا أقسم بالنفس اللوامة، لا أقسم بهذا البلد، فلا أقسم برب المشارق والمغارب...
- يقول الرّماني (المتوفى عام ٣٨٦هـ):
- القرآن نقّص العادة الموجودة عند العرب، وجاء بكلام ليس له قالب الشّعر ولا السّجع ولا الخطب ولا الرّسائل و... لأن القرآن أظهر طريقة جديدة فيها كما يشبه الشّعر في وزنه.^١
- ومن الخصوصيات الأخرى للأسلوب، والنظم الجديدة للقرآن، هي استفادته من الوجوه والنظائر، كما في بعض الألفاظ التي انحرفت عن معناها الأصلي واستعملت في معنى آخر، فصارت جميلة إلى درجة أنّها صارت معجزة في هذا المجال.
- ويتوسّع (التفليسي) (المتوفى ٥٥٨هـ) وآخرون في توضيح هذا الموضوع، حيث ذكروا له مئات النماذج.^٢
- إنّ تعابير القرآن وأسلوبه ونظمه، لها أبعاد كثيرة أخرى مثل: انسجام الحروف والمعاني، تناسب الآيات، التّشبيّهات، الاستعارات، الكنّيات و...، التي سوف نتناولها فيما بعد كل على حدة.

انسجام حروف ومعاني القرآن

من خصائص القرآن في الفصاحة والبلاغة هو التّسقيط والانسجام بين الحروف والمعاني، وإنّ اللحن المنتظم للحروف جعل القرآن يؤثر في كلّ من يستمع إليه، فاذا كان القرآن يتحدّث عن كرامة الإنسان و رفع شأنه تراه يستعمل عبارات رقيقة، وإذا تحدّث عن آيات

١. ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص ١٠٢.

٢. وجوه القرآن، ص ٣ - ٢٨٠.

العذاب تراه يستعمل الألفاظ الغليظة الشديدة.

فنعندما نسمع هذه الآية الشريفة، ندرك العذاب الإلهي من خلال سماعها: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ * تَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنْقَعِرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ﴾^١

فالألفاظ المذكورة متناسبة مع معنى العذاب الذي ذكره القرآن، فكل من يتدبر في الآيات المذكورة، يدرك من خلالها العذاب وشدته وغلظته. وكذلك في الآيات التالية:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِيهِ وَأَبِيهِ * وَصَحْبِهِ وَبَيْنِهِ * لِكُلِّ أَمْرٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُّغْنِيهِ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفَرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ * وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ * تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ * أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجَرَةُ﴾^٢ (الصاخة) بمعنى صيحة يوم القيامة، وسميت بالصاخة، لأنها تصك سمع الإنسان. ومن الألفاظ الأخرى (الطامة) في الآية الشريفة:

﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَةُ الْكُبْرَى﴾^٣

هذه الآية تبين شدة العذاب، وقد أختير اللفظ المناسب لها، حيث إن ظاهر اللفظ يشير إلى ذلك، وكذلك حروفها لم تكن من حروف (اللين) بل من حروف (الشدّة).

تناسب الآيات ورعاية الفواصل

كل مجموعة من آيات القرآن نازلة في مراحل متفاوتة مكانية وزمانية، لها ارتباط بحادثة خاصة، إلا أن مجموع الآيات ترتبط مع بعضها وترنو إلى هدف واحد.

فنعندما ندقق في آيات القرآن الكريم، يمكن ملاحظة التنسيق والترابط بين الآيات. كما يمكن أن نلاحظ ذلك الترابط والتناسق بين الآيات القرآنية من خلال التدقيق فيها،

١. القمر: الآيات ١٩ - ٢١.

٢. عبس: الآيات ٣٣ - ٤٢.

٣. النازعات: الآية ٣٤.

حتى لو كانت العلاقة بين الآيتين علاقة تضاد، ويوجد في كل سورة وحدة موضوعية يمكن أن تميزها عن السور الأخرى، ولكل سورة بداية ونهاية جذابة.^١

ومن عجائب القرآن أيضاً التناسب بين الفواصل، فإن معرفة بداية الكلام والتعرف على فواصل الآيات يحتاج إلى تدبر؛ لأنه لا يعتمد على الوقف في نهاية الآية، وفي الواقع إن مداخل الكلام ومخارجه من شؤون المفسر.

تسمى الفاصلة بين الكلام مقاطع الآيات، وهي تختلف عن السجع الذي ينتهي بكلمات غير مأنوسة في استعمالها، ويختلف عن القافية أيضاً؛ لأن القافية هي الحرف الأخير من البيت الشعري. يقول ابن أبي الأصبغ، وهو من الأدباء المشهورين المعروفين، إن مقاطع الآيات لها أربعة أشكال^٢:

١. التمكن: بمعنى أن المتكلم يأتي بمقدمات ينتهي عندها الكلام، ويكون المعنى تاماً، ويكون مأنوساً غير شاذ، كالآية: ﴿قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْنَاكُم لَمُرْسَلُونَ﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا **الْبَلَّغُ الْمُبِينُ**.^٣

تحدثت الآية الشريفة عن الرسالة، حيث أهدت الأرضية للتحدث عن الإبلاغ.
٢. التصدير: بمعنى: ختم الكلام بعبارة وردت في صدر الآية، وتسمى أيضاً «رد العجز على الصدر» مثل الآية الشريفة ﴿...وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾،^٤ حيث إن صدر الآية وذيلها افتتح واختتم به (هب، وهاب).

٣. التوشيح: بمعنى أن بداية الكلام يبدأ بمعنى وينتهي بمعنى مثل الآية الشريفة: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾،^٥ فمعنى الإصطفاء والاختيار وقع على أفراد هم صنف من العالمين -الذين انتهت بها الآية.
٤. الإيغال: بمعنى أن المتكلم يريد أن يكمل كلامه قبل الوصول إلى نهايته.
مثل الآية الشريفة:

١. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، ج ١ ص ١٦.

٢. بديع القرآن، ص ١٠٠.

٣. يس: الآيتان ١٦ - ١٧.

٤. آل عمران: الآية ٨.

٥. آل عمران: الآية ٣٣.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾^١
 حيث إن عبارة (فما ربحت تجارتهم) قد أنهت الموضوع، ولكن جاءت عبارة ﴿...وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ إضافة، لأن المعنى قد انتهى عند العبارات الأولى.
 أما بالنسبة إلى فواصل القرآن، فإن هناك إجماع على أن وجودها من لوازم الفصاحة والبلاغة، وهي موجودة بكثرة.

ومن جملة مصاديقها (السَّجْع) الذي هو نفسه (مقاطع الكلام) والمبني على التوقف في الفواصل القريبة، حيث يتضمن الكلام قافية ونظم خاص، في حين هناك من ينكر السَّجْع في القرآن.^٢

والحقيقة إن السَّجْع موجود في القرآن وعليه شواهد كثيرة.

أقسام الفواصل

القرآن الكريم راعى الفواصل بأحسن وجه يمكن تصوّره. وأن فواصل القرآن من أبلغ الفواصل، والتي يمكن إجمالها فيما يلي^٣:

١. الكلام المتوازي: ما توافقت فيه فاصلتان أو أكثر في الوزن وفي حروف السَّجْع معاً، كقوله تعالى ﴿فِيهَا سُرُورٌ مَّرْفُوعَةٌ * وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ * وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾^٤.

٢. الكلام المطرف: ما توافقتا في حروف السَّجْع لا الوزن، كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾^٥.

٣. الكلام المتوازن: وهو ما كان فيه التوافق في الوزن والحروف دون السَّجْع، كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا * وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾^٦.

١. البقرة: الآية ١٦.

٢. التمهيد في علوم القرآن، ج ٥ ص ٢٧٤.

٣. البرهان في علوم القرآن، ج ١ ص ٧٥. التمهيد في علوم القرآن، ج ٥، ص ٢٧٩.

٤. الغاشية: الآيات ١٣ - ١٥.

٥. نوح: الآيتان ١٣، ١٤.

٦. المعارج: الآيتان ٦، ٧.

٤. الكلام المرصع: ما توافقتا وزناً وفي حروف السجع، مع توافق الكلمات نظماً وتالياً مثل ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ﴾^١.
٥. الكلام المتماثل: ما توافقتا في الوزن والسجع والتوازن والتأليف، وعدد الكلمات جميعاً، مثل ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾^٢.
٦. الكلام المتقارب: ما توافقتا سجعاً بالحروف المتقاربة في جميع الأقسام الخمسة المذكورة (الوزن، السجع، التوازن، التأليف، عدد الكلمات) كآية: ﴿قَدْ وَالْقُرْآنِ أَلْمَجِيدِ * بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ لَقَالِ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾^٣.



فواتح السور

فواتح السور القرآنية، جميلة وجذابة، وهي بعد ذاتها اتخذت أشكالاً متنوعة نستوحي من كل واحدة، منها بلاغة خاصة، نشير إلى بعض منها:

ألف) الافتتاح بالحروف المقطعة في السور التالية:

١. البقرة ﴿المر * ذَلِكَ أَلْكَتَبُ لَا رَبَّ لِيْهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾.
٢. آل عمران ﴿المر * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.
٣. الأعراف ﴿المرص * كِتَابُ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ﴾.
٤. يونس ﴿الر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾.
٥. هود ﴿الر كِتَابُ أَحْكَمْتُ ءَايَاتُهُ...﴾.
٦. يوسف ﴿الر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.
٧. الرعد ﴿المر تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ...﴾.
٨. إبراهيم ﴿الر كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ...﴾.

١. الفاشية: الآيتان ٢٥، ٢٦.

٢. التكويد، الآيتان ١٧، ١٨.

٣. ق: الآيتان ١، ٢.

٩. الحجر ﴿الرَّيْلُ تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ وَقُرْءَانٍ مُبِينٍ﴾.
١٠. مريم ﴿كَهَيْعَصَ * ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكِرِيَّا﴾.
١١. طه ﴿طه * مَا أُنزِلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْءَانُ لِنَشَقِيَ﴾.
١٢. الشعراء ﴿طسّم * تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.
١٣. النمل ﴿طس تِلْكَ ءَايَتُ الْقُرْءَانِ ...﴾.
١٤. القصص ﴿طسّم * تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.
١٥. العنكبوت ﴿المر * أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ ...﴾.
١٦. الروم ﴿المر * غُلِبَتِ الرُّومُ﴾.
١٧. لقمان ﴿المر * تِلْكَ ءَايَتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾.
١٨. السجدة ﴿المر * نَزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ ...﴾.
١٩. يس ﴿يس * وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ﴾.
٢٠. ص ﴿ص * وَالْقُرْءَانِ ذِي الذِّكْرِ﴾.
٢١. غافر ﴿حم * نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.
٢٢. فصلت ﴿حم * نَزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.
٢٣. الشورى ﴿حم * عَسَىٰ * كَذٰلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ ...﴾.
٢٤. الزخرف ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.
٢٥. الدخان ﴿حم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.
٢٦. الجاثية ﴿حم * نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ ...﴾.
٢٧. الأحقاف ﴿حم * نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.
٢٨. ق ﴿ق * وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ﴾.

٢٩. القلم ﴿ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

في ٢٤ مورد من الموارد المذكورة، جاء ذكر كتاب الله وعظمته بعد الحروف المقطعة، وفي خمس موارد أخرى ورد ذكر الله وعظمته وقدرته.

(ب) افتتاح بعض السور بالحمد والثناء الإلهي، مثل:

١. الفاتحة ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾.

٢. الانعام ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ...﴾.

٣. الكهف ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ...﴾.

٤. سبا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾.

٥. فاطر ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ...﴾.

(ج) افتتاح بعض السور القرآنية بالتسبيح والتتزيه لله سبحانه، مثل:

١. الإسراء ﴿سُبْحَنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ...﴾.

٢. الفرقان ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ...﴾.

٣. الحديد ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

٤. الحشر ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾.

٥. الصف ﴿سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾.

٦. الجمعة ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾.

٧. التغابن ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾.

٨. الملك ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ...﴾.

٩. الأعلى ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾.

(د) افتتاح بعض السور بخطاب عموم المكلفين أو عموم المؤمنين، أو خطاب

لِلرَّسُولِ ﷺ مع حرف النداء أو عبارت (قُل) كالموارد التالية:

١. النساء ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ انْتَقُوا رَبَّكُمْ...﴾.
 ٢. الحج ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ انْتَقُوا رَبَّكُمْ...﴾.
 ٣. المائدة ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾.
 ٤. الحجرات ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾.
 ٥. الممتحنة ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾.
 ٦. الأحزاب ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ...﴾.
 ٧. الطلاق ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمْ...﴾.
 ٨. التحريم ﴿يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ...﴾.
 ٩. المزمل ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ...﴾.
 ١٠. المدثر ﴿يَتَأْتِيهَا الْمَدَّثِرُ...﴾.
 ١١. الجن ﴿قُلْ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنَّهُ...﴾.
 ١٢. الكافرون ﴿قُلْ يَتَأْتِيهَا الْكَافِرُونَ...﴾.
 ١٣. الإخلاص ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ...﴾.
 ١٤. الفلق ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ...﴾.
 ١٥. الناس ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ...﴾.
- ها افتتاح السور بالقسم
١. يس: ﴿يَسْ * وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ﴾.
 ٢. الصافات ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾.
 ٣. الزخرف ﴿حَم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.
 ٤. الدخان ﴿حَم * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾.

٥. ق ﴿قَدْ وَفَّرْنَا بِالْمَجِيدِ﴾.
٦. الذاريات ﴿وَالذَّارِيَتِ ذُرْوَا﴾.
٧. الطور ﴿وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾.
٨. النجم ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾.
٩. القلم ﴿رَبِّ الْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.
١٠. القيامة ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَمَةِ﴾.
١١. المرسلات ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ غُرَفًا﴾.
١٢. النازعات ﴿وَالنَّازِعَاتِ غُرَقًا﴾.
١٣. البروج ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾.
١٤. الفجر ﴿وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾.
١٥. البلد ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ﴾.
١٦. الشمس ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾.
١٧. الليل ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾.
١٨. الضحى ﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾.
١٩. التين ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونِ﴾.
٢٠. العاديات ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾.
٢١. العصر ﴿وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾.

(و) افتتاح بعض السور بالإستفهام والسؤال:

١. الإنسان ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ...﴾.

٢. النَّبَأُ ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾.
 ٣. الغاشية ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ﴾.
 ٤. الإنشراح ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.
 ٥. الفيل ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾.
 ٦. الماعون ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْدينِ﴾.
- (ز) افتتاح بعض السور بمبارات شرطية
١. الواقعة ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ﴾.
 ٢. المنافقون ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ...﴾.
 ٣. التكوير ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.
 ٤. الإنفطار ﴿إِذَا السَّمَاءُ انفطرت﴾.
 ٥. الإنشقاق ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشقت﴾.
 ٦. الزلزال ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾.
 ٧. النصر ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾.
- (ج) افتتاح بعض السور بالتهديد والوعيد
١. التوبة ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾.
 ٢. النحل ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ...﴾.
 ٣. الأنبياء ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ...﴾.
 ٤. محمد ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾.
 ٥. القمر ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾.

٦. الواقعة ﴿إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ * لَيْسَ لَوْفَعَتِهَا كَاذِبَةٌ﴾.
٧. المعارج ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ * لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾.
٨. الإنسان ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا﴾.
٩. النبا ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ * عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾.
١٠. عبس ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾.
١١. التكويد ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾.
١٢. الإنفطار ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾.
١٣. المطففين ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾.
١٤. الإنشقاق ﴿إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ﴾.
١٥. البينة ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾.
١٦. الزلزال ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾.
١٧. التكاثر ﴿الْهَنَكَمُ التَّكَاثُرُ﴾.
١٨. الهمزة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾.
١٩. المسد ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾.

تشبيهات القرآن

التشبيه، إثبات حكم من (المشبه به) (للمشبه)، وبيان أعقد المطالب في أوضح العبارات^١ بوجود أداة (الكاف)، (كان) و(مثل) كما في: ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّا كُؤِلَ﴾،^٢ و﴿كَأَنَّهُنَّ آليَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾،^٣ و﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ

١. الإنفاق في علوم القرآن، ج ٣ ص ١٤٢، بديع القرآن، ص ١٥٦.

٢. الفيل: الآية ٥.

٣. الرحمن: الآية ٥٨.

ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ^١

والتشبيه قسمان، فمرة يكون وارداً على جهة (الإنشاء) كما في ﴿كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ﴾^٢، وأخرى يكون وارداً على جهة (الإخبار) مثل ﴿...فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ...﴾^٣، إلا أن كليهما متساويان في بيان المقصود، وأن المقصود في كليهما - كيفما كان - هو واحد.

والفرض العام في كل التشبيهات بلحاظ الأداة - أداة التشبيه - إما رفع شأن ومقام المُشَبَّه، أو تقييد وتقليل شأنه.^٤ المهم أن أهل البيان اعترفوا^٥ أن تشبيهات القرآن تحوي أجمل محاسن البديع، كما في الآية: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾^٦ حيث شبه الليل باللباس؛ لأنَّ اللباس يلبسه الإنسان فكذلك الليل. والآية ﴿...وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا...﴾^٧ حيث شبه الشيخوخة بالنار التي يأخذ لهبها كل المكان، فكذلك العجز والكبر هنا.

وفي هذا القسم سوف نتناول مجموعة من التشبيهات الواردة في القرآن، كي تظهر بلاغة وفصاحة الإعجاز البياني للقرآن.

١. ترسيم وتشبيه المعاني الذهنية والصور الحسية، كما في قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾^٨
هذه الآية تبين عدم فلاح الكفار وعدم دخولهم الجنة، فقد شبه ذلك الأمر بشيء حسي، وهو عبور البعير من ثقب أبرة الخياطة، وبما إن هذا الأمر محال، كذلك دخول الكافر إلى الجنة، محال أيضاً.

١. البقرة: الآية ١٧.

٢. الرحمن: الآية ٥٨.

٣. الأعراف: الآية ١٧٦.

٤. التمهيد في علوم القرآن، ج ٥ ص ٥٨٠.

٥. نفس المصدر ص ٥٨٤.

٦. النبا: الآية ١٠.

٧. مريم: الآية ٤.

٨. الأعراف: الآية ٤٠.

٢. بيان حالات النفس وتشبيهها بالحيوانات، كآية:

﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُكِنِّهُ أَحَدًا إِلَى الْأَرْضِ وَآتَبَعْهُ هَوْنَهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِءَايَاتِنَا...﴾^١

الآية المذكورة تبين حال الإنسان الذي هيا الله له سبل الهداية، ولكنه صد وأعرض عنها، وحاله حال الكلب الذي إن حملت عليه يلهث وإن تركته يلهث. إن مصداق هذا المثال كما ورد في بعض التفاسير^٢ هو (بلعم بن باعور)، حيث شبه بالكلب الذي لا أمل في هدايته، وقيل إنه كان عالماً مؤمناً، لكنه شذّ وضل عن الطريق، فوسوس له الشيطان، فصارت عاقبته كما عبرت عنه الآية القرآنية.

٣. تشبيه الإنسان ضعيف العقيدة بالإنسان المهزوم الضعيف، كما في الآية ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ ءَامَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمُ ٱلْآيَةُ الشَّرِيفَةُ تَبَيَّنَ الْحَالَةُ التَّفَاقِيَّةُ عِنْدَ بَعْضِ الْإِنْهَازِيِّينَ مِنَ الْعَرَبِ، حَتَّى إِنَّهُ كَانَ يُغْمَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْخَوْفِ نَتِيجَةُ ضَعْفِهِمْ وَجَبْنِهِمْ، أَمَّا تَعْبِيرُ الْقُرْآنِ ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾ فَاَلْمَقْصُودُ بِهِ الْمُنَافِقُونَ. وَٱلْآيَةُ تَبَيَّنَ مَوْقِفَهُمْ عِنْدَ الْحَرْبِ، حَيْثُ يَضْطَرُّونَ مِنْ مَجْرَدِ ذِكْرِ إِسْمِهَا، وَيَسْتَوْحِشُونَ مِنَ الْجِهَادِ، وَيَرْتَجِفُونَ خَوْفًا كَأَنَّمَا تَخْرُجُ أَرْوَاحُهُمْ مِنْ أَبْدَانِهِمْ، وَهَذَا أَقْوَى تَعْبِيرٍ وَتَشْبِيهِ لِحَالِ الْمُنَافِقِينَ الْجَبْنَاءِ.^٤

٤. تشبيه أعمال الإنسان الكافر بالرماد في يوم عاصف، كآية: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا

١. الأعراف: الآيات ١٧٥، ١٧٦.

٢. مجمع البيان، ج ٤، ص ٣٩٤، ذيل الآية ١٧٥ من سورة الأعراف.

٣. محمد: الآية ٢٠.

٤. مجمع البيان، ج ٩، ص ١٦٨.

يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ^١.

بَيَّنَّتْ الآيَةُ المذكورة حال أعمال الكفار وسلوكهم وشبهته بالرَّمَاد الذي تنثر في يوم عاصف، لا يستطيع أحد أن يجمعه، وهكذا الكفار لا يجدون جزاء الأعمال التي قاموا بها؛ لأنها تذهب سدى، وهذا هو الضلال.

كذلك الآيَةُ الشريفة الثانية ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ^٢﴾.

تُبَيِّنُ حال بعض الأفراد المؤمنين الذين ينفقون أموالهم، وتنصحهم ألا يبطلوا صدقاتهم بالمن والأذى.

فإن الذين يبطلون صدقاتهم بالمن والأذى، وينفقون أموالهم رياء وسمعة، حالهم حال الذي ينثر البذور على أرض صلبة عليها طبقة خفيفة من التراب، فإذا مطرت السماء انكشفت بذورها، وأخذها الماء، وذهبت هدرًا.

الاستعارات في القرآن

عرّفوا (الاستعارة) بأنها: «استعارة من شيء معروف إلى شيء لم يعرف به، وإثبات متعلقات الشيء الثاني للأول بهدف المبالغة»^٣.

والاستعارة تشبيه ولكن لا يصرّح به، فيذكر فيها أحد أطراف التشبيه ويراد به الطرف الآخر مدعيًا دخول (المشبه) في جنس (المشبه به) عن طريق الدلالة على ذلك بإثباته الخصائص (للمشبه به).^٤

والاستعارة من أنواع المجاز، وهو المجاز العقلي وليس المجاز في الكلمة، والعلاقة

١. إبراهيم: الآية ١٨.

٢. البقرة: الآية ٢٦٤.

٣. بديع القرآن، ابن أبي الأصبح، ص ١٢٣.

٤. مفتاح العلوم السكاكي، ص ١٧٤.

بينهما هي التشابه، يقول السيوطي حول أهمية الاستعارة:
 رغم أن أشرف أنواع البلاغة وأعلاها هو التشبيه، لكن علماء البيان مجمعين على أن
 الاستعارة أبلغ؛ لأن الاستعارة مجاز، ولكن التشبيه حقيقة، والمجاز دائماً يكون أبلغ.^١
 استخدم القرآن الكريم الاستعارات بشكل واسع، والذي يُبين الإعجاز البياني للقرآن،
 هو استخدام الاستعارات .
 وإليك بعض النماذج منها:

الاستعارة المجردة والمرشحة

الاستعارة المجردة، كآية الشريفة ﴿...فَأَذِقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا
 يَصْنَعُونَ﴾.^٢

فقد استعير اللباس في هذه الآية؛ لكي يكون مناسباً لحالة الذل والهوان الموافق لحال (المستعار
 له)، أما إذا كان اللباس متناسباً مع (المستعار منه) لصارت الآية (كساها الله لباس...).
 أما (المرشحة) فهي التي تفتن بما يلائم (المستعار منه)، وإن المتكلم يأخذ بعين الاعتبار
 جانب «المستعار منه» كما في قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا
 رَیَحَتْ تَجِرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾.^٣

فقد روعي في هذه الآية، جانب المستعار منه وهو (الشراء)، لذا فإن ألفاظ (الربح
 والتجارة) قد أختارها القائل للمناسبة بين الشراء مع الربح والتجارة.

الاستعارة التخيلية

يعني إثبات خصائص (المشبه به) (للمشبه)، مثل:
 ﴿...ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ...﴾، ففي هذه الآية، اللفظ المستعار هو (الاستواء)،
 المستعار منه (كل جسم مستوٍ)، المستعار له (ذات الحق)، والهدف من الاستعارة المذكورة

١. معترك الأقران، السيوطي، ج ١ ص ٢٨٤.

٢. النحل: الآية ١١٢.

٣. البقرة: الآية ١٦.

هو: أن يتخيل السامع عند سماعه العبارة المستعارة، ملكاً له نفوذ واسع يجلس على العرش بشكل مهيب تدل على عظمته وهيبته، في حين أنه لا يوجد عرش محسوس لله سبحانه. ويمكن أن ندرج آيات قرآنية أخرى حول الاستعارة التخيلية، من جملتها الآية القائلة:

﴿...بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ...﴾^١ الآية المذكورة ترتبط بالكلام الواهي الذي أطلقه اليهود على الباري سبحانه، حيث قالوا «إن يد الله مغلولة»، مع أن الله سبحانه قال: ﴿...بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ...﴾. في هذه الآية، المستعار هو (البسط)، المستعار منه (الأيادي المبسوطة) والمستعار له هو (يد الحق)، والمقصود من يد الحق هو قدرة الله سبحانه وهذا التعبير الأخير لأولئك الذين إذا سمعوا بالتعبير المذكور تصوروا إن لله سبحانه أيدي تشبه أيادي البشر، مع أن الله ليس له يدان.

الاستعارة الوفاقية والعنادية

في الاستعارة الوفاقية يمكن اجتماع الطرفين، مثل استعارة الموت بضده، كما في الآية الشريفة القائلة: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا...﴾^٢

في الآية المذكورة، مجموعة من الأفراد كانوا ضالين تائهين ثم آمنوا، فشبههم القرآن بالموتى الذين أحياهم الله سبحانه بإذنه، كذلك نفهم من الآية الشريفة إن الموت والحياة كلاهما قد استعيرا في هذه الآية.

أما (الاستعارة العنادية)، فلا يمكن فيها اجتماع طرفي الاستعارة، كما في الآية الشريفة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيَّ عِنْدَ حَقِّهِ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾^٣

أشير في الآية المذكورة إلى اليهود والنصارى، فقد وعدهم الله سبحانه بالعذاب الأليم؛ لأنهم لم يسلموا لله، ولكن هذا الوعيد جاء بتعبير (البشارة) أي فبشرهم بعذاب أليم، ونحن

١. المائدة: الآية ٦٤.

٢. الأنعام: الآية ١٢٢.

٣. آل عمران: الآية ٢١.

نعلم إن البشارة كثيراً ما تُستعمل للأخبار السارة، وإستعمالها في مورد العذاب، فيه جانب من التهديد والإستهزاء.

وإن القرآن قد استعمل الإستعارات بكثرة، وهو دليل على فصاحة وبلاغة القرآن. وأشرنا إلى بعض النماذج سابقاً، وجاء تفصيلها في علم المعاني والبدیع، وقد وردت مفصلاً في كتاب بديع القرآن للأصمعي.^١

وكلما تدبر علماء أهل البيان في آيات القرآن، كلما وقفوا على مزيد من الإعجاز البياني لهذا الكتاب.

الكنايات في القرآن

الكناية هي: «عدم تصريح القائل بما يريد، ولكن يتوصل بالملازمات في كلامه في سبيل الوصول إلى المطلوب، وفيه نوع من الخفاء والستر».

وإن المتكلم يبين مطلبه بغير الألفاظ التي وضعت، فمثلاً يُبين الأمور القبيحة بألفاظ حسنة، أو الألفاظ غير اللائقة بألفاظ لائقة.^٢

ودلالة الكناية لفظية، عكس دلالة التعريض العقلية، وهي أخفى من الكناية. ويمكن تبين أهداف الكناية كما يلي:

١. الإلتفات إلى قدرة الله سبحانه، مثل: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ...﴾^٣ فهذه الآية كناية عن النفس الواحدة التي تشير إلى آدم عليه السلام، والتي تبين قدرة الله سبحانه.
٢. إخفاء الموضوع الذي لو ظهر لكان غير لائق في المقام، مثل كلمة (المراودة) التي كنى بها سبحانه عن المعاشرة الجنسية، حيث قال في الآية: ﴿وَرَوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ...﴾^٤.

٣. المبالغة، كالأية: ﴿أَوْ مَنْ يُنشِؤُا فِي الْحَلِيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ في الآية المذكورة، كناية عن الذي يترى في الزينة حاله حال البنات.

١. بديع القرآن، ابن أبي الأصم، ص ١٢٥.

٢. نفس المصدر، ص ١٥٢.

٣. الأعراف: الآية ١٨٩.

٤. يوسف: الآية ٣٣.

٤. الإختصار: كالتعبير بـ(فعل)، كناية عن عبارات وألفاظ متعددة ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا...﴾^١، حيث قصد بتعبيره هذا: إذا لم تأتوا بسورة مثل القرآن.

٥. الإطلاع على عاقبة الأمر، مثل:

﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾^٢، حيث نوّهت الآية بعاقبة أبي لهب في جهنم من خلال الكناية في الآية واختصارها.

والإعجاز البياني للقرآن يمكن التعبير عنه من خلال ما أشرنا إليه سابقاً باختصار، وإنه المعجزة الخالدة لكل المتحدثين والعلماء وأصحاب الفن.

ولقد عرضنا بهذه العجالة، تعابير القرآن، أسلوبه ونظمه المبتكر، سلاسة الألفاظ والعبارات، وتناسب المعاني والحروف، وتناسب الآيات ورعاية الفواصل، والتشبيهات، والاستعارات، والكنايات في القرآن، ومن أراد الإطلاع أكثر، فعليه مراجعة كتب الإعجاز البياني للقرآن، التي كتبت منذ عهد بعيد.

إنّ علم البيان، تناول بالبحث والتحقيق كلّ واحد من الموارد التالية، بالنسبة لوقوعه في القرآن أم عدم وقوعه، وللإطلاع حول هذا الموضوع ننصح بمراجعة كتاب بديع القرآن لابن أبي الأصبغ، والموارد هي:

الجناس، الطباق، الالتفات، الاستطراد، حسن التضمين، المساواة، الإشارة، التمثيل، التوشيح، الاحتراس، الموارد، التسهيم، الاستخدام، المماثلة، التّسجيع، التكرار، التهذيب، التذليل، المجاز أو الحقيقة، الإدماج، التوسع، الإيجاز، التّدييج...

إعجاز الإخبار عن المغيّبات

أحد وجوه الإعجاز للقرآن الكريم، إخباره عن المغيّبات، ونقصد بالغيب، الأمور المخفية والمستورة، والتي لا يمكن الإطلاع عليها من خلال ما نملك من وسائل. كما لا يمكن كشفها عن طريق الفكر والحسابات المادية.

وقد ذكر القرآن في موارد متعددة أخباراً غيبية بعضها مرتبط بالحوادث الماضية،

١. البقرة: الآية ٢٤.

٢. المسد: الآية ١.

وبعضها مرتبط بزمان نزول القرآن، وبيان حال الأفراد، والبعض الآخر يخبر عن المستقبل، وسوف تشير إلى كل واحد منها:

أ- الإخبار عن الماضي: مثل الإخبار عن تأريخ الماضين وعاقبتهم، مثل قوم سبأ، يوسف، عاد، ثمود، نوح، وبقية الحوادث التي حدثت في الماضي. فقد ذكر سبحانه في سورة هود عاقبة نوح، حيث عبر عنها في آخر السورة بأنها أمور غيبية:

﴿قِيلَ يَنْبُوحُ أَهْبِطْ بِسَلَمٍ مِّنَّا وَبَرَكَتٍ... * تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ...﴾^١

الآيات المذكورة، جاءت في أواخر سورة هود، حيث عبرت عن عاقبة نوح، وإنها عبرة للآخرين، وقد أشارت أواخر الآيات إلى أن ذلك من أنباء الغيب، ولم يطلع عليه أحد.

ب- الإخبار عن الحاضر: الإخبار عن وضعية زمان الرسول ﷺ، وكذلك الإخبار عن بواطن بعض الأفراد وسرائرهم، وأغلب تلك الأخبار مرتبطة بما يحيكه الأعداء من خدع وحيل، كآلية الشريفة: ﴿...وَإِذَا جَاءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَيَنْسِفَ اللَّهُ إِلَيْهَا قَوْمَهُمْ﴾^٢

فآلية تشير إلى أحد الدسائس اليهودية، فقد قرروا أن يسلموا على الرسول ﷺ عندما يدخلون عليه خلاف التحية المعهودة، فكانوا يقولون (السَّام عليك) أي الموت لك، فأطلع الله رسوله على ذلك، وفضح تلك المؤامرة.

وكذلك جاء في الإخبار عن المغيبات في زمان الرسول ﷺ في الآية الشريفة: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾^٣

تشير الآية إلى مجموعة من المنافقين قاموا ببناء مسجد في المدينة للوصول إلى أهدافهم

١. هود: الآيتان ٤٨، ٤٩.

٢. المجادلة: الآية ٨

٣. التوبة: الآية ١٠٧.

الباطلة وغير المشروعة، والذي سُمّي فيما بعد بمسجد (ضرار)، فقد أشارت الآية إلى أن الله سبحانه قد أخبر نبيه ﷺ بهذا الأمر، فما كان من الرسول ﷺ إلا أن أمر بإحراق المسجد، وهكذا سقطت أفتنة التفاق ببركة الإطلاع على الغيب.

ج - الإخبار عن المستقبل: أخبر القرآن عن حوادث سوف تقع في المستقبل، بعضها قريب الوقوع والآخر بعيد، مثلاً:

١. الإخبار عن عدم إمكانية الإتيان بمثل القرآن، والتي جاءت في آيات التحدي حيث قال سبحانه: ﴿قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^١.

٢. خبر غلبة الروم في الآية: ﴿غَلَبَتِ الرُّومُ * فِي أَذَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ

الْمُؤْمِنُونَ﴾^٢ بعد بعثة النبي الأكرم ﷺ بسبع سنين، أي: في سنة ٦١٧ ميلادي، تصاعدت الحرب بين الفرس والروم ووصلت إلى أوجها، فقد انتصر فيها الفرس وفتحت سوريا وفلسطين ومصر، كما هددت القسطنطينية بالفتح. وأن هرقل (هراكليوس) امبراطور الروم عزم على الفرار نتيجة لتلك الظروف الصعبة، ولكن القرآن أخبر عن انتصار الروم بعد ذلك الإنكسار في مدة تقدر بين ٩.٣ سنين، حيث أعلن بشكل قاطع إن ذلك الانتصار سوف يحدث في أقل من عشر سنين، وفعلاً انتصر الروم في سنة ٦٣٦ ميلادي، وانكسر جيش فارس بقيادة شاهين.

وذكر المرحوم الطبرسي في ذيل تفسير الآية الآتفة الذكر: «وهذه من الآيات الدالة على أن القرآن من عند الله عز وجل؛ لأن فيه أنباء ما سيكون، وما يعلم ذلك إلا الله عز وجل»^٣. إن الأخبار الغيبية كثيرة في القرآن الكريم، سواء ما كان مرتبطاً بالماضي، أو الحال أو المستقبل، ويمكن أن نجملها فيما يلي:

١. الإسراء: الآية ٨٨.

٢. الروم: الآيات ٢ - ٤.

٣. مجمع البيان، ذيل آية ٣ من سورة الروم.

الأنفال ٨، الحجر ٩٥، الصّف ٩، القمر ٤٥، المسد ٢، التّوبة ٣٢، المدثر ١٢، العلق ٩، الحجر ٩، يونس ٣٧، المائدة ٦٧، غافر ٥١، الفتح ١، الأنبياء ١٨، الفتح ٢٧، القصص ٨٥، النّصر ١، النّور ٥٥، القصص ٥، الأنبياء ١٠٥، التّوبة ١٠١، آل عمران ١٤٤.

إنّ إخبار القرآن بالمغيبات يعتبر من المعاجز؛ لأنّه أخبر عن واقعة يعجز البشر أن يدلي برأيه فيها، وبالأخصّ الأخبار التي ذكرناها آنفاً، والتي كانت صادقة ولم تتخلف عن الوقوع.

سلامة النص

من جملة وجوه الإعجاز للقرآن، صيانة نصه عن أي اختلاف. وهذه المعجزة تتجلى حينما نعلم إنّ القرآن قد نزل في مدة ٢٣ سنة، في شرائط متفاوتة، وبشكل تدريجي، فلم تجر عليه أي اصلاحات بعد نزوله، متضمناً لمطالب متنوعة وموضوعات متعدّدة كالتاريخ، الحقوق، الاعتقادات، الأحكام، و...، رغم تلك الأمور العظيمة المتكررة فإنّك لا تجد فيه اختلافاً ولا تناقض في مثله خلال مدة نزوله الطويلة.

ومن جهة أخرى، نجد أنّ بعض المطالب قد تكرّرت في مناسبات مختلفة، وفي كلّ تكرار تجد هناك مسائل جديدة، مع حفظ الإنسجام في الآيات المكررة.

وقد عبّر القرآن عن وجه الإعجاز هذا بالقول: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^١.

الآية الشريفة تبيّن إنّ القرآن إذا كان من عند غير الله وكان صادراً من البشر، لوجدنا فيه التناقض وعدم الإنسجام الشّيء الكثير، بالأخصّ إذا كانت ظروفه كظروف نزول القرآن المتغيرة خلال سنوات نزوله.

فالقرآن كلام إلهي، يستقي تعاليمه من السّماء، لا تجد فيه أدنى اختلاف، بل إنّ كلماته وعباراته ومحتواه ترتبط بعضها مع البعض الآخر بشكل منطقي وموزون.

والتاريخ يشهد أنّ كلام الإنسان يتغير مع مرور الزّمان وتقادم الأيام ومقتضياتها، حتّى الكتب الجيدة في وقتها، تحتاج إلى إعادة تنظيم وإضافة بعض المطالب وحذف أخرى، وإنّ هناك من كتب أفضل، وأجمل، وأكمل، وأكثر إنسجاماً منها.

لذا فكلّ كتاب، حتّى في رأي المؤلف الذي كتبه، يحتاج إلى رفع نواقصه، وإضافة بعض المعلومات، وهكذا.

لكنّا لا نجد مثل هذا الأمر في القرآن، بل على العكس كلّما تقدّمت عليه السنون والقرون تكتشف أمور جديدة لم تكن معروفة من قبل.

وإنّ سلامة القرآن من التناقض تدلّ على أنّ هذا الكتاب هو من عند خالق الإنسان، المحيط به العارف بأحواله، فإذا تكلم عن طبيعة الإنسان وخلقته، أو تكوينه أو الشرايع اللائقة به، تراه يبيّن الأمور الواقعيّة التي يعترف بها العقلاء، والخالية من كلّ اضطراب وتزلزل.

معجزة المعارف

المحتوى والمعارف العالية من أهمّ وجوه الإعجاز للقرآن، حيث تحدّى القرآن بها الآخرين، وهي رمز خلوده، علوم ومعارف لا يمكن أن توجد في كتاب غير القرآن، حتّى في الكتب المقدّسة السّابقة لا يمكن أن تداني القرآن في معارفها.

ومن أجل أن نبيّن الإعجاز القرآني، سوف نشير أولاً إلى سعة وتنوع المعارف القرآنيّة، ثمّ نتعرّض إلى اتقانها.

تنوع المعارف القرآنيّة وسعتها

القرآن، كتاب هداية يشتمل على برنامج متكامل للإنسان، ومن أجل أن يبيّن طرق الهداية أشار إلى موضوعات متعدّدة ومطالب متنوعة، مثل التّوحيد، النّبوة، العدل، الإمامة، الرّوح، الجن، الملك وإبليس، الفلكيات، الأرض، التّاريخ، الأخلاق، الحقوق ونظام التقنين الأسري، السياسة، القضاء والقدر، العبادات، المعاملات، الواجبات، المستحبات، الحدود والقصاص، المعاد، البرزخ، القيامة... لذا فإنّ القرآن هو مرجع كلّ عالم في مجال تخصّصه.

ورغم أنّه ليس كتاباً خاصّاً مثل كتب التّاريخ، الأخلاق، السياسة... إلّا أنّه مرشداً ودليلاً لكافة العلوم، لا يدانيه كتاب في بيان المطالب؛ لأنّ مطالبه واسعة ومواضيعه متنوعة مع الإيجاز والاختصار، وليس هذا إلّا إعجاز إلهي.

اتقان المعاني

من الخصوصيّات الأخرى التي جعلت القرآن معجزة، إتقان معانيه، فلو تناول موضوعات

مختلفة ومتنوعة، ثم تكلم عن كل واحد منها بشكل واسع، لأعطى كل موضوع حقه، بلا خلل ولا نقص، بل أكثر من ذلك تجد كل عالم في مجال تخصصه يصرح بانقائ وكمال ما جاء به القرآن، ثم إن هذه المسائل لا تفقد قيمتها بمرور الوقت، بل تُكتشف مطالب جديدة وقيمة، وتضاف مسائل جديدة.

ومما يزيد انقائ المعاني وسلامتها تطابقها مع الفطرة السليمة، والعقل، لذلك قال سبحانه: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^١

إن انقائ المعاني القرآنية وثباتها وإحكامها إلى جانب سعتها، جعل القرآن يرتقي القمة في الإعجاز. وهذه المطالب العميقة والعرفانية لا يمكن أن نجدها في كتاب آخر، فإذا تناول القرآن مطالب تخص العرفان، التوحيد، والمعاد و... تجد له القدر المعلى قياساً بالكتب الأخرى، حتى لو كان ذلك الكتاب هو التوراة والإنجيل.^٢ وإليك بعض النماذج الدالة على كلامنا أعلاه.

١. في منطق القرآن، إن مبدأ الإنسان من الله، ورجوعه إليه، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾^٣ تشير هذه الآية إلى مسألة واقعية تقول: إن مبدأ وجودنا من الله والدنيا ليست خالدة، بل إن عاقبة الحياة هي العودة إلى الله سبحانه.
٢. طبقاً لما جاء في الرؤية القرآنية، الله سبحانه يراقب أعمالنا، وأنه موجود في كل مفاصل حياتنا، وأنه أقرب إلينا من حبل الوريد ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسِّسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ اقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^٤
- قيل: إن شدة البعد تلزم الخفاء، وكذلك شدة القرب توجب الخفاء أيضاً، وقد جاء هذا المطلب في الدعاء «يا من هو اختفى لفرط نوره».

١. الروم: الآية ٣٠.

٢. الكتاب المقدس: The Holy Bible.

٣. البقرة: الآية ١٥٦.

٤. ق: الآية ١٦.

٣. قيمة الإنسان بما يحمله من تقوى، هذا ما صرّح به القرآن، حيث قال تعالى: ﴿...إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَنُّكُمْ...﴾^١. تشير الآية إلى أن قيمة الإنسان ليست بالثروة ولا بالمقام.
٤. يصرّح القرآن بعدم إمكانية رؤية الله سبحانه بالعين المجردة، قال تعالى: ﴿لَّا تَدْرِيكَهُ إِلَّا بِصَرٍّ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَرَ...﴾^٢.
- فالعقل يقرّ بأن الله سبحانه لا يمكن رؤيته بالعين المجردة؛ لأن العين ترى الأجسام فقط، فلو إستطعنا رؤية الله سبحانه بأعيننا الظاهرية لصار له مكان محدّد، ومادة، في حين أن الله سبحانه: ﴿...وَأَن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ...﴾^٣.
٦. لا يخفى على الله شيء: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾^٤، فقد أشارت الآية إلى علم وقدرة الله اللامتناهية، وأنه سبحانه حاضر في كل مكان.
٧. يصرّح القرآن بأن الموت مكتوب على كل إنسان، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ...﴾^٥. فالآية تشير إلى أن مصير الإنسان هو الموت وهناك يلقي مصيره من ثواب أو عذاب.
٨. يقول القرآن في أعمال الإنسان، أن كل ما يقدّمه من عمل في سبيل الله فهو باق، وكلّ وما عمله بدافع هوى النفس زائل، قال تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ...﴾^٦.
٩. العلاقة والارتباط بين الله سبحانه والإنسان، الله سبحانه خالق الإنسان ومصدر أطمئنانه وسكون نفسه، قال تعالى: ﴿...أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾^٧.
١٠. عبادة الله هي الأصل في القرآن، فكل عمل يمكن أن يكون مقدساً ومصدّقاً لوجه

١. الحجرات: الآية ١٣.

٢. الأنعام: الآية ١٠٣.

٣. الإسراء: الآية ٤٤.

٤. آل عمران: الآية ٥.

٥. آل عمران: الآية ١٨٥.

٦. النحل: الآية ٩٦.

٧. الرعد: الآية ٢٨.

الله قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُنْطَعِمُكُمْ لَوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾^١.
والقرآن ليس فقط لا يقيّد حياة الإنسان اليومية، بل ويرفده باللذات المعنوية أيضاً، ويرشده إلى السعادة والكمال النهائي، ويحيي قلبه ويعتبر الدنيا وسيلة لبلوغ الهدف الأسمى الذي هو القرب الإلهي.
أما نظام التشريع في القرآن فهو يتناسب مع شأن ومنزلة الإنسان، وتصبّ دوماً باتجاه سعادة الإنسان وكماله.

الإعجاز الصوتي

القرآن له موسيقى خاصّة، إلى جانب ما فيه من تنوّع وسمو في المباحث الواسعة، وهذه الموسيقى لها جاذبية خاصّة، التي تكمن في الكلمات والعبارات، بحيث إنّ كلّ إنسان ينجذب إليه عند سماعه، وإنّ القرآن هو الكتاب الوحيد الذي لا يملّ عند تكرار القراءة لمرات عديدة^٢، وهو الأنشودة الوحيدة التي لا تُبلى بمرور الأزمنة.
ولحنه الخاصّ لا تجده في أيّ نثر.

وبعد إختراع المذياع (الراديو) أصبح من الممكن استلام الإذاعات عبر الهواء، لم نجد هناك ما يداني القرآن في جاذبيّته ولحنه، حتّى أنّ بعض الدّول غير الإسلامية تبث القرآن من خلال برامجها. عندما يستمع الإنسان إلى القرآن، يُدرك تماماً كم إنّ الله سبحانه عرض هذا الكتاب بصورة واضحة وجذابة^٣ بحيث عند سماعنا لألحان التّلاوة لا نشعر بالملل والكلل؛ لأنّها من النوع (الدّوري)، وليس من النوع (الخطي)، ففي النّوع الأوّل (الدّوري) تجد فيها معنويّة وهدوء خاصّ، خلافاً للنوع (الخطي) الذي يعمل على التّهيج الكاذب.

كان المشركون والكفار في صدر الإسلام، يعرضون عن حضور مجالس قراءة القرآن واستماعه، كي لا يقعوا تحت تأثيره السّاحر، فينجذبوا إليه؛ لأنّ سماع القرآن يهب الإنسان نشاطاً ويترك خشوعاً في قلبه، لا يحصل عند سماع قراءة أي كلام آخر لا نثراً ولا شعراً ولا خطبة.^٤

١. الإنسان: الآية ٥.

٢. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ٢١٤.

٣. النّبأ العظيم، ص ١٠١.

٤. اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٨٨.

وموسيقى القرآن وجاذبيته العجيبة، هي التي جعلت الوليد بن المغيرة يقول في القرآن: إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً، وَإِنَّهُ لَمُشْمَرٌ أَعْلَاهُ مَغْدُقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَلَا يَعْلَى عَلَيْهِ.^١

وقد اعتبر بعضهم، مثل السكاكي الإعجاز الصوتي ولحن كلماته من أهم معاجز القرآن، التي يمكن إدراكها، ولا يمكن توصيفها.^٢

وهذه الجاذبية هي التي جعلت البعض في صدر الإسلام يصف القرآن بأنه نوع من السحر؛ لأن استماع القرآن جعل البعض يعتقد الإسلام.

لهذا روي عن النبي ﷺ «لكل شيء حلية، وحلية القرآن، الصوت الحسن»،^٣ وكذلك جاء في رواية أخرى «حسنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً».^٤

وعلى أساس هذه الرواية، فإن القرآن يتمتع بحالة من الترجيع فاذا أذني حقه، يكون له تأثير ساحر، الأمر الذي لا تراه في حديث آخر حتى لو تلي ذلك الكلام بشكل حسن.^٥

وجاء في رواية أخرى عن رسول الله ﷺ «إن أقرأوا القرآن بالترجيع؛ لأن القرآن فيه حزن خاص: «إن القرآن نزل بالحزن، فإذا قرأتموه فابكوا، فإن لم تبكوا، فتابكوا، فتابكوا وتغنوا به، فمن لم يتغن بالقرآن فليس منا».^٦

الإعجاز العددي

إن التناسب، التساوي، والتنسيق في أعداد الكلمات والموضوعات المتشابهة والمختلفة في القرآن أمر يثير الدهشة والإعجاب.

ولا يستطيع أي إنسان أن يأتي بمثل هذا الكتاب من حيث المعنى والمحتوى السامي، والتناسب في رعاية ميزان الكلمات والألفاظ.

فالإنسان عاجز عن تنظيم مثل هذا الكتاب، أو أن يأتي بمثل هذا التناسب العجيب، الذي

١. مستدرك الحاكم، ج ٢، ص ٥٠.

٢. مفتاح العلوم، ص ٢٢١.

٣. الكافي، ج ٢، ص ٦١٢.

٤. نفس المصدر.

٥. نفس المصدر، ج ٢، ص ٦١٦.

٦. بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٩١.

نزل خلال (٢٣) عاماً، ضمن شرائط مختلفة فكل مجموعة من الآيات نزلت في حوادث خاصة، أضف إلى ذلك إنه لم يخضع إلى إصلاح في نصه بعد نزوله. وسوف نشير فيما يلي إلى تناسب ألفاظ القرآن بعضها مع البعض الآخر، من خلال بعض النماذج^١:

١. لفظة (دنيا) وكلمة (آخرة) جاءت كل منهما بشكل مساو في القرآن أي (١١٥) مرة، في حين أن لفظ (الدنيا) وردت مرة واحدة من دون إضافتها للآخرة، وكذلك لفظ (الآخرة) جاءت من دون لفظ الدنيا، كما إن هناك آيات ورد فيها اللفظان معاً.
٢. لفظ (بصر) جاءت مع مشتقاتها (١٤٨) مرة في القرآن، وهي مساوية في عددها للفظ (القلب) و(الفؤاد) ومشتقاتها.
٣. لفظ (البخل) جاءت (١٢) مرة في القرآن، وهي مساوية للفظ (الحسرة) و(الطمع) و(الجحود).
٤. لفظ (الناس) ومشتقاتها ومرادفاتها، جاءت (٣٦٨) مرة في القرآن، وهي مساوية في عددها إلى كلمة (الرسول) ومشتقاتها.
٥. لفظ (الآيات) جاءت (٣٨٢) مرة، وهي تساوي مجموع كلمة (الناس) التي وردت (٢٤١) مرة، والملائكة (٦٨) مرة و(العالمين) (٧٣) مرة.
٦. لفظ (الإيمان) ومشتقاتها (٨١١) مرة استعمالها القرآن وهي معادلة لاستعمال كلمة (العلم) مع مشتقاتها (٧٨٢) مرة بالإضافة إلى مرادفات العلم مثل: (المعرفة) (٢٩) مرة.
٧. لفظ (الإنفاق) مع مشتقاتها استعملت (٧٣) مرة في القرآن، وهي مساوية للفظ (الرضا) ومشتقاتها.
٨. لفظ (ألباب) أي العقول جاءت (١٦) مرة، وهي مساوية للفظ (الأفئدة).
٩. لفظ (الهدى) جاءت (٧٩) مرة وهي مساوية للفظ (الرحمة).
١٠. لفظ (جزاء وأجر) جاءت (١١٧) مرة، وهي نصف ما جاء في القرآن من لفظ (المغفرة) التي جاءت (٢٣٤) مرة.
١١. كلمة (الجحيم) جاءت (٢٦) مرة مساوية لكلمة (العقاب).

١. الإعجاز العددي للقرآن الكريم، ج ١، ص ٢-٣.

١٢. لفظ (البر) ومشتقاته جاءت (٢٠) مرّة مقابل لفظ (الثواب) ومشتقاته.
١٣. لفظ (الحساب) ورد (٢٩) مرّة، مقابل لفظ (العدل) و(القسط).
١٤. لفظ (الحياة) ومشتقاتها وردت في الإنسان (١٤٥) مرّة مقابل لفظ (الموت) ومشتقاتها.
١٥. كلمة (الحرث) وردت (١٤) مرّة، مساوية لمفردة (الزّرع) والفاكهة (الفاكهة).
١٦. مفردة (الحرب) ومشتقاتها وردت (٦) مرات، مساوية لكلمة (الأسرى).
١٧. لفظ (الخيانة) وردت (١٦) مرّة، متساوية مع لفظ (الخبث).
١٨. كلمة (الدّين) مع مشتقاتها وردت (٩٢) مرّة، وهي تساوي لفظ (المساجد) ومشتقاتها.
١٩. لفظ (الرّسل) (٣٦٨) مرّة، (النّبي) (٧٥) مرّة، (البشير) (١٨) مرّة، (النّذير) ٧٥ مرّة، فمجموع الأرقام المذكورة هو (٥١٨) مرّة تساوي عدد أسماء الأنبياء الّتي وردت في القرآن.
٢٠. لفظ (الرّحيم) الّذي هو من اسماء الله الحسنى ورد (١١٤) مرّة، يساوي عدد أسماء سور القرآن، وضعفي لفظ الرّحمن علماً أنّ الرّحيم، اسم عام وصفة خاصّة، على خلاف (الرّحمن) الّذي هو اسم خاص وصفة عامة.
٢١. مفردة (السّلام) ومشتقاته، (٥٠) مرّة وردت مساوية لكلمة (الطيّبات).
٢٢. لفظ (الشّهر) جاء (١٢) مرّة بقدر عدد الشّهور الّتي هي (١٢) شهراً.
٢٣. لفظ (الصّالحات) مع مشتقاته، (١٦٧) مرّة جاءت مساوية للفظ (السّيئات) ومشتقاتها.
٢٤. لفظ (الصّلاة) جاءت (٦٧) مرّة مساوية للألفاظ (النّجاة والملائكة والقرآن).
٢٥. لفظ (الطّهر) مع مشتقاتها، وردت (٣١) مرّة مساوية لكلمة (الإخلاص) ومشتقاتها.
٢٦. لفظ (العقل) ومشتقاته، (٤٩) مرّة وردت في القرآن مساوية لفظ (النّور).
٢٧. لفظ (الأبرار) وردت (٦) مرّات مساوية للفظ (الفجّار).
٢٨. لفظ (قالوا) (٣٣٢) مرّة مساوية لكلمة (قُلْ).
٢٩. لفظ (اللسان) جاءت (٢٥) مرّة مساوية لكلمة (الموعظة).
٣٠. لفظ (المصيبة) مع كلّ مشتقاتها جاءت (٧٥) مرّة مساوية لكلمة (الشّكر).
٣١. كلمة (المحبّة) مع مشتقاتها ٨٣ مرّة جاءت مساوية للفظ (الطّاعة).
٣٢. كلمة (المصير) ٢٨ مرّة ذكرت مساوية للفظ (الأبد) أي دائماً.

٣٣. لفظ (المسلمين) جاءت ٤١ مرة مساوية لكلمة (الجهاد).
٣٤. مفردة (سبع) أي العدد سبعة الذي يشير الى عدد السماوات، بين الله سبحانه هذه الحقيقة سبع مرات في القرآن، وكذلك خلق السماوات والأرضين ذكرها سبع مرات.
- سورة الفاتحة آياتها سبع آيات، وعدد كلمات الشهادتين سبعة ايضاً.
٣٥. لفظ (يوم وأيام) ومشتقاتها جاءت ٣٠ مرة مساوية لأيام الشهر.
- نكتفي بهذا المقدار من الإعجاز العددي لألفاظ القرآن، رغم وجود الكثير من هذه النماذج في القرآن.
- إنَّ انسجام الكلمات والالفاظ بشكل مساوي، أو من مضاعفات العدد، أو ... يعتبر من معاجز القرآن، كما أننا لو راجعنا الحروف في السور القرآنية نجد أنها منسجمة ومتناسبة مع بعضها البعض، بالأخص في السور التي تبدأ بالحروف المقطعة، فمن المعروف ان هناك تناسباً وانسجاماً خاصاً بين الحروف المقطعة للسور وبين حروف السورة نفسها.

الجدول الزوجي والفردى للقرآن

من جملة الإعجاز العددي للقرآن، الإعجاز المعنوي على الزوجية والفردية في القرآن.^١

والتي يمكن أن يتجلى في عدد سور القرآن فإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار عدد السور في القرآن لوجدناها (١١٤) سورة، نصفها زوجي والآخر فردي.

وإن (٦٠) سورة من القرآن عدد آياتها ينتهي بعدد زوجي، بينما (٥٤) سورة عدد آياتها ينتهي بعدد فردي.

فتركيب الجدول الزوجي يتكون من (٣٠) سورة بآيات زوجية و(٢٧) سورة بآيات فردية.

ويتشكل الجدول الزوجي من (٣٠) سورة آياتها زوجية و(٢٧) سورة آياتها فردية، وإليك هذا الجدول:

أ- الجدول الزوجي للقرآن: يتشكل الجدول الزوجي من (٣٠) سورة من سور القرآن، تعداد آياتها زوجي و(٢٧) سورة تعداد آياتها فردي؛ لأن جمع آيات السور مع رقم السورة يشكل الجدول الزوجي:

١. بيانات (اعجاز رياضي زوج وفرد در قرآن كريم) السنة الثالثة، العدد ١، ربيع ١٣٧٥.

التسلسل	اسم السّورة	آيات السّورة الزّوجيّة	رقم السّورة	جمع الآيات مع رقم السّورة
١	البقرة	٢٨٦	٢	٢٨٨
٢	النّساء	١٧٦	٤	١٨٠
٣	إبراهيم	٥٢	١٤	٦٦
٤	النحل	١٢٨	١٦	١٢٤
٥	الكهف	١١٠	١٨	١٢٨
٦	الحج	٧٨	٢٢	١٠٠
٧	التّور	٦٤	٢٤	٨٨
٨	القصص	٨٨	٢٨	١١٦
٩	الرّوم	٦٠	٣٠	٩٠
١٠	السّجدة	٣٠	٣٢	٦٢
١١	سبا	٥٤	٣٤	٨٨
١٢	ص	٨٨	٣٨	١٢٦
١٣	الواقعة	٩٦	٥٦	١٥٢
١٤	المجادلة	٢٢	٥٨	٨٠



١٥	التَّغَابُن	١٨	٦٤	٨٢
١٦	التَّحْرِيم	١٢	٦٦	٧٨
١٧	القلم	٥٢	٦٨	١٢٠
١٨	المعارج	٤٤	٧٠	١١٤
١٩	الجن	٢٨	٧٢	١٠٠
٢٠	المدثر	٥٦	٧٤	١٣٠
٢١	النَّبَأ	٤٠	٧٨	١١٨
٢٢	عبس	٤٢	٨٠	١٢٢
٢٣	الغاشية	٢٦	٨٨	١١٤
٢٤	البلد	٢٠	٩٠	١١٠
٢٥	الإنشراح	٨	٩٤	١٠٢
٢٦	البيّنة	٨	٩٨	١٠٦
٢٧	التكاثّر	٨	١٠٢	١١٠
٢٨	قريش	٤	١٠٦	١١٠
٢٩	الإخلاص	٤	١١٢	١١٦
٣٠	النَّاس	٦	١١٤	١٢٠

التسلسل	اسم السّورة	آيات السّورة الزّوجية	رقم السّورة	جمع الآيات مع رقم السّورة
١	الفاتحة	٧	١	٨
٢	التّوبة	١٢٩	٩	١٣٨
٣	هود	١٢٣	١١	١٣٤
٤	الرّعد	٤٣	١٣	٥٦
٥	الحجر	٩٩	١٥	١١٤
٦	الإسراء	١١١	١٧	١٢٨
٧	الفرقان	٧٧	٢٥	١٠٢
٨	النّمل	٩٣	٢٧	١٢٠
٩	العنكبوت	٦٩	٢٩	٩٨
١٠	الأحزاب	٧٣	٣٣	١٠٦
١١	فاطر	٤٥	٣٥	٨٠
١٢	الزّمر	٧٥	٣٩	١١٤
١٣	الزّخرف	٨٩	٤٣	١٣٢

١٤	الجاثية	٣٧	٤٥	٨٢
١٥	الحديد	٢٩	٥٧	٨٦
١٦	المنافقون	١١	٦٣	٧٤
١٧	التكوير	٢٩	٧١	١١٠
١٨	الأعلى	١٩	٨٧	١٠٦
١٩	الشمس	١٥	٩١	١٠٦
٢٠	الضحى	١١	٩٣	١٠٤
٢١	القدر	٥	٩٧	١٠٢
٢٢	القارعة	١١	١٠١	١١٢
٢٣	العصر	٣	١٠٣	١٠٦
٢٤	الفيل	٥	١٠٥	١١٠
٢٥	الماعون	٧	١٠٧	١١٤
٢٦	المسد	٥	١١١	١١٦
٢٧	الفلق	٥	١١٣	١١٨

الملاحظة المهمة على الجدول الزوجي للقرآن هي إن حاصل جمع كل الجدول الزوجي للقرآن هو (٦٢٣٦)، وهو ما يساوي عدد آيات القرآن.

ب - الجدول الفردي للقرآن: «الجدول الفردي للقرآن»: يتكون من (٣٠) سورة من

السُّورُ الَّتِي تَعْدَادُ آيَاتُهَا زَوْجِي (٢٧) سُورَةٌ مِنَ السُّورِ الَّتِي تَعْدَادُ آيَاتُهَا فَرْدِي
لأنَّ جَمْعَ آيَاتِ السُّورِ مَعَ رَقْمِ السُّورَةِ، يَتَشَكَّلُ مِنْهُ الْجَدُولُ الْفَرْدِي لِلْقُرْآنِ كَمَا يَلِي:

التسلسل	اسم السورة	آيات السورة الزوجية	رقم السورة	جمع آيات مع رقم السورة
١	آل عمران	٢٠٠	٣	٢٠٣
٢	المائدة	١٢٠	٥	١٢٥
٣	الأعراف	٢٠٦	٧	٢١٣
٤	مريم	٩٨	١٩	١١٧
٥	الأنبياء	١١٢	٣١	١٣٣
٦	المؤمنون	١١٨	٢٣	١٤١
٧	لقمان	٣٤	٣١	٦٥
٨	الصافات	١٨٢	٣٧	٢١٩
٩	فصلت	٥٤	٤١	٩٥
١٠	محمد	٣٨	٤٧	٨٥
١١	الحجرات	١٨	٤٩	٦٧
١٢	الذاريات	٦٠	٥١	١١١
١٣	النجم	٦٢	٥٣	١١٥

١٣٣	٥٥	٧٨	الرَّحْمَن	١٤
٨٣	٥٩	٢٤	الحشر	١٥
٧٥	٦١	١٤	الصَّف	١٦
٧٧	٦٥	١٢	الطَّلَاق	١٧
٩٧	٦٧	٣٠	الملك	١٨
١٢١	٦٩	٥٢	الحاقة	١٩
٩٩	٧١	٢٨	نوح	٢٠
٩٣	٧٣	٢٠	المزمل	٢١
١١٥	٧٥	٤٠	القيامة	٢٢
١٢٧	٧٧	٥٠	المرسلات	٢٣
١٢٥	٧٩	٤٩	النَّازِعَات	٢٤
١١٩	٨٣	٣٩	المطففين	٢٥
١٠٧	٨٥	٢٢	البروج	٢٦
١١٩	٨٩	٣٠	الفجر	٢٧
١٠٣	٩٥	٨	التين	٢٨
١٠٧	٩٩	٨	الزَّلْزَلَة	٢٩
١١٥	١٠٩	٦	الكافرون	٣٠

التسلسل	اسم السّورة	آيات السّورة الفردية	رقم السّورة	جمع الآيات مع رقم السّورة
١	الأنعام	١٦٥	٦	١٧١
٢	الأنفال	٧٥	٨	٨٣
٣	يونس	١٠٩	١٠	١١٩
٤	يوسف	١١١	١٢	١٢٣
٥	طه	١٣٥	٢٠	١٥٥
٦	الشّعراء	٢٢٧	٢٦	٢٥٣
٧	يس	٨٣	٣٦	١١٩
٨	غافر	٨٥	٤٠	١٢٥
٩	الشّورى	٥٣	٤٢	٩٥
١٠	الدّخان	٥٩	٤٤	١٠٣
١١	الأحقاف	٣٥	٤٦	٨١
١٢	الفتح	٢٩	٤٨	٧٧
١٣	ق	٤٥	٥٠	٩٥
١٤	الطّور	٤٩	٥٢	١٠١
١٥	القمر	٥٥	٥٤	١٠٩

١٦	المتحنة	١٣	٦٠	٧٣
١٧	الجمعة	١١	٦٢	٧٣
١٨	الإنسان	٣١	٧٦	١٠٧
١٩	الإنفطار	١٩	٨٢	١٠١
٢٠	الإنشقاق	٢٥	٨٤	١٠٩
٢١	الطارق	١٧	٨٦	١٠٣
٢٢	الليل	٢١	٩٢	١١٣
٢٣	العلق	١٩	٩٦	١١٥
٢٤	العاديات	١١	١٠٠	١١١
٢٥	الهمزة	٩	١٠٤	١١٣
٢٦	الكوثر	٣	١٠٨	١١١
٢٧	النصر	٣	١١٠	١١٣

المسألة المهمة في الجدول الفردي للقرآن هي إن حصل جمع كل الجدول الفردي هو (٦٥٥٥) وهو ما يعادل جمع أرقام السور القرآنية.

والجدول الزوجي والفردي للقرآن يشتمل على (٥٧) سورة كل منها يتضمن (٣٠) سورة زوجية و(٢٧) سورة فردية.

ومن مجموع (٦٠) سورة زوجية قرآنية نصفها في الجدول الزوجي، والنصف الآخر في الجدول الفردي.

ومن مجموع (٥٧) سورة فردية، نصفها في الجدول الفردي، والنصف الآخر في الجدول الزوجي، وهذا دليل على (الإعجاز العددي) للقرآن الكريم.

الإعجاز العلمي للقرآن

قال الله سبحانه في وصفه للقرآن الكريم ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^١، فالآية تشير إلى أن القرآن كتاب هداية وحكمة، جاء لتربية الإنسان، لذا قال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَزَكَرَاتِهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...﴾^٢.

إن هدف القرآن تربية الإنسان، فمطالبه تصب في مجال تنمية وتكامل الإنسان نحو المراتب العالية، لذلك أشار سبحانه لبعض المطالب العلمية وأسرار الوجود والكائنات والموجودات، الدالة على الإعجاز العلمي للقرآن، وإن المسائل العلمية التي أشار إليها القرآن لم يكن بالإمكان فهمها في ذلك العصر إلا عن طريق الوحي، أو من خلال التطور والتقدم العلمي للبشرية. وإن ما جاء من مسائل علمية في القرآن أثار دهشة العلماء، فكيف استطاع القرآن أن يذكر هذه المسائل قبل أكثر من (١٤٠٠) عام.

ومن جملة المسائل العلمية التي يمكن الإشارة إليها: (مسألة الزوجية) (الرياح واللقاح)، (كل شيء موزون)، (الأرض كالمهد)، (دحو الأرض)، (نمو الجنين)، (الماء أصل الحياة)، (حركة الأفلاك)،^٣ وسوف نتناول كل واحد منها باختصار:

١. الزوجية في القرآن

يشير القرآن الكريم في بعض الموارد إلى زوجية الأشياء، قال سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ...﴾^٤ وقال في مكان آخر: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^٥.

يشير سبحانه في الآيات المذكورة إلى وجود الزوجية في الأشياء، حيث بين أن الزوجية

١. البقرة: الآية ٢.

٢. آل عمران: الآية ١٦٤.

٣. راجع: إعجاز علمي قرآن، القسم الثالث والرابع.

٤. الرعد: الآية ٣.

٥. الذاريات: الآية ٤٩.

موجودة في حياة الإنسان، الحيوان، النبات، وحتى الجماد، وجميعها تتكون من ذكر وانثى، ويتكاثرون عن طريق اللقاح، فإذا كان العالم السويدي المعروف (لينه) قد اكتشف مسألة الزوجية في النباتات في القرن الثامن عشر الميلادي، حيث قال إن النباتات تتكاثر كالحوانات عن طريق الذكر والأنثى^١ فإن القرآن الكريم قد أشار إلى هذه الحقيقة قبل أربعة عشر قرناً.

الزوجية موجودة في كل الأشياء، ومن جملة الأشياء (الذرة)، فقد تبين اليوم إن الذرة تشمل على أجزاء متعددة، جزء منها يحمل الشحنة السالبة وهو (الإلكترون)، وأجزاء أخرى تحمل الشحنة الموجبة وتسمى (البروتون).^٢

من الممكن أن يكون المقصود من الزوجية، الجنسان المتقابلان مثل: الليل والنهار، السماء والأرض، البر والبحر، الشمس والسماء، الجن والإنس، الليونة والخشونة، النور والظلمة... كما جاء في الرواية عن الإمام الرضا عليه السلام:

خلق الله الأشياء أزداداً لكي يعلم أن لا ضد له، وجعل لها قريناً كي يعلم أن لا قرين له، ضاد النور بالظلمة، والجفاف بالرطوبة، والصرد بالحور، والخشونة بالليونة، دالة بتفريقها على مفرقها، وبتأليفها على مؤلفها، وذلك قوله: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾^٣.

٢. الرياح لواقع

قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ...﴾^٤ تشير الآية الشريفة الى حاجة بعض الأشجار إلى حبيبات اللقاح من أجل تكاثرها، لهذا قال سبحانه إن الرياح لواقع، فالآية يمكن أن تكون إشارة إلى تلقيح النباتات بواسطة الرياح، التي تلعب دوراً مهماً في انتقال مادة اللقاح الذكرية وتكاثر النباتات، وكذلك يمكن أن تكون الآية إشارة إلى دور الغيوم في التلقيح، والتي

١. تفسير نمونه، ج ١ ص ١١٥.

٢. نفس المصدر، ج ٢٢، ص ٣٧٦.

٣. نور الثقلين، ج ٥، ص ١٣٠.

٤. الذاريات: الآية ٤٩.

٥. الحجر: الآية ٢٢.

تؤدي إلى نزول المطر، كما جاء في الآية كلام حول نزول المطر أيضاً.

٣. كل شيء موزون

قال الله تعالى ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ﴾^١
ورد في الآية الشريفة أن: كل ما على الأرض، له وزن خاص، بحيث لو زادت على بعض أجزائه شيء أو نقص منه شيء، يظهر تركيب آخر.
فالآية تشير إلى الحساب الدقيق المتناسب في جميع النباتات، والآية رغم ورودها في النباتات خاصة، إلا إن هذا لا يمنع من سريانها لتشمل كل الموجودات حتى الإنسان والحيوان و...

٤. الأرض مهداً

قال تعالى ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا...﴾^٢
شبه الله سبحانه الأرض بالمهد، المهيأ للجلوس والنوم والراحة، وكأن الإنسان طفل أعد الله له الأرض مهداً، وهياً له كافة الوسائل التي تريحه وتجلب له الإطمئنان.
في الآية الشريفة جعل الله الأرض مهداً للاستقرار والاطمئنان، وإن حركتها الوضعية والانتقالية هادئة جداً، بحيث يستطيع العيش على ظهرها براحة وأمان ببركة الجاذبية، وكذلك الطبقة الغازية العظيمة التي تحيط بالأرض، فقد أشار سبحانه في الآية المذكورة إلى حركة الأرض، وأشار أيضاً إلى استقرار الإنسان عليها؛ لكي يتمكن من العيش على ظهرها وينمو ويدع.^٣

٥. بسط الأرض

قال سبحانه ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحْنًا﴾^٤

١. الحجر: الآية ١٩.

٢. طه: الآية ٥٣.

٣. تفسير نمونه، ج ١٣، ص ٢٢٢.

٤. النازعات: ٣٠.

كلمة (دحو) بمعنى الانبساط، ويقصد بدحو الأرض إنها كانت في البداية مغطاة بمياه الأمطار الغزيرة التي أنهمرت عليها مدة طويلة، ثم استقرت تلك المياه تدريجياً في منخفضات الأرض، فشكّلت البحار والمحيطات فيما عَلت اليابسة أطرافها، وتوسعت تدريجياً حتّى وصلت إلى ما هي عليه الآن من شكل.^١

وأشاروا أيضاً إلى مسألة بسط الأرض وشكلها الكروي، حيث قالوا إن هذا الانبساط لا يخصّ الأرض، فقط بل يشمل حتّى السماوات، يقول تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾^٢ الآيات المذكورة تشير إلى اتساع الكون؛ لأن الكرة الأرضية تصبح أكبر نتيجةً للجاذبية السماوية، وكذلك السماوات تتوسع أيضاً بسبب سرعة المجرات ودورانها يقول (جورج جامون) في كتاب خلق العالم: «إنّ فضاء العالم المتشكل من مليارات المجرات في حالة توسّع سريعة».^٣

٦. أدوار الجنين

قال الله سبحانه: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ * خُلِقَ مِنْ مَّاءٍ دَافِقٍ * تَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾^٤.

تشير الآية الشريفة إلى تكوّن الجنين وآنه مخلوق من ماء دافق، وكلمة (دافق) تدلّ على الخروج بشكل دفعي، وتضيف الآية أنه يخرج من بين الصلب والترائب.

وفي آية أخرى يقول سبحانه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ...﴾^٥

الإنسان خَلَقَهُ الله من نطفة مختلطة، ربّما تكون إشارة إلى تركيب النطفة من اختلاط نطفة الرّجل والمرأة. وتعبير (أمشاج) يشير إلى تطوّرات النطفة في المراحل الجنينية. إن وجود النطفة وتركيبها، والمراحل المختلفة لنمو الجنين تعتبر من عجائب الخلقة.

١. تفسير نمونه ج ٢٦، ص ١٠٠ وج ٢٢ ص ٣٧٤.

٢. الذاريات: الآية ٤٧.

٣. آغاز وانجام جهان، ص ٧٤، نقلاً عن تفسير (نمونه)، ج ٢٢، ص ٤٧٢.

٤. الطارق: الآيات ٥-٧.

٥. الإنسان: الآية ٢.

إن الجنين يسبح في كيس كبير فيه ماء غليظ... له خاصية مقاومة لكل ما يقع على بطن المرأة من ضربات، وتحمل حركات الأم الشديدة، بالإضافة إلى ذلك فإنه يحفظ الجنين بمعدل حراري ثابت، لا تؤثر فيه تغيرات الحرارة الخارجية بسرعة، والجدير بالذكر إن الكيس يجعل الجنين عديم الوزن، ويمنع من ضغط أعضاء الجنين بعضها على البعض الآخر مما يسبب ضرراً على الجنين.^١

قال الله سبحانه في سورة القيامة: ﴿أَتَحْسَبُ الْإِنْسَنُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى * أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُُمْنًى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوًى﴾^٢.

تكلم القرآن عن الجنين، وكيفية نموه والمراحل التي يمر بها، في وقت لم تُكتشف فيه تلك المراحل، فقد أشار سبحانه إلى بيان مراحل الجنين بقوله:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ * ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ * ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾^٣.

ذكرت الآيات المذكورة المراحل العجيبة لنمو الجنين في رحم الأم والتغيرات الحاصلة في كل مرحلة من مراحل نموه.

وقد أكد علم الأجنة المراحل التي ذكرها القرآن آنذاك، فبعد أن يمر الجنين بمرحلة (العلقة) و(المضغة)، تتبدل خلاياه إلى خلايا كبيرة، ثم تكسى العظام بالعضلات واللحم شيئاً فشيئاً، وقد عبر الله سبحانه عن تلك المرحلة (فكسونا العظام لحماً)، يعني: أخرجنا المضغة من حالة العظام.

وفي المرحلة الأخيرة، يشير إلى المرحلة الأخيرة ﴿...ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ...﴾ في نموه وهي مرحلة نفخ الروح بالجنين، ومنذ ذلك الوقت يصبح الجنين ذو روح.^٤

١. تفسير نمونه ج ٢٥، ص ٣٤٠.

٢. القيامة: الآيات ٣٦ - ٣٨.

٣. المؤمنون: الآيات ١٢ - ١٤.

٤. الميزان ج ١٥، ص ٢٠.

٧. أصل الحياة، الماء

يقول سبحانه وتعالى: ﴿...وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾^١ تشير الآية الشريفة إلى أن الأصل العلمي لكل شيء في الحياة هو الماء، وتفصيله: إن حياة كل الموجودات - أعم من النباتات والحيوانات - من الماء^٢ وأن القسم المهم من بدن الإنسان وكثير من الحيوانات تتشكل من الماء.

والقرآن عندما يعبر عن خلق الإنسان من التراب والطين، فهو يشير إلى التركيب نفسه الذي أعد من الماء والتراب.

قال سبحانه ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَّاءٍ...﴾^٣ ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا...﴾^٤ والتي تشير إلى أن أصل خلق الإنسان من الماء، وأن بداية الحياة نشأت من الماء.

٨. حركة الافلاك

قال تعالى ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^٥ الآية المذكورة تشير إلى حركة المجرات العائمة في الفضاء، والمقصود من حركة الشمس، الحركة الدائرية حول نفسها أو حركتها مع المنظومة الشمسية. قيل إن المجرات في حالة حركة دائمة، وقد اكتشف العلم بعض تلك الحركات، لكن القرآن الكريم أشار إليها قبل (١٤٠٠) عام.^٦

ومن العجيب أيضاً حركة الشهب باتجاه الكرة الأرضية، والسيطرة عليها بواسطة القوى والغازات المحيطة بالأرض والكواكب الأخرى.

يقول (موريسين): لو كان الجو المحيط بالكرة الأرضية أرق قليلاً من الموجود الآن، لوصلت الأجرام السماوية والشهب - التي تصيب الأرض ملايين المرات في اليوم وتحترق

١. الانبياء: الآية ٣٠.

٢. مجمع البيان، ج ٧ ص ٧٢.

٣. التور: الآية ٤٥.

٤. الفرقان: الآية ٥٤.

٥. الانبياء: الآية ٣٣.

٦. تفسير نمونه، ج، ص ٤٠٠.

وتتهشم عند دخولها المجال الجوي _ الكرة الأرضية وأصابت كل زاوية منها ولصارت الحياة مستحيلة على وجه الأرض.^١

هل من الصحيح تطبيق الآيات القرآنية على الاكتشافات العلمية؟

في الرد على هذا السؤال يجب الإشارة إلى رأيين مختلفين ليتضح الجواب:
أولاً: الإفراطيون الذين يرون إمكانية تطبيق الآيات القرآنية على الاكتشافات العلمية ونظرياتها، إذا كان هناك أدنى مناسبة بين الآية وبين النظرية العلمية، وإن لم تكن الفرضيات حقائق مسلمة، وهم يعتقدون أنهم يسدون خدمة كبيرة للإسلام ومعارف القرآن، مع أن هذا الرأي غير صحيح، لأن الفرضيات العلمية دائماً في حالة تغير وتحول، والقرآن ثابت. لذا فإن تطبيق المعارف القرآنية على أمور متغيرة، ليس منطقياً، ولا يخدم العلم ولا للدين. وفي مقابل هذه المجموعة، هناك آراء تفريضية، ترى بأنه لا يحق لنا تطبيق المسائل العلمية على الآيات القرآنية حتى لو كانت مسلمة وقطعية وحتى لو كانت تلك الآيات صريحة. وهذا أيضاً تعصب غير منطقي، لأن الموارد التي خرجت عن حالة الفرض وصارت مسلمة وقطعية طبقاً لرأي العلماء، وعليها دليل من الآيات القرآنية، فما المانع من تطبيقها لتبين عظمة القرآن الكريم في المسائل العلمية. إلاً أنه يجب أن يكون التطبيق صحيحاً، وذلك من خلال الاستفادة من الألفاظ، كالاتفادة من القواعد الأدبية في استنباط المعاني.

التذكير ببعض النقاط

من الممكن أن يخطر في الذهن بعض الأسئلة حول إعجاز القرآن، وسوف نطرح بعضها ونحاول الإجابة عليها في هذا القسم:

س: هل إن ادعاء المعجزة موجود في القرآن نفسه؟ أم إن المسلمين هم إستنبطوه منه؟
ج: ذكر القرآن أنه معجزة، من خلال آيات التّحدي، وأنه كتاب خارق للعادة ولا يمكن للبشر أن يأتوا بمثله.

- س: هل يمكن أن يكون بعض القرآن معجزة أيضاً؟
- ج: بما أن كل القرآن معجزة، فإنّ بعضه معجزة أيضاً، وسورة واحدة معجزة أيضاً، وفي آيات التحدي ورد هذا المعنى وذلك من خلال التحدي بالإتيان بسورة واحدة.
- س: هل أن إعجاز القرآن ينحصر في وجه واحد؟
- ج: إعجاز القرآن لا ينحصر بوجه واحد، ومن الممكن أن يدرك كلّ عالم في مجال الإعجاز من خلال تخصّصه ومع ذلك يعتقد العلماء المسلمون إنّ الإعجاز يشمل كلّ الوجوه بعضها مع البعض الآخر، ولا يختص في وجه واحد.
- س: لماذا يخلو القرآن من الشّعْر؟
- ج: قيل في تعريف الشّعْر إنّ: (أحسنها أكذبها)، أي أنّ أفضل الأشعار أكثرها خيالاً وكذباً، وهذه الخاصية لا تليق بشأن القرآن ولا منزلته الرفيعة.
- ففي الشّعْر إفراط في المدح ومبالغة في الذمّ، وتبيين الباطل على أنّه حقّ و...، وهذا لا يتناسب مع القرآن باعتباره كتاب هداية.
- س: أين يكمن إعجاز الكتب السماوية الأخرى؟
- ج: لم تكن الكتب السماوية الأخرى مثل التّوراة والإنجيل و... معجزة من جهة الفصاحة والبلاغة، ولم تصرّح بالتحدي كما صرّح القرآن، ولم تصل إلى مكانة القرآن من حيث حسن التّرتيب فإذا شاهدنا فيها أخبار الغيب، أو امتياز من جهة أخرى، يمكن أن نُطلق عليه معجزة، ولكن هذه المعجزة في زمانها فقط، أمّا القرآن فهو معجزة حيّة في كلّ عصر و زمان، ومعجزة القرآن من كلّ الجهات، لا من جهة واحدة.
- ومن الجدير ذكره إنّ (الكتاب المقدس)^١ الذي يشمل التّوراة والإنجيل، قد تعرّض للتحريف ويحتوي مطالب غير صحيحة، مثل نسبة الكذب إلى الله^٢ جهل الله^٣، نسبة الحسد لله^٤ نسبة الجسميّة لله^٥ و...

1. The Holy bible.

٢. كتاب مقدس، سفر التكوين الإصحاح الثاني الفقرة ١٧.

٣. نفس المصدر، الإصحاح الثالث، الفقرة ٩.

٤. نفس المصدر، الفقرة ٢٢.

٥. نفس المصدر، الفقرة ٨.

رأي بعض المستشرقين في إعجاز القرآن^١

يقول الدكتور (واكليري) الأستاذ في جامعة نابل: «كتاب الإسلام السماوي، نموذج للإعجاز، ولا يمكن تقليده، فكيف يمكن لمحمد الإتيان بمثل هذا الكتاب المعجز، وهو لم يدرس عند أحد، فنحن نشاهد هذا الكتاب مخزن لكثير من العلوم التي لا يمكن لبشر أن يأتي مثلها مهما كان ذكياً أو فيلسوفاً عظيماً، أو سياسياً محنكاً».

ويقول (كارلايل) في القرآن:

إذا ألقينا نظرة على القرآن ولو مرة واحدة، تتجلى لنا الحقائق الرائقة وخصائص وأسرار الوجود بالشكل الذي يبين مضامينه الجوهرية، ودقائق الحقائق القرآنية، كما يليق بالقرآن، وهذا بحد ذاته مزية كبرى أنفرد بها القرآن، لا تجدها في كتاب علمي أو سياسي واقتصادي آخر.

نعم هناك بعض الكتب ترك أثراً عميقاً عند قراءتها، ولكنها لا تصل إلى مستوى القرآن في تأثيره، فلا يمكن مقايستها معه.

يقول (جان ديون بورت):

القرآن مبرأ ومنزه من كل عيب ونقص، ولا يحتاج لتصحيح أو إصلاح، وتستطيع أن تقرأه من أوله إلى آخره دون أن تشعر بأي نوع من الملل.

ويضيف في مكان آخر:

سنين متطاولة والقساوسة يغطون في نوم عميق بعيدين عن الله، وكانوا يمنعونا من اتباع الحقائق القرآنية، المقدسة بعيدين عن ماجاء به محمد. وكلما خطونا خطوة باتجاه العلم، انقشعت عنا حُجُب الجهل والتعصب المقيت، وفي القريب العاجل سوف تشاهدون هذا الكتاب (القرآن) قد جذب إليه العالم، ويترك أثراً عميقاً في العلم والمعرفة ويكون محور أفكار الناس.

يقول (جول لا بوم) الفرنسي:

لقد اكتسبنا العلم من المسلمين، أما المسلمون فقد أخذوا علومهم من القرآن فهو بحر لا يتزف.

ويكتب (دينورت):

من الواجب الاعتراف بأن العلوم الطبيعية، والفلكية، والفلسفية، والرياضيات الشائعة في الوقت الحاضر في أوروبا، هي من بركات التعليمات القرآنية، فنحن مدينون للمسلمين، بل أوروبا كلها مدينة للإسلام من هذه الناحية.

يقول (نولدكه) المستشرق المشهور: «القرآن خطف قلوب المخالفين وجذبها إليه».

وعندما سُئل (هربرت جورج ونو) الكاتب الإنجليزي المعروف، من قبل إحدى المجلات الأوربية عن رأيه في أعظم كتاب أثر فيه منذ بداية التأريخ وحتى الوقت الحاضر.

أجاب بذكر أسماء بعض الكتب، إلا أنه قال في ختام حديثه
أما الكتاب الرابع فهو القرآن؛ لأن التأثير الذي أحدثه هذا الكتاب السماوي في العالم، لا تجد له نظيراً بين الكتب الأخرى.

ثم أضاف:

القرآن كتابٌ علمي، وديني، واجتماعي، وتهديبي، وأخلاقي، وتاريخي، وإن مقرراته وأحكامه متناسبة دائماً مع أصول وقوانين ومقررات عالما اليوم.
وكل من يختار ديناً يتماشى مع التمدن البشري وتطوره، عليه أن يختار الإسلام، وإذا أراد أن يحيط بهذا الدين ويعرف عليه، فعليه بالقرآن.

يقول (وليز)، من كبار الكتاب الإنجليز:

كل دين لا يساير المدنية والتطور، فاضربوه عرض الجدار، لأن الدين الذي لا يساير المدنية والتحضر دين متخلف، ومصيره إلى الزوال. أما الدين الحق الذي يساير المدنية فهو الإسلام، وكل من يريد أن يدرك هذه الحقيقة، فعليه بمراجعة القرآن وما فيه من علم وقانون ونظام اجتماعي، فالقرآن كتاب ديني، علمي، اجتماعي وتاريخي، وإذا قيل لي ما هو تعريفك للإسلام، قلت: الإسلام هو التمدن الواقعي للبشر.

يقول أحد كبار علماء الهند:

نحن نريد أن نعرف، من أعطى هذه القدرة العجيبة لهذا الرجل العربي؟ ومن أين جاء بقوة البيان ونفوذ الكلمة؟ وبأي وسيلة استطاع أن يفك قيد العبودية عن الإنسان؟... لا زالت دولة الهند مبتلاة بالخمر وشراب المسكرات والنصائح التي أخذناها عن كبار حكماء الهند لم تترك أي أثر في الحد من شرب الكحول...

أما محمد، الذي حرّم الشراب، فقد قام اتباعه بكسر أواني الخمر أينما وجدوها... يا محمد يا أيها النبي الحق، الذي استقيت قوتك من مصدر الجلال والعظمة الإلهية وعالم الغيب والأبدية، دعني أنحني أمام عظمتك بكل تواضع.

(دكتور ماردريس) الذي قام بترجمة (٦٣) سورة من القرآن إلى الفرنسية طبقاً لأوامر وزارة الثقافة الفرنسية، فقد ترجمها بمشقة شديدة خلال تسعة أعوام، وقام بنشرها عام (١٩٢٦) ميلادي.

يقول في مقدمة كتابه:

لا شك أن أسلوب القرآن هو أسلوب كلام الله، فهو يشتمل على كنه الوجود الصادر عنه، ومن المستحيل أن يكون غير الأسلوب الربوبي الإلهي... ومن العبث أن يسمى

الإنسان أن يأتي بمثل هذا النثر الذي لانظير له، أو يؤدي حقّه، وبالأخص باللغة الفرنسية التي هي لغة محدودة جداً.

وجاء في التأريخ العام (الآلبرت ماله):

القرآن كتاب في منتهى الروعة والجلالة، يقوم مقام جميع الكتب، ويشتمل على جميع العلوم، بالأخص احتواءه على القانون الاجتماعي، كما أنه يشتمل على القانون الديني.

يقول (عبد الباقي سرور):

المجتمعات الأوربية، تحرّرت بشكل لافت للنظر، وعندما دعا مجمع الحقوق المقارن التابع للدولة عام (١٩٥١م) إلى عقد لجنة لبحث الحقوق الإسلامية في كلية الحقوق جامعة باريس، تحت عنوان «اسبوع الفقه الإسلامي»، دعوا خلالها مجموعة من المستشرقين وأساتذة الحقوق والقانون من الدول الأوربية والإسلامية، وفي نهاية الاسبوع، تحدّث كبار العلماء مثل رئيس المحامين في باريس، فوجّه خطاباً مؤثراً وحامساً لصالح القوانين الإسلامية، وقد صدرت آنذاك قرارات بالإتفاق تنصّ على أنّ حقوق وقوانين الإسلام صالحة لجميع الأزمنة والأمكنة وهي تلبّي جميع مستلزمات الحياة، فالإسلام من هذه الناحية غني جداً، وعنده ثروة حقوقية وقانونية هائلة.

علاوة على الأفراد الذين ذكرناهم آنفاً، هناك العديد من المستشرقين لهم دراسات في القرآن، أكّدوا فيها على عظمة القرآن، لا مجال لبيان ذلك.^١

المعارضون لإعجاز القرآن

ينقل التأريخ لنا إنّ هناك بعض المعاندين يقفون دائماً بوجه انتشار الدّعوة، ويصرفون الثروات الهائلة التي جباهم الله بها في الصدّ عن ذكر الله وإطفاء نور الحقّ.

وهناك من وقفوا بوجه الإسلام عندما انتشر نوره، فحاربوا الحقّ ووقفوا بوجه القرآن وادّعوا: إنّنا يمكن أن نأتي بمثل القرآن، لأنّه ليس كتاب خارق للعادة ولا بالمعجز، وليس وحياً الهيّاً، بل هو كلام بشر، والبشر يستطيع أن يأتي بمثله.

وقد تجاوز بعضهم الحدود حيث عرّف نفسه بأنّه نبي مرسل من الله، ففضّحهم التأريخ على الملأ العام.

وللتعرف على أفكار هؤلاء وأهدافهم، سوف نتناول بعض منهم، فكلّ واحد منهم كان ماهراً في الخطابة والبلاغة، لكنهم فشلوا وانكسرت شوكتهم عندما وقفوا بوجه القرآن.

١. مسيلمة الكذاب

مسيلمة كان من قبيلة بني حنيفة، آمن بالرسول ﷺ في عهده، لكنه بعد فترة ارتد عن الإسلام، مدّعيًا النبوة، وخرج على الرسول ﷺ في اليمامة وكذّب رسالته. وقيل: إن مسيلمة قد حلل الخمر وأسقط وجوب الصلاة^١: كما أرسل للنبي ﷺ رسالة في السنة العاشرة للهجرة، جاء فيها:

من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله، سلام عليكم، أنا شريكك في الأمور، فنصف الأرض لي ولك والنصف الآخر لقريش، لكن قريش قوم متجاوزون^٢. وأرسل الرسالة مع نفرين من قبيلته، أوصلها إلى رسول الله ﷺ، وبعد أن قرأها قال لهما: (ما رأيكما بمسيلمة؟) قالوا: «نحن نصدق ما جاء به». فقال الرسول ﷺ: «أقسم بالله إذا لم أكن نبيًا لضربت الآن أعناقكم» ثم أجابه الرسول ﷺ بهذا الجواب:

بسم الله الرحمن الرحيم - من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب؛ السلام على من اتبع الهدى، أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين^٣. ومن جملة الخزعات التي قالها مسيلمة في معارضته للقرآن:

١. القيل، وما القيل، وما أدراك ما القيل، له ذنب وييل، وخرطوم طويل.

٢. لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشى.

٣. والمبذرات زرعاً، والحاصدات حصداً، والذاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً، واللاقمات لقماً، أهالةً وسمناً، لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقكم أهل المدر^٤.

يقول (الرافعي) في مسيلمة:

وكل كلامه من هذا النمط واه سخي لا ينهض ولا يتماسك، بل هو مضطرب النسيج مبتذل المعنى مستهلك من جهته^٥، فلو قارنا كلامه مع القرآن نلاحظ مدى ضالة وسخافة كلامه قياساً إلى القرآن.

١. تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٤٩٩.

٢. سيرة بن هشام، ج ٤، ص ٢٤٧.

٣. نفس المصدر، ج ٤، ص ٢٤٧.

٤. نفس المصدر ج ٤ ص ٢٤٧ وإعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٧٥.

٥. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص ١٧٥.

٢. عبد الله بن المقفع

المعروف بابن المقفع الفارسي،^١ كان من أدباء اللغة العربية المعروفين، حيث أعاد كتابة «كليلة ودمنة» بأسلوب عربي بديع.

ورد في الأخبار أن ابن أبي العوجاء وأبي شاعر الديصاني الزنديق، وعبد الملك المصري وابن المقفع، اجتمعوا عند بيت الله الحرام وأخذوا يستهزئون بالحجاج ويطعنون بالقرآن، قال ابن أبي العوجاء: تعالوا ننقض كل واحد منا ربع القرآن وميعادنا من قابل في هذا الموضع نجتمع فيه، وقد نقضنا القرآن كله فإن في نقض القرآن إبطال نبوة محمد، وفي إبطال نبوته إبطال الإسلام وإثبات ما نحن فيه، فاتفقوا عند ذلك واختلفوا فلما كان من قابل اجتمعوا عند بيت الله الحرام، فقال: ابن أبي العوجاء: أما أنا فمفكر منذ افترقنا في هذه الآية: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْسَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا﴾^٢ فلم أقدر أن أضم إليها في فصاحتها وجميع معانيها شيئاً، فشتلنتي هذه الآية عن التفكير فيما سواها، فقال عبد الملك: وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾^٣.

ولم أقدر على الإتيان بمثلها فقال ابن المقفع: يا قوم أن هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر، وأنا منذ فارقتكم مفكر في هذه الآية: ﴿وَقِيلَ يَتَّزِجُ رَبِّي مَاءَهُ كَيْفَ يَكْفِيهِمْ غَيْضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾^٤ ولم أقدر على الإتيان بمثلها. فبينما هم كذلك؛ إذ مر بهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾^٥.

١. الاحتجاج، ج ٢، ص ١٤٢ وبحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٦.

٢. يوسف: الآية ٨٠.

٣. الحج: الآية ٧٣.

٤. هود: الآية ٤٤.

٥. الإسراء: الآية ٨٨.

لقد أثبت هذه التجربة عجز هؤلاء الأربعة عن الإتيان بمثل القرآن، رغم أنهم كانوا من فطاحل خطباء العرب ومتكلميههم، مع ذلك وقفوا عاجزين أمام عظمة القرآن، كذلك الذين عارضوا القرآن في زمن النبي ﷺ عادوا بالخزي والعار والعجز.

٣. عبد الله أبو شاعر الديصاني

كان يسكن الكوفة، وله مناظرات مع هشام بن الحكم، ويُعد من الأربعة المشهورين بمعارضة الإسلام، وقد تقدّم الكلام في عجزه عن معارضة القرآن. قيل في (أبي شاعر الديصاني) أنه جاء في أواخر عمره إلى الإمام الصادق (عليه السلام) وتاب عما بدّر منه.

٤. عبد الكريم ابن أبي العوجاء

ابن أبي العوجاء، كان أحد تلامذة الحسن البصري، وله محاجبات مع الإمام الصادق عليه السلام، وهو أحد الأربعة الذين عارضوا القرآن، كما سبق أن ذكرنا.

٥. سجاح بنت الحارث التميمية

سجاح بنت الحارث بن سويد التميمي، كانت تدّعي نُزول الوحي عليها، وتوجهت نحو مسيلمة الكذاب وتزوجت منه، ومن ضمن العبارات التي عارضت بها القرآن: «إن الله خلق النساء أفراجاً، وجعل الرجال لهن أزواجاً، فتولج فيهن قعساً إيلاجاً، ثم نخرجها إذا نشاء إخراجاً، فينتجن لنا سخالاً إنتاجاً»^١.

٦. أبو العلاء المعري

(أحمد بن عبد الله بن سليمان) الشاعر، بل أستاذ الفن الشعري، والعالم اللغوي، قام بمعارضة القرآن، حيث نُقل عنه أنه قال: «أقسم بخالق الخيل والريح الهابة بليل، ما بين الأشرار ومطالع سهيل، إن الكافر لطويل الويل، وإن العمر لمكفوف الذيل، تعدّ اتق مدارج السيل، وطالع التوبة من قبيل تنج وما أخالك بناج»^٢.

١. تاريخ الطبري، ج ٢ ص ٤٩٩.

٢. الفتاوى دهخدا (قاموس دهخدا)، ذيل كلمة أبو العلاء، ص ٦٣٥.

٧. أبو الطيّب المتنبّي

وهو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الحمد الكندري، الأديب العربي المعروف، فقد عارض القرآن، حيث نقل عنه أنه قال: «والنَّجم السَّيَّار والفلَك الدَّوَّار، والليل والنَّهار، إنَّ الكافر لفي أخطار، إمض على سنتك، واقف أثر من قبلك من المرسلين، فإن الله قامع بك زيع من الحدِّ في دينه وضل عن سبيله»^١.

وكلما جاهدوا في معارضة القرآن، ظهر عجزهم أكثر ولم يصلوا إلى نتيجة تذكر، وأدركوا أنهم لا يستطيعون معارضة هذا الكتاب العظيم النازل من عند الله، وليس باستطاعة أي بشر أن يأتي بمثله، ورغم أنهم كانوا مبهورين في القرآن إلّا أن روح اللجاجة التي تمكنت من نفوسهم، منعتهم من الإيمان والإنقياد لما وصلوا إليه.

عدم استجابة الرّسول لطلب المعجزة

ورد في التاريخ إن هناك من طلب المعجزة من رسول الله ﷺ ولكنه لم يستجب لهم؛ لأن طلب المخالفين لم يكن لأجل الإيمان والمعرفة، بل لجاجاً. يمكن أن نجمل عدم استجابة الرّسول ﷺ لعدة أسباب، منها:

أ- إن الإجابة تكون مستحيلة في بعض الموارد، كالطلب من الرّسول أن ينزل عليهم الله

سبحانه، قال: ﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِرَ بِكَ حَتَّىٰ ... تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا﴾^٢.

ب - إن الاستجابة لبعض الطلبات يعني عدم بقاء أحد على قيد الحياة قال تعالى:

﴿وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِرَ بِكَ حَتَّىٰ ... أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا رَعِمْتَ عَلَيْنَا كِسْفًا...﴾^٣ فلو أنزل

الله سبحانه تلك القطع من السماء على رؤوس الناس لما بقي أحد لكى يؤمن بتلك المعجزة.

ج - عدم إلتفاتهم إلى مقام الوحي، فقد كانوا يقولون لا نؤمن لك حتّى ينزل الوحي علينا كما ينزل عليك قال تعالى :

١. نفس المصدر ذيل كلمة أبو الطيب ص ٥٦٦.

٢. الإسراء: الآيات ٩٠ - ٩٢.

٣. نفس الآية.

﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ
يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ...﴾^١

وهكذا يظهر من الآيات، إن طلب المشركين غير معقول، وبعيد عن روح الحقيقة، فهم يطلبون ذلك لاجابة، لكي يؤذوا الرسول ﷺ لا طلباً للحقيقة. المعجزة إنما تتحقق حينما تكون هناك ضرورة، لذلك لم يفلح المعارضون في تحدي القرآن فصار القرآن معجزة كل عصر منذ صدور الإسلام وإلى يومنا هذا. وكلما تقادم عليه الزمان تزداد علومه ومعارفه جلاءً ووضوحاً، ولا زالت غرائبه وعجائبه تنكشف كلما طالعه العلماء.

المصادر

١. ابن أبي الأصم، بديع القرآن، مشهد، الصبح الرضوي المقدس، ١٣٦٨هـ.ق.
٢. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، مصر، ١٣٨٥ هـ.ق.
٣. ابن الجوزي، المنتظم، الهند، حيدر آباد، ١٣٥٩هـ.ق.
٤. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، قم، مكتبة الإعلام الإسلامي، بدون تاريخ الطبع.
٥. ابن النديم، فهرست ابن النديم، ط ٣، طهران، أمير كبير، ١٣٦٦.
٦. أبو زهرة، محمد، المعجزة الكبرى، بيروت، دار الفكر العربي، بدون تاريخ النشر.
٧. الأربلي، أبي الفتح، كشف الغمة في معرفة الأنبياء، بيروت، دار الكتاب العربي، بدون تاريخ النشر.
٨. الأنصاري القرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن، ط ١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ.ق.
٩. الباقلاني، إعجاز القرآن، تحقيق: الشيخ حماد الدين أحمد الحيدري، بيروت، ط ١، مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٦هـ.ق.
١٠. البلاغي، محمد جواد، آلاء الرحمن في تفسير القرآن، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بدون تاريخ الطبع.
١١. بنت الشاطئ، الدكتور عبد الرحمن، الإعجاز البياني للقرآن، مصر، دار المعارف، ١٣٩١هـ.ق.
١٢. التفليسي، أبو الفضل، حبش ابن إبراهيم، وجوه القرآن، طهران، منشورات جامعة طهران، ١٩٩٢م.
١٣. الجاحظ، عمر بن بحر، الحيوان، بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٨٨هـ.ق.
١٤. الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تصحيح: محمد رشيد رضا، مصر، مكتبة القاهرة، ١٣٨١هـ.ق.
١٥. الجرجاني، شرح المواقف، قم، منشورات الشريف الرضي، بدون تاريخ النشر.
١٦. جلوه های رحمانی امام خمینی (ره)، ط ١، المعاوية الثقافية لمؤسسة الشهيد، ١٣٧١هـ.ش.
١٧. الحاكم النيشابوري، المستدرک علی الصحیحین، الهند، ١٣٤٢هـ.ق.
١٨. الحسيني الزبيدي، يحيى، الطراز عن وجود الإعجاز، بدون مكان ولا تاريخ الطبع.
١٩. الحميري، ابن هشام، السيرة، مصر، مطبعة صبيح، بدون تاريخ الطبع.
٢٠. الحنفي، محمد شرف، إعجاز القرآن البياني، الجمهورية العربية المتحدة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، ١٣٩٠هـ.ق.
٢١. الحويزي، الشيخ عبد علي بن جمعة، نور الثقلين، قم، مطبعة الحكمة، ١٣٨٣هـ.ق.

٢٢. خر مشاهي، بهاء الدّين، دانشنامه قرآن و قرآن پژوهشی، طهران، ناهید، ۱۳۷۷هـ.ش.
٢٣. الخطابي، أبو سليمان، محمد بن إبراهيم، إعجاز القرآن، مصر، الطبعة الثالثة، دار المعارف، بدون تاريخ النشر.
٢٤. خطيب، عبد الكريم، إعجاز في دراسات السابقين، بيروت، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي، ۱۹۷۴م.
٢٥. الخوئي، أبو القاسم، البيان في تفسير القرآن، أنوار الهدى، ۱۴۰۱هـ.ق.
٢٦. دراز، عبد الله، البناء العظيم، دار القلم، الكويت، ۱۹۷۰م.
٢٧. دهخدا، علي أكبر، لغت نامه دهخدا، طهران، ۱۳۴۵هـ.ش.
٢٨. دياري، محمد تقي، درآمدی بر تاریخ علوم قرآنی، قم، جامعة قم، ۱۳۸۵.
٢٩. الرازي، فخر، التفسير الكبير، دار الكتب العلمية، طهران، الطبعة الثانية، بدون تاريخ النشر.
٣٠. الراغب الأصفهاني، حسين بن محمد، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: نديم مرعشلي، قم: إسماعيليان، بدون تاريخ النشر.
٣١. الراغب الأصفهاني، مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة، تحقيق أحمد حسن فرحات، الكويت، دار الدعوة، ۱۴۰۵هـ.ق.
٣٢. الرفاعي، مصطفى صادق، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الطبعة التاسعة، بيروت، دار الكتاب العربي، ۱۳۹۳هـ.ق.
٣٣. الراوندي، قطب الدّين، الخرائج والجرائح، قم، مؤسسة الإمام المهدي، ۱۴۰۹هـ.ق.
٣٤. رضائي الأصفهاني، محمد علي، إعجاز علمي قرآن، قم، المركز العالمي للعلوم الإسلامية، ۱۳۸۲.
٣٥. الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مصر، دار المعارف، دون ذكر تاريخ النشر.
٣٦. الرماني، الخطابي، الجرجاني، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، مصر دار المعارف، بدون تاريخ النشر.
٣٧. الزركشي، بدرالدّين، البرهان في علوم القرآن، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ النشر.
٣٨. الزمخشري، جار الله، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، قم، نشر البلاغة، رجب، ۱۴۱۳هـ.ق.
٣٩. الزمكاني، البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، تحقيق: أحمد مطلوب، العراق، دار إحياء التراث الإسلامي، ۱۳۹۴هـ.
٤٠. السكاكي، أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر، مفتاح العلوم، مصر، الحلبي، بدون تاريخ النشر.
٤١. السيد المرتضى، الذّخيرة في علم الكلام دون ذكر تاريخ ولا مكان الطبع.
٤٢. السيد المرتضى، جمل العلم والعمل، بشرح الشيخ الطوسي، الجمعية الإسلامية للحكمة والفلسفة، طهران، ۱۳۵۸هـ.ش.
٤٣. السيوطي، جلال الدّين، الاتقان في علوم القرآن، قم، منشورات رضى، بدون تاريخ النشر.
٤٤. السيوطي، معترك الأقران في إعجاز القرآن، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ۱۴۰۸هـ.ق.
٤٥. شبر، السيد عبد الله، حقّ اليقين في معرفة أصول الدّين، طهران، منشورات علمي، بدون تاريخ النشر.
٤٦. الشهرستاني، الملل والنحل، بيروت، دار المعرفة، بدون تاريخ النشر.
٤٧. الشيخ الصدوق، التوحيد، طهران، مكتبة الصدوق، بدون تاريخ النشر.
٤٨. الشيخ الصدوق، علل الشرائع، قم، مكتبة الداوري، دون ذكر تاريخ النشر.
٤٩. الشيخ الصدوق، الأمالي، بشرح آية الله الكمرني، طهران، مكتبة اسلامية، ۱۳۸۰هـ.ق.

٥٠. الشَّيْخ الطُّوسِي، التَّيَّان في تفسیر القرآن، بیروت، إحياء التَّراث العربي، بدون تأريخ النشر، بدون ذكر تأريخ النشر.
٥١. الشَّيْخ الطُّوسِي، تمهيد الأصول، شرح لرسالة جمل العلم والعمل للسَّيِّد مرتضى، طهران، الاتحاد الإسلامي للحكمة والفلسفة، ١٣٥٨هـ.ش.
٥٢. الاقتصاد الهادي إلى طريق الرُّشاد بدون ذكر تأريخ النشر.
٥٣. الشَّيْخ الطُّوسِي، الرِّجَال، نجف، المكتبة الحيدرية، ١٣٨١هـ.ق.
٥٤. الشَّيْخ المفيد، أوائل المقالات، بمقدمه شيخ الإسلام الزَّنجاني، تبريز، ١٣٧٠هـ.ق.
٥٥. صبحي الصَّالح، نهج البلاغة، الطبعة الخامسة، منشورات دار الهجرة، ١٤١٢هـ.ق.
٥٦. الصَّحيفة السَّجَّادِيَّة، طهران، منشورات أمير كبير، ١٣٥٣هـ.ش.
٥٧. صحيفة نور، مجموعة إرشادات للإمام الخميني عليه السلام، طهران، مركز الوثائق الثقافية للشَّوْرة الإسلاميَّة، ١٣٦٤هـ.ق.
٥٨. الطَّباطبائي، محمَّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٣٩٣هـ.ق.
٥٩. الطَّباطبائي، محمَّد حسين، بداية الحكمة، قم، المطبعة العلميَّة بدون تأريخ النشر.
٦٠. الطَّباطبائي، محمَّد حسين، القرآن في الإسلام، قم، مكتب المنشورات الإسلاميَّة، ١٣٧٢.
٦١. الطُّبرسي، أبو منصور أحمد بن علي، الاحتجاج، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٣٧٣هـ.ق.
٦٢. الطُّبرسي، فضل بن حسن، مجمع البيان لعلوم القرآن، بيروت، دار المعرفة، بدون تأريخ النشر.
٦٣. الطُّبري، ابن جرير، تأريخ الأمم والملوك، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٤٠٣هـ.ق.
٦٤. العسكري، أبو هلال، معجم الفروق اللغويَّة، قم، جامعة المدرسين، ١٤١٢ق.
٦٥. العلامة الحلي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، قم، مكتبة المصطفوي، بدون تأريخ النشر.
٦٦. العياشي، تفسير العياشي، المكتبة الإسلاميَّة، بدون تاريخ النشر.
٦٧. القمي، علي بن ابراهيم، تفسير القمي، بيروت، ١٣٧٨هـ.ق.
٦٨. الكتاب المقدس، فارسي، ١٩٨٧م.
٦٩. الكليني، محمَّد بن يعقوب، أصول الكافي، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، بدون تأريخ النشر.
٧٠. المجلسي، محمَّد باقر، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، بيروت، مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣هـ.ق.
٧١. معارف إسلامي، جمع من الكتاب، طهران، سمت، ١٣٧٥.
٧٢. معرفة، محمَّد هادي، التمهيد في علوم القرآن، مؤسسة النَّشر الإسلامي، قم، ١٤١٤هـ.ق.
٧٣. معين، محمَّد، فرهنگ معين، طهران، منشورات أمير كبير، ١٣٦٠هـ.ش.
٧٤. مكارم الشيرازي، ناصر، التفسير الأمثل، طهران، دار الكتب الإسلاميَّة، ١٣٧٧هـ.ش.
٧٥. موريسين، كرستي، راز آفرينش إنسان، ترجمه محمَّد سعيدي، طهران، منظمة الكتب، ١٣٥٤هـ.ش.
٧٦. الخميني، روح الله، آداب الصَّلَاة، طهران، مؤسَّسة تنظيم ونشر آثار امام خميني عليه السلام.
٧٧. ولاية الفقيه، قم، مصطفوي، بدون تأريخ النشر.
٧٨. مؤدب، سيّد رضا، تأريخ الحديث، قم، المركز العالمي للعلوم الإسلاميَّة، ١٣٨٤هـ.ش.
٧٩. نزول قرآن ورؤياي هفت حرف، قم، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٣٧٨هـ.ش.
٨٠. النَّجاشي، الرِّجَال، قم، مؤسَّسة النَّشر الإسلامي، ١٤٠٧هـ.ق.
٨١. نوفل، عبد الرزاق، الإعجاز العددي للقرآن، القاهرة، دار الشعب، بدون تأريخ النشر.